

محمّد مظلوم

# أَصْحَابُ الْوَاحِدَةِ

الْيَتِيمَاتُ وَالْمَشْهُورَاتُ وَالْمَنْسِيَّاتُ  
مِنَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ



منشورات الجمل

محمّد مظلوم: أصحاب الواحدة

محمّد مظلوم

# أَصْحَابُ الْوَاحِدَةِ

الْيَتِيمَاتُ وَالْمَشْهُورَاتُ وَالْمَنْسِيَّاتُ  
مِنَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ

منشورات الجمل

ولد محمد مظلوم في بغداد / منطقة الكرادة ١٩٦٣ . تخرّج من قسم الدراسات الإسلامية في كلية الشريعة - جامعة بغداد ١٩٨٧ . سبّق مجنّداً للخدمة العسكرية بعد تخرجه من الجامعة مباشرة . عمّل بعد انتهاء حرب الخليج الأولى مدرّساً للغة العربية في محافظة أربيل بکردستان العراق . غادر إلى دمشق عبر نهر الخابور خريف عام ١٩٩١ ، ولا يزال مقيماً فيها . من مؤلفاته الشعرية : غير منصوص عليه - ارتكابات (١٩٩٢) ؛ المتأخّر - عابراً بين مرآيا الشبهات (١٩٩٤) ؛ محمد والذين معه (١٩٩٦) ؛ الثائم وسيرته معارك (١٩٩٨) ؛ أندلس لبغداد (٢٠٠٢) ؛ اسكندر البرابرة (٢٠٠٤) ؛ بازي النّسوان (٢٠٠٨) ؛ كتاب فاطمة (٢٠١٠) . في النثر والدراسات : عبد الوهاب البياتي - كتاب المختارات (١٩٩٨) ؛ ربيع الجنرالات ونيروز الحلّاجين (٢٠٠٣) ؛ عراق الكولونيالية الجديدة (٢٠٠٥) ؛ الفتن البغدادية - فقهاء الماريز وأهل الشقاق (٢٠٠٦) ؛ خطب إبراهيم أو الجيل البدوي - شعر الثمانينات وأجيال الدولة العراقية .

محمد مظلوم، اضْحَابُ الْوَاحِدَةِ،  
الْيَتِيمَاتُ وَالْمَشْهُورَاتُ وَالْمُنْسِيَّاتُ مِنَ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ  
الطبعة الأولى، جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس باللغة العربية  
محفوظة لمنشورات الجمل، بغداد - بيروت، ٢٠١٢  
ص.ب: ٥٤٣٨ - ١١٣، بيروت - لبنان  
تلفاكس: ٠١ ٣٥٣٣٠٤ (٠٠٩٦١)

© Al-Kamel Verlag 2012  
Postfach 1127 . 71687 Freiberg a.N . Germany  
WebSite: www.al-kamel.de  
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

## المقدمة

هل ثمة شاعرٌ بقصيدةٍ واحدة؟  
بمعنى «وحيدة» لم يكتب غيرها؟  
وما أهميّة أن يكتب شاعر ما، قصيدةً تبدو كبيضة الديك في الأساطير  
والأمثال العربية التي تضرب ولا تقاس؟  
سيبدو سؤالٌ كهذا، ضرباً من الخوض في متاهاتٍ مُغلقة المآل، قد  
لا يجد فيها الشعر - وهو نشاط إنساني، بل أكثرها إنسانية - طريقه  
للتأويل النقدي والمراجعة العلمية الرصينة.  
فمع وجود عددٍ غير مُحدّدٍ من الشعراء الذين لا تُعرف لهم في كتب  
الأدب العربي سوى قصيدة واحدة، يبدو مصطلحُ أصحاب الواحدة  
مصطلحاً مُلتبساً، فمن حيث المبدأ لا يمكن التسليم بوجود شاعر لم  
يقل إلا قصيدة واحدة في حياته، ربما ثمة من أنشد «بيتاً» أو «نُثْفَةً» أو  
ارتجل أرجوزةً في معركة، أو ترك لنا «قطعة» لا تتجاوز أبياتها الثمانية  
أبيات على أقلّ تقدير، لكن القصيدة بالمفهوم العربي للقصيدة، من  
حيث كونها ما تجاوزت أبياتها الثمانية، حسب معايير النقد العربي  
القديم، لا يمكن أن يصلها الشاعر إلا بعد تجاربٍ عدّة في قول الشعر

«بيتاً وتُنفَ وقطعة» وصولاً إلى البناء الكمي الذي يمنح شعرة هوية القصيدة»

إضافة إلى ذلك فإن معظم النماذج التي اختيرت هنا لا تعزز المفهوم المباشر بالمعنى الأول الذي قد يرتسم في ذهن من يسمع بهذا المصطلح.

وعلى هذا المبدأ لا تكاد «واحدة» من هذه القصائد الفذة إلا ووجدت من يتحل منها بيتاً أو بيتين، أو قد تنسب القصيدة برمّتها لشعراء آخرين ويجري تحقيقها في دواوينهم، حتى أن القصيدة اليتيمة أو «الدعدية» التي يفترض أن شاعرها لم يقلّ سواها، تُنسب في كتب الأدب العربي لعشرات الشعراء من أصحاب الدواوين الضخمة، وقد وردت فعلاً في دواوين ثلاثة منهم على الأقل.

من هنا فقد لا تقتصر «الواحدة» أن تكون هوية نهائية لشاعرها بل أن أغلب القصائد هنا يتنازع عليها شعراء عدّة، وتُنسب بعضها إلى أكثر من شاعر وتتداخل فيها الأبيات الأصلية بالأبيات المنحولة.

من هنا تأتي أهمية فكّ الالتباس الذي لحق بهذا المفهوم، من أجل الدخول إلى مناقشته بوصفه مصطلحاً يجري تداوله أحياناً في غير المغزى الذي وُضِعَ من أجله في النقد العربي القديم، فمصطلح «أصحاب الواحدة» هو تعبير نقديّ ولّد أساساً في سياق تطوّر النقد العربي القديم في جهوده لإيجاد مفاهيم خاصة يشير بها إلى توصيف نموذج شعري محدّد لشاعر ما، اكتملت فيه شروط الجودة والفرادة وميّزته عمّا سواه من نماذج أخرى للشاعر نفسه.

ويعود هذا المصطلح: «أصحاب الواحدة» إلى ابن سلام الجُمَحِيّ  
 «٢٣٢ هـ» حيث ورد، أوّل ما ورد، في كتابه «طبقات فحول الشعراء»  
 وكان يعني به الشعراء الذين أجادوا في قصيدة واحدة مع أنّ لهم قصائد  
 أخرى كثيرة أو قليلة. وعلى هذا المعيار الخاص جعل ابن سلام معلقة  
 عنتر بن شداد «واحدته» لأنها نادرة برأيه، على الرّغم من أنّ له «شعراً  
 كثيراً» كما يقول، وعلى المعيار نفسه، رأى أنّ طرفة بن العبد أشعرُ الناس  
 «واحدة» بمعلقته المشهورة، بمعنى أن هذه القصيدة إذا ما قورنت بأفضل  
 «واحدة» لأيّ شاعر آخر غيره، لتقدّمت عليها جودةً. ونقل ابن قتيبة  
 الدينوري «٢٧٦ هجرية» في «الشعراء والشعراء» قولاً لأبي عبيدة قريباً من  
 فكرة ابن سلام حيث قال: «قال أبو عبيدة: طرفة أجودهم واحدةً ولا  
 يلحق بالبحور، يعني امرأ القيس وزهيراً والنابعة، ولكنه يوضع مع  
 أصحابه: الحارث بن حلزة وعمر بن كلثوم وسويد بن أبي كاهل».  
 ولنلاحظ في تفسير هذا المعنى ما تمتاز به قصيدة طرفة عن سواها من  
 أصحاب المعلقات.

فأولاً: هي الأطول من بين تلك المعلقات فقد بلغت في جمهرات  
 القرشي، مائة وعشرين بيتاً<sup>(١)</sup>، وهي تشكّل أكثر من رُبُع شعر طرفة.  
 وثانياً: هي قصيدة قالها وهو في العشرين من عمره، بمعنى إنها كانت  
 وعداً شعرياً بشعر آتٍ وخرقاً واختلافاً مبكراً عن السائد والمعهود. إذ  
 «بلغ بحدائثه سنّه ما بلغ القوم في طول أعمارهم»

(١) «جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام» لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي  
 - دار نهضة مصر ١٩٨١ تحقيق: على محمد البجاوي.

وثالثاً: إن طرفة شاعر ذو أخبار قليلة إذا استثنينا تراجيديا مقتله، ولعلَّ شهرة قصيدته هذه توازي تلك التراجيديا في مصيره الإنساني، وجلُّ أخباره تشير إلى أنه مُنَشَّقٌ ومتهكَّمٌ، وكانت قصائده تثير الحزازات بين القوم، وكثيراً ما كان المتباغضون يتهاجون بشعره، متمثِّلين بأبيات لاذعة في هذا السياق، حتى أودى شعرُهُ بحياته، أو لسانه برأسه. كما تنبأ له المثلّس بقوله: «وَيْلٌ لِهَذَا مِنْ هَذَا»

والملاحظ هنا أن أغلب «أصحاب الواحدة» ممَّن جرى اختيار نماذج لهم في هذا الكتاب، لم يعمُّروا كثيراً بعد تلك القصيدة، بل إنها كانت لدى البعض شهادة أخيرة، فهي آخر ما تفوَّه به قبل الموت.

أخيراً فإن ما يمكن تلخيصُهُ عن طبيعة شخصية طرفة بوصفه أقدم أصحاب الواحدة بمفهوم النقد العربي القديم، وتعميمه على شعراء هذه المختارات، إن أغلبهم من هوامش الناس، فهم خوارج وصعاليك ومُتصوِّفٌ ولصوصٌ ومجانين ومنفيون، وشعراء مغمورون، ومغامرون ومنبوذون، وعشاق مقهورون، ومن عوام الناس في عصرهم.

حتى أشراف القوم منهم، فإنَّ واحداتهم أو قصائدهم النادرة قِيلَتْ في لحظات حرجة من حياتهم، كأنها كانت أغنية البجع الأخيرة، كما هو الحال في قصيدة لقيط بن يعمر الأيادي، ومالك بن الريب، وعبد يغوث الحارثي وكذلك قصيدة هاشم الرفاعي بتمثلها المستعار.

هم ليسوا بشعراء «بلاطيين» ليذهب شعرهم في البلدان بفعل مدائح جرث بها ألسنتهم فجرت معها شهرتُهم في الآفاق.

من هنا نجد أنَّ أصحاب الواحدة عادةً ما تكون ظروفُ حياتهم التي

عاشوها بما تحمله من تراجيديا، من موت مبكر، ونفي وابتعاد عن ثقافة المركز، هي السمة المميّزة التي جعلت من أخبارهم قليلة وأسهمت في ندرة أشعارهم.

ولعلّ هذا الحصار المركب الذي اتسمت به حياة هؤلاء هو الذي جعل من قصائدهم نماذج «فدّة» في الحبّ والحرب والموت ورثاء المدن وفي استبطان الذات ووحشتها وأسئلتها العميقة.

ملاحظة أخرى يمكن رصدها في خصوصية هذا المفهوم لدى ابن سلام، وهي إنه أورده في سياق الحديث عن شعراء الطبقة السادسة من شعراء الجاهلية، ونحن نعرف إن الشعر الجاهلي ظلّ في جانب كثير منه، جزءاً من التراث الشفاهي العربي، وانحسر الكثير من نماذجه عن المدونات اللاحقة، فكثرت الواحدات في نماذج هذا الشعر، بفعل الانتقاء والذاكرة الشفاهيين للقصائد، ولعلّ هذا ما جعل المصطلح لدى ابن سلام مرتبطاً بهذا الزمن الشعري بالتحديد.

ويعد ابن سلام بأكثر من قرنين، ترسّخ مصطلح «أصحاب الواحدة» لدى ابن رشيق القيرواني «٤٦٣ هـ» في كتابه «العمدة في صناعة الشعر ونقده» فقال: «وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجُمحيّ، وهو الحكم الصواب» ومضى يضيف شعراء آخرين لقائمة «أصحاب الواحدة» من غير شعراء المعلقات لِتَتَسَّع القائمة ولكنها بقيت في سياق نقد الشعر الجاهلي، ولم تذهب إلى أبعد من ذلك.

أما في العصر الحديث فقد دأب الشاعر العراقي نعمان ماهر الكنعاني على نهج ابن رشيق في إضافة شعراء آخرين إلى تلك القائمة، في كتابه

«شعراء الواحدة» الصادر في بغداد في العام ١٩٦٧<sup>(١)</sup> فاختر «واحدات جديدة» لعددٍ إضافيٍّ من «أصحاب الواحدة» من عصور مختلفة: كالشنفري، والسموأل، ومالك بن الريب، وديك الجن الحمصي، وقطري بن الفجاءة، وأبو الحسن التهامي، وابن زريق البغدادي، وسواهم. رغم أن لعدد من هؤلاء دواوينَ شعرية معروفة.

من هنا يمكن القول أن مصطلح «أصحاب الواحدة» لا يعني بالضرورة الشعراء الذين لم يكتبوا أو يقولوا إلا قصيدةً واحدةً طوال تجربتهم الشعرية والحياتية، ذلك أن هذا المفهوم للمصطلح ينطوي في نسيجه على خيوط من الأوهام كما أسلفت، لكنَّ «الواحدات» هنا تبدو بمثابة معلقات إضافية، حتى كأنها استدراكٌ نقديٌّ على فكرة المعلقات. بيد أنها تخصُّ هنا، بشكل أكثر دقة، أولئك الشعراء المقلِّين فقط.

أما «الحماسات» بوصفها من أقدم نماذج المختارات في الشعر العربي، إلى جانب «الأصمعيات» و«المفضليات» فهي التمثيل الواضح عن حضور مكثف لأصحاب الواحدة، والتعبير عن ذوق خاص، لمن اختاروا تلك المختارات من بين العشرات من قصائد الشعر العربي ومن نماذج عديدة للشعراء ذاتهم.

ومن هنا أيضاً تأسست شروط نقدية إضافية لاختيار «الواحدات» فأصحاب الواحدة ينبغي أن يكونوا مقلِّين في الكمِّ، لكنَّهم مجيدون في

---

(١) يشير مير بصري في كتابه «أعلام الأدب في العراق الحديث» وفي ترجمته لمؤلفات الكنعاني، إلى أن تاريخ كتاب «شعراء الواحدة» في العام ١٩٤٥، ولعله يشير هنا إلى زمن التأليف، أو ربما صدرت طبعة أولى منه في ذلك التاريخ.

واحدة مشهورون بها. وهذا ينسحب على مفهوم القصيدة الواحدة: فهي ليست «الوحيدة» بالضرورة.

فأصحاب الواحدة بمفهوم النقد العربي الكلاسيكي وتأكيده المأثور على التصنيف النوعي للشعراء، هم شعراء «مُفْلِقُونَ» أي الشعراء الذين يأتون بالعجائب والفرائد من الشعر في قصيدة واحدة أو بضع قصائد، فأغلبهم ليسوا في عداد الشعراء الفحول، ولكنهم أجادوا إجادة لافتة في قصيدة معينة فذاعت شهرتهم بها.

وعلى هذا الأساس فثمة «واحدات» أنفق شعراؤها وقتاً طويلاً في صياغتها وإعادة بنائها حتى أصبحت ديوانَ حياتهم ومرآة شخصياتهم عبر أطوار شتى كما هو الحال في «يتيمة سويد بن أبي كاهل» التي «تخضرت» بين العصرين الجاهلي والإسلامي، وواحدة «توبة بن الحمير» التي تؤكد كتب النقد العربي عن بدايات متعددة لها، أو استرسالات وقصص لاحقة، ووقائع حادثة ومستجدة، دخلت على هذه القصيدة التي تحكي قصة حب في مراحلها المختلفة وتحولاته التراجيدية.

وكذلك فلربما كانت قوة هذه «القصيدة» أو تلك، وفرادتها الفنية بالذات قد طغت على ما سواها من شعر قليل لهذا الشاعر أو ذاك، شعر لم يكن بجودة «بيضة الديك» هذه فمحته.

تندرج في هذا السياق القصائد اليتيمات «كيثيمة دوقلة» و«يتيمة ابن زريق» و«يتيمة خالد القناص»

ولعل مفهوم اليتيمة يحتاج هو الآخر إلى مزيد من التدقيق والمقاربة

والمناقشة، فما المقصود باليتيمة؟ إذ أن ثمة مفهوماً متعدد الطبقات لكل كلمة «اليتيمة» حتى في جذرها اللغوي، فاليتيم في معاجم اللغة هو فقدان الأب. وبهذا المعنى فالقصيدة اليتيمة هي من لا أب لها، والمفقودة النسب، لكنَّ اليتيم يعني أيضاً: الإنفراد، واليتيمة بهذا المعنى هي «القصيدة الفريدة» التي لا نظير لها، أو هي تلك التي لا تضاهيها قصيدة أخرى للشاعر نفسه.

ويرى ابن منظور في «لسان العرب» أن المرأة تسمى اليتيمة ما لم تتزوج فإن تزوجت زالت عنها صفة اليتيم، والرجل يبقى يتيماً حتى يبلغ الحلم. فالقصيدة اليتيمة بمعناها هنا، هي عذراء غير مطروقة، في رمزها الأنثوي، وناضجة مكتملة التجربة في رمزها الذكوري.

أما «المشهورات» من القصائد، فهي تلك التي طغت على ما عداها من قصائد الشاعر كمرثية الأندلس لأبي البقاء الرندي، ومرثية مالك بن الربيع لنفسه، وأما القصائد المنسية فهي التي ترد أبيات متناثرة منها في كتب الأدب على أنها مجهولة القائل كقصيدة «ماني الموسوس». ويجري تحقيقها هنا ونسبتها إلى شاعرها الحقيقي.

وهناك أيضاً قصائد في رثاء المدن بينها قصيدة ابن أبي اليسر في رثاء بغداد، وهي من القصائد النادرة في رثاء المدينة بعد سقوطها بيد المغول، ولا تعرف لصاحبها قصيدة أخرى، وكذلك قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء أشبيلية والتي اشتهرت بكونها مرثية للأندلس رغم وفاة شاعرها قبل سقوط الأندلس كاملة.

اخترت هنا شعراء الواحدة بمفهوم «ابن سلام الجُمَحِي» وليس بما

أورده من نصوص معبرة عن ذلك المفهوم، وكذلك بمفهوم «الأصمعي» براوية «المظفر العلوي في نظرة الإغريض» بيد أني استثنت منها قصائد شعراء المعلقات: طرفة، وعنترة، وعمر بن كلثوم، والحارث بن حلزة اليشكري، لكونها نالت فرادتها في مجال آخر.

كما استثنت اللاميتين: «لامية العرب للشنفرى» و«لامية العجم للطغرائي» اللتين عرفتا بأنهما «واحدتا» شاعريهما لأنني رأيت للشاعرين قصائد أخرى لا تقل أهمية عن هاتين القصيدتين اللتين اشتهرتا، ولأنني رأيتهما مليئتين بالحكم والأمثال أكثر من الشعر. كما أنني حاولت أن أبتعد قدر الإمكان عن تكرار بعض النماذج التي اختارها الكنعاني في كتابه، إلا ما كان حقاً من أصحاب الواحدة بالمفهوم الذي أراه.

إذن ثمة «وَاحِدَات» شاعت أو اتَّفَقَ عليها كالقصيدة الدعدية وعينية ابن زريق وثمة «واحدات» أخرى تخضع لذوقٍ خاصٍّ من بين عدد محدود من المقطوعات والتنف، وثمة «واحدات» مكتشفة لاحقاً وأخرى ضائعة نحاول إضاءتها هنا، وهكذا فإن مثل هذا الموضوع النادر في الشعر العربي كندرة قصائده يبقى قابلاً للاستكمال. ولهذا سيكون مهماً مثلاً إضافة «صواحب واحداث» وهنا «واحدة» تستحق أن تقف بقامة مديدة بين «واحدات الفحول» وهي قصيدة الفارعة بنت طريف في رثاء أخيها الوليد بن طريف. وأخرى لقُتيلة بنت النضر، ولها قصة مشهورة في السيرة النبوية لابن هشام.

وقد يجد القارئ أن قصائد الرثاء غلبت على سائر الأغراض في قوة حضورها في هذه «الواحدات» ولعل لهذا الأمر ما يبرره سواء في النقد العربي القديم أو في طبيعة شعر الرثاء وخصائصه، فابن سلام الجُمَحِيّ

جعل شعراء الرثاء في طبقة مستقلة هي الطبقة الثانية بعد طبقات شعراء الجاهلية العشر وبينهم شعراء المعلّقات، وهو الغرض الوحيد الذي خصه ابن سلام بطبقة، لا على أساس التوزيع الجغرافي: كشعراء القرى، ولا على أساس المعتقد أو الدين: كشعراء اليهود، ولا الزمني: كشعراء الجاهلية، وشعراء الإسلام. كما خصص لها القرشي في جمهراته باباً خاصة إلى جانب «المعلّقات» و«المذهّبات» و«المشوبات»<sup>(١)</sup> وسواها، وفي هذا ما يشير إلى أهمية شعر الرثاء وموقعه، وأن مجيديه هم فحول الأغراض.

وفي طبيعة شعر الرثاء وخصائصه نجد أنّ أغراض الشعر العربي الأساسية الأخرى كالمديح والغزل والهجاء، تتوجّه إلى شخص مقصود موجود، وبالتالي هي طامحة ومتطلعة نحو غايات ومآرب أيّاً كان نوعها أو مستواها. أما الرثاء فيتوجّه هو الآخر إلى شخص لكنّه مفقود، وعادة ما يتمتع هذا المفقود بآثر وتاريخ خاصين لدى الرائي، مما يجعل القصيدة متزّهة كثيراً عن القصد الآني والغاية الملحة.

اعتمدت في هذه المختارات والمقدّمات الخاصة بكلّ شاعر وقصيدته، على كتب الحماسات والمختارات في المصادر العربية القديمة من بينها حماسات أبي تمام والبصري، والوحشيات، والمفضليات والأصمعيات، ومنتهى الطلب من أشعار العرب لابن المبارك، وجمهرة أبي زيد القرشي، ومختارات شعراء العرب لابن

---

(١) يقصد القرشي بالمشوبات: تلك القصائد التي شابهها الكفر والإسلام، وهي هنا تقابل قصائد الشعراء المخضرمين.

الشجري، إضافة إلى كتب الأعلام والتراجم والوفيات، كما استأنست ببعض المصادر الحديثة كدراسة الدكتور عبد الكريم الأشر أستاذ الأدب والنقد في جامعة حلب، عن ثلاثة من شعراء الواحدة<sup>(١)</sup>.

وكان مُستلً من هذا الكتاب قد نشر ضمن منشورات «كتاب في جريدة - عدد تموز ٢٠١٠» على وفق ما سمح به حيزُ الإصدار وشروطه.

وكنت أعدُّ لإصدار المختارات في كتاب أشمل، عندما اقترح عليّ الصديق والشاعر خالد المعالي صاحب دار الجمل، نشرها في كتاب يصدر عن الدار، وعكفت خلال الأشهر الماضية على إعادة مراجعة النصوص السابقة وضبطها، وتدارك مواضع الأخطاء والسهو التي لحقت بها، كما قمت بتوسيع دراسة مفهوم أصحاب الواحدة، وكذلك المقدمات التعريفية للشعراء، بما يحيط أكثر بحياة الشاعر والتعريف بقصيدته ومكانتها في النقد العربي.

كما قمت بإضافة إحدى عشرة قصيدة جديدة من مختلف العصور بينها «المزدوجة في العشق المثلي» لمدرّك الشيباني، وأخرى في الغرض نفسه، وإن امتازت بتهتك أوضح، وبلغه مكشوفة أكثر، وهي لشاعر عباسي مجهول لم يورد قصيدته إلا أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر».

كما رأيت أن هذا الموضوع يستحقُّ، أن يدفع خطوة أخرى باتجاه المعاصرة من خلال اختيار نماذج لشعراء معاصرين. ولذلك حاولتُ

---

(١) نشرت تلك الدراسة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - المجلد ٨٣ - الجزء الثاني.

دفعه قليلاً إلى الإمام باختيار نموذجين لشاعرين من القرن العشرين هما :  
هاشم الرفاعي بقصيدته : «رسالة في ليلة التنفيذ» وعبد الأمير الحصري  
في قصيدته : «إلى القلق» .

وبهذا فقد شملت هذه المختارات جميع عصور الشعر العربي منذ  
العصر الجاهلي ، مُروراً بالعصور الإسلامية : عصر الرسالة والخلافة ،  
والعصرين الأمويين والعباسي ، وصولاً إلى العصور المتأخرة : الأيوبي  
والمملوكي ، وانتهاء إلى العصر الحديث . كما تُغطّي هذه المختارات  
لأصحاب الواحدة ، خريطة الشعر العربي التقليدية من بغداد شرقاً إلى  
الأندلس غرباً .

لم أعتمد في تخريج هذه القصائد من مصادر الأدب العربي ، على  
ورود واحد ، فقصائد الشعر العربي تردّ في تلك المصادر بصيغ ورود  
مختلفة ، سواء من حيث عدد الأبيات ، أو في نمط تسلسلها ، أو لجهة  
اختلاف نص البيت الشعري ، كما قد تختلف نسبتها بين أكثر من شاعر  
سابق أو لاحق ، ولذلك فقد قارنت مختلف الروايات ببعضها ، وأخذت  
ما رأيته أجمل وأدقّ وأكثر صلة بالشاعر وتجربته ، وكانت تلك المقارنة  
لا تتمّ على أساس القصيدة كاملة بل على أساس مقابلة «بيت بيت» كما  
ورد في الروايات المتعدّدة ، وقد أخذت بنظر الاعتبار مدى قرب المصدر  
المنقول عنه من زمن الشاعر . ولذلك يمكن القول إن كثيراً من هذه  
القصائد هي تحقيق شخصي يقوم على أساس تخريج موحد وجديد  
للقصيدة من تلك المصادر .

كما قمت بعنوان القصائد بما يناسبها ويلخصها في جملة تكون مُستلّة

عادة من بين أشطرها، أو بما اشتهرت به القصيدة نفسها فاتخذته عنواناً لها لازمها عبر العصور.

كذلك قمتُ بشرح أكثر من ألف مفردة معجمية وردت في هذه القصائد استناداً إلى المعاجم والقواميس، أو اعتماداً على التحليل الشخصي لسياق المعنى العام للبيت، وتوزعت تلك المفردات على أكثر من خمسمائة بيت شعري، قمتُ بشرحها أو بتقريبها من فهم القارئ العادي، على إنني أعدُّ ما يرد من إشارات في الهوامش أحياناً متناً حيويّاً لقراءة القصيدة والإحاطة بتجربة الشاعر بشكل عام.

وفي مطلق الأحوال تبقى هذه المختارات في النهاية، مختارات شعرية تعبر بشكل ما، عن «تجاسد» قرائي مع تلك النصوص، وعن ذائقة شخصية لعيون الشعر العربي، وإن التزمت بمنهج تحقيق نصي من مصادر التراث.

## لَقِيطُ بْنُ يَغْمَرَ الْإِيَادِيّ

### رِسَالَةٌ لَمْ تَصِلْ!

شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ بِالْعِرَاقِ، سَبَقَ شُعَرَاءَ الْمُعَلَّقَاتِ زَمَنِيًّا بِحَوَالِي الْقَرْنَيْنِ، كَانَ يُجِيدُ الْفَارِسِيَّةَ. وَقَصِيدَتُهُ هَذِهِ كِنَايَةٌ عَنْ رِسَالَةٍ إِنْذَارٍ وَتَحْرِيفٍ أَرْسَلَهَا مِنْ سِجْنِهِ، يُحَذِّرُ فِيهَا قَوْمَهُ مِنْ غَزْوِ «سَابُورَ الثَّانِي ذِي الْأَكْتَفِ» وَيَحِثُّهُمْ عَلَى الِاسْتِعْدَادِ لِقِتَالِهِ. وَسُمِّيَ سَابُورُ بِذِي الْأَكْتَفِ لِأَنَّهُ، كَمَا يَنْقُلُ الْأَبْشِيهِيُّ فِي الْمُسْتَطَرَفِ، خَلَعَ أَكْتَفَ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْعَرَبِ وَقَتْلَهُمْ «وَأَمَرَهُمْ حَيْثُ بَارِخَاءِ الشُّعُورِ وَلَيْسَ الْمُصَبَّغَاتِ، وَأَنْ يَسْكُنُوا بِيُوتَ الشَّعْرِ، وَأَنْ لَا يَرْكَبُوا الْخَيْلَ إِلَّا عُرَاءً».

وَيُقَالُ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَقَعَتْ بَيْنَ أَيْدِي كِسْرَى فَتَنَ كُلَّ بَلَقِيطَ بْنِ يَغْمَرَ، فَقَطَعَ لِسَانَهُ وَمِنْ ثَمَّ قَتَلَهُ، لَكِنَّ قَصِيدَتَهُ الْفَرِيدَةَ هَذِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ عَنِ السِّنَةِ الرُّوَاةِ فِي تَارِيخِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ.

وَرَى الدُّكْتُورُ جَوَادُ عَلِي فِي «الْمُقْصَلِ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ» أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ رُبَّمَا تَعُودُ إِلَى زَمَنِ كِسْرَى أَوْ شِرَانَ أَوْ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَيْسَ سَابُورَ الثَّانِي.

عَنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي الْأَوَائِلِ: «هَذِهِ أَجْوَدُ  
أَبْيَاتٍ قِيلَتْ فِي صِفَةِ صَاحِبِ حَرْبٍ وَقَائِدِ جَيْشٍ، وَهِيَ أَجْوَدُ قَصِيدَةٍ  
قِيلَتْ فِي الْإِنْدَارِ».

وَعَنْ شَاعِرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ: «لَقَيْتُ شَاعِرًا جَاهِلِيًّا قَدِيمًا  
مُقِلًّا، لَيْسَ يُعْرِفُ لَهُ شِعْرٌ غَيْرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَقَطَعَ مِنَ الشُّعْرِ لَطَافٍ  
مُتَفَرِّقَةً».

يَا دَارَ عَمْرَةٍ مِنْ مُخْتَلِّهَا الْجَرَعَا  
هَاجَتْ لَكَ الْهَمُّ وَالْأُخْزَانُ وَالْوَجَعَا<sup>(١)</sup>  
تَامَتْ فُؤَادِي بِذَاتِ الْجِرْعِ خَرْعَةً  
مَرْتُ تُرِيدُ بِذَاتِ الْعَذْبَةِ الْبَيْعَا<sup>(٢)</sup>  
جَرْتُ لِمَا بَيْنَنَا حَبْلَ الشُّمُوسِ فَلَا  
يَأْسًا مُبِينًا تَرَى مِنْهَا وَلَا طَمَعَا<sup>(٣)</sup>  
فَمَا أَرَاكَ عَلَى شَخْطٍ يُؤَرْقِنِي  
طَيْفٌ تَعَمَّدَ رَحْلِي حَيْثُمَا وَضِعَا<sup>(٤)</sup>  
إِنِّي بِعَيْنِي إِذْ أَمْتُ حُمُولَهُمْ  
«بَطْنُ السَّلُوطِ» لَا يَنْظُرْنَ مَنْ تَبِعَا<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) الجرعُ: موضع، وقيل هي الرملة المستوية التي لا تنبت.  
(٢) تامت: تيمت؛ عبت وذلت، ومنه «تيم الله» كأنه عبد الله، والجرعُ: منعطف الوادي.  
والخرعة: الشابة الحسنه القوام، والبيعَا: الكنيسة المسيحية، وقيل: معبد اليهود.  
(٣) الشُّمُوسُ: الناقة أو الفرس التي تكون صعبة القيادة والركوب.  
(٤) الشَّخْطُ: البعد، وتعمده: اتكأ عليه.  
(٥) بطنُ السَّلُوطِ: مكان في الجزيرة.

طَوْرًا أَرَاهُمْ وَطَوْرًا لَا أُبَيِّنُهُمْ  
إِذَا تَوَاضَعَ خِذْرُ سَاعَةٍ لَمَعًا  
بَلْ أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُرْجِي عَلَى عَجَلٍ  
نَحْوَ الْجَزِيرَةِ مُرْتَادًا وَمُنْتَجِعًا<sup>(١)</sup>  
أَبْلِغْ إِيَادًا، وَخَلِّلْ فِي سَرَائِهِمْ  
إِنِّي أَرَى الرَّأْيَ، إِنْ لَمْ أُغْصَ قَدْ نَصَعًا  
يَا لَهْفَ نَفْسِي إِنْ كَانَتْ أُمُورُكُمْ  
شَتَّى، وَأُخَيِّمُ أَمْرَ النَّاسِ فَاجْتَمَعًا  
أَلَا تَخَافُونَ قَوْمًا لَا أَبَالَكُمْ  
أَمْسُوا إِلَيْكُمْ كَأَمْثَالِ الدُّبَا سِرْعًا<sup>(٢)</sup>  
أَبْنَاءُ قَوْمٍ تَأْوُوكُمْ عَلَى حَقِّ  
لَا يَشْفَعُونَ أَضَرَّ اللَّهُ أَمْ نَفَعًا<sup>(٣)</sup>  
أَخْرَارَ قَارِسَ أَبْنَاءِ الْمُلُوكِ لَهُمْ  
مِنْ الْجُمُوعِ جُمُوعٌ تَزُدُّهُمِ الْقُلْعَا<sup>(٤)</sup>  
فَهُمْ سِرَاعٌ إِلَيْكُمْ بَيْنَ مُلْتَقِطٍ  
شَوْكَأً وَآخَرَ يَجْنِي الصَّبَابَ وَالسَّلْعَا<sup>(٥)</sup>

(١) مرتادًا: الذي يبحث عن مواضع العشب، والمتجع: الذي ينزل تلك المواضع.

(٢) الدُّبَا: الجراد.

(٣) تأووكم على حَقِّ: اجتمعوا عليكم بكرامية وغيظ شديدين.

(٤) القلْعُ: السحاب العظيم.

(٥) الصَّبَابَ وَالسَّلْعَا: شَجَرَانِ مُرَّانِ، كُنِيَ بِذَلِكَ عَنِ السَّلَاحِ.

فِي كُلِّ يَوْمٍ يَسْتُونُ الْحِرَابَ لَكُمْ  
 لَا يَهْجَمُونَ إِذَا مَا غَافِلٌ هَجَعًا <sup>(١)</sup>  
 خَزَرُ عِيُونُهُمْ كَأَنَّ لَحْظَهُمْ  
 حَرِيقُ نَارٍ تَرَى مِنْهُ السَّنَا قِطْعًا <sup>(٢)</sup>  
 لَا الْحَزْتُ يَشْغَلُهُمْ بَلْ لَا يَرَوْنَ لَهُمْ  
 مِنْ دُونِ بَيْضَتِكُمْ رِيًّا وَلَا شِبَعًا <sup>(٣)</sup>  
 وَأَنْتُمْ تَخْرُتُونَ الْأَرْضَ عَنْ سَفِهِ  
 فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تَبْغُونَ مُزْدَرَعًا  
 وَتُلْقِحُونَ حِيَالَ السُّوْلِ آوِنَةً  
 وَتَنْتَجُونَ بَدَارِ الْقُلْعَةِ الرُّيْعَا <sup>(٤)</sup>  
 أَنْتُمْ فَرِيقَانِ هَذَا لَا يَقُومُ لَهُ  
 هَضْرُ اللَّيُوثِ وَهَذَا هَالِكٌ صَقْعًا <sup>(٥)</sup>  
 وَقَدْ أَظْلَكُكُمْ مِنْ شَطْرِ ثَغْرِكُمْ  
 هَوْلٌ، لَهُ ظُلْمٌ، تَغْشَاكُمْ قِطْعًا  
 مَالِي أَرَاكُمْ نِيَامًا فِي بُلْهَنِيةِ  
 وَقَدْ تَرَوْنَ شِهَابَ الْحَزْبِ قَدْ سَطَعَا <sup>(٦)</sup>

(١) الهجوع: النوم الخفيف.

(٢) خزر العيون: ضيقوا أجفانهم ليحدوا النظر، والسنا: الضوء.

(٣) بيضة القوم: ساحتهم، وهي هنا كناية عن عقر الدار.

(٤) ناقة حائل: إذا لم تحبل، والسؤل: الثوق اللواقع.

(٥) صقعا: ذهب ومات حتف أنفه: يريد أن يقول أنتم فريقان منكم من سيموت في

القتال، وآخر سيموت حتف أنفه: أي بلا قتال.

(٦) بلهنية: سعة ورفاهية.

فَاشْفُوا غَلِيلِي بِرَأْيِ مِنْكُمْ حَسَنٍ  
يُضْبِحُ فُوَادِي لَهُ رِيَانٌ قَدْ نَقَمَا<sup>(١)</sup>  
وَلَا تُكُونُوا كَمَنْ قَدْ بَاتَ مُكْتَنِعَا  
إِذَا يُقَالُ لَهُ: افْرِجْ غُمَّةَ كُنْعَا<sup>(٢)</sup>  
صُوتُوا جِيَادَكُمْ، وَاجْلُؤَا سُيُوفَكُمْ  
وَجَدُّوا لِلْقَيْسِيِّ النَّبْلَ وَالشَّرْعَا<sup>(٣)</sup>  
وَاشْرُوا تِلَادَكُمْ فِي حِرْزِ أَنْفُسِكُمْ  
وَحِرْزِ نِسْوَتِكُمْ، لَا تَهْلِكُوا جَزْعَا<sup>(٤)</sup>  
وَلَا يَدْعُ بَغْضَكُمْ بَغْضًا لِنَائِبَةٍ  
كَمَا تَرَكْتُمْ بِأَعْلَى بَيْشَةَ النَّخْعَا<sup>(٥)</sup>  
أَذْكُوا الْعُيُونَ وَرَاءَ السَّرْحِ، وَاخْتَرِسُوا  
حَتَّى تُرَى الْخَيْلُ مِنْ تَعْدَائِهَا رُجْعَا<sup>(٦)</sup>

(١) نقعا: شفي غليله، وذهب عطشه.

(٢) مكتنع: حاضر، وقيل: هو المتجمع، وكنع: خضع ولان، والغمة: الكرب والحزن.

(٣) القيسي: الأقواس، وهي صيغة من جمع قوس، والشرع: أوتار الأقواس.

(٤) التلاد: المال القديم، وقيل هو كل ما يورث عن الآباء: من مالٍ وَحَيَوَانٍ وَغَيْرِهِمَا.

(٥) بيشة: قرية غناء في أحد أودية اليمن: والنخع اسم شخص، ينتسب له بطن من بطون العرب، يقول البلاذري في أنساب الأشراف: «كان النخع، وثقيف أخوين من إياد بن نزار - فخرجا ومعهما عترة لبون يشريان لبنها، فعرض لهما مُصَدِّقُ ملك اليمن، فأراد أخذها، فقالا: أنما نعيش بدرها، فرمى أحدهما المصدق، فقتله، فقال أحدهما لصاحبه: إنه لا يحملني وإياك أرض، فأما النخع فمضى إلى «بيشة» فأقام بها، ونزل ثقيف موضعاً قريباً من الطائف».

(٦) السرح: الأشجار العالية، وتعدائها: عدوها، ورجعا: ترجع أيديها في السير، لسرعتها.

فَلَا تُغَرِّتُكُمْ دُثْيَا وَلَا طَمَعُ  
 لَنْ تَنْعَشُوا بِزِمَاعٍ ذَلِكَ الطَّمَعُ<sup>(١)</sup>  
 يَا قَوْمِ بَيَضَتَكُمْ لَا تُفَجِّعُنَّ بِهَا  
 إِنِّي أَخَافُ عَلَيْهَا الْأَزْلَمَ الْجَذْعَا<sup>(٢)</sup>  
 يَا قَوْمِ لَا تَأْمَنُوا، إِنْ كُنْتُمْ غَيْرًا  
 عَلَى نِسَائِكُمْ، كِشْرَى وَمَا جَمَعَا  
 هُوَ الْجَلَاءُ الَّذِي تَبْقَى مَذَلَّتُكُمْ  
 إِنْ طَارَ طَائِرُكُمْ يَوْمًا وَإِنْ وَقَعَا  
 هُوَ الْفَنَاءُ الَّذِي يَجْتَثُّ أَضْلَكُمْ  
 فَمَنْ رَأَى مِثْلَ ذَا رَأْيًا وَمَنْ سَمِعَا  
 فَقَلِّدُوا أَمْرَكُمْ، لَلْهُ دَرُكُمْ،  
 رَحْبَ الذَّرَاعِ، بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُضْطَلِعَا  
 لَا مُشْرِفًا إِنْ رَخَاءَ الْعَيْشِ سَاعِدُهُ  
 وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوءُهُ بِهِ خَشَعَا  
 مُسَهَّدَ النَّوْمِ، تَغْنِيهِ أُمُورُكُمْ  
 يَرُومُ فِيهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مُطْلِعَا  
 مَا انْفَكَ يَحْلُبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ  
 يَكُونُ مُتَّبِعًا يَوْمًا وَمُتَّبِعَا<sup>(٣)</sup>

(١) الزماع: العزم.

(٢) يا قوم: منادى مُرَحِّمٌ، أصله يا قومي وحذفت الياء للترخيم، الْأَزْلَمُ الْجَذْعُ: كناية عن الدهر.

(٣) حَلَبَ الدهر أَشْطَرُهُ: إذا مرَّ به خَيْرٌ وَشَرٌّ، وَشِدَّةٌ وَرَخَاءٌ، وهو مجاز.

وَلَيْسَ يَشْفُلُهُ مَالٌ يُثْمَرُهُ  
 عَنْكُمْ وَلَا وَلَدٌ يَنْفِي لَه الرُّقْعَا  
 حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْبِ مَرِيرَتِهِ  
 مُسْتَحْكِمُ الرَّأْيِ، لَا قَحْمًا وَلَا ضَرْعَا<sup>(١)</sup>  
 كَمَالِكَ بْنِ قَتَانٍ أَوْ كَصَاحِبِهِ  
 زَيْدِ الْقَنَّا يَوْمَ لَأَقَى الْحَارِثِينَ مَعَا  
 إِذْ عَابَهُ عَائِبٌ يَوْمًا فَقَالَ لَهُ:  
 دَمْتُ لِحَنْبِكَ قَبْلَ اللَّيْلِ مُضْطَجِعَا<sup>(٢)</sup>  
 فَسَاوَرُوهُ فَأَلْفَوْهُ أَخَا عَلَلٍ  
 فِي الْحَرْبِ يَحْتَبِلُ الرُّبَالِ وَالسَّبْعَا<sup>(٣)</sup>  
 عِبِلَ الدَّرَاعِ أَبِيًّا ذَا مُزَابِنَةٍ  
 فِي الْحَرْبِ لَا عَاجِزًا نِكَسًا وَلَا وَرْعَا<sup>(٤)</sup>  
 مُسْتَنْجِدًا يَتَحَدَّى النَّاسَ كُلَّهُمْ  
 لَوْ قَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ قَرْعَا

(١) الشَّرُّ: قتلُ الجبلِ جهةَ اليسار، وهو أشدُّ فتله، والقَحْمُ: الكبير السنُّ، والضرع: الضعيف.

(٢) دَمْتُ لِحَنْبِكَ قبلَ النومِ مضطجعاً، وفي رواية أخرى دَمْتُ لِنَفْسِكَ: وهذا مَثَلٌ جاء به لقيط: يضرب للاستعداد للنوابت قبل حلولها، والتدميث: التليين، والدمائة والدمث: اللين.

(٣) ساوروه: واثبوه، ويحتبلُ: يصيد، والرُّبَال: من أسماء الأسد وقيل هو من أسماء الذئب كذلك.

(٤) عِبِلُ الدَّرَاعِينَ: ضخمهما: والمُزَابِنَةُ: التدافع والمصادمة، والنكس: المقصر عن النجدة، والورع: الضعيف الجبان.

لَقَدْ بَدَّلْتُ لَكُمْ نُصْحِي بِلا دَخَلٍ  
 فَاسْتَيْقِظُوا، إِنَّ خَيْرَ الْعِلْمِ مَا نَفَعَا <sup>(١)</sup>  
 هَذَا كِتَابِي إِلَيْكُمْ وَالنَّذِيرُ لَكُمْ  
 فَمَنْ رَأَى رَأْيَهُ مِنْكُمْ وَمَنْ سَمِعَا  
 بِمُقَلَّتِي خَاذِلٍ أَدْمَاءَ طَاعَ لَهَا  
 نَبَتْ الرِّيَاضُ تُزْجِي وَسَطَهُ ذَرَعَا <sup>(٢)</sup>  
 وَوَضَحَ أَشْنَبُ الْأَنْيَابِ ذِي أَشْرِ  
 كَالْأَقْحَوَانِ إِذَا مَا نُورُهُ لَمَعَا <sup>(٣)</sup>  
 إِنِّي أَرَاكُمْ وَأَرْضًا تُفَجَبُونَ بِهَا  
 مَثَلُ السَّفِينَةِ تَغْشَى الْوَعْثَ وَالطَّبْعَا <sup>(٤)</sup>  
 وَتَلْبَسُونَ ثِيَابَ الْأَمْنِ ضَاحِيَةً  
 لَا تَجْمَعُونَ، وَهَذَا الْجَبِشُ قَدْ جَمَعَا  
 يَسْعَى وَيَخْسِبُ أَنَّ الْمَالَ مُخْلِدُهُ  
 إِذَا اسْتَفَادَ طَرِيقًا زَادَهُ طَمَعَا <sup>(٥)</sup>  
 فَاقْنُوا جِيَادَكُمْ وَاخْمُوا ذِمَارَكُمْ  
 وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ لَا تَسْتَشْعِرُوا الْجَزْعَا <sup>(٦)</sup>

- 
- (١) بلا دخل: بلا رية، أي قَدَّمْتُ لَكُمْ نُصْحِي بوضوح.  
 (٢) خِذَالُ أَدْمَاءَ: الظبية التي تخلفت عن القطيع، وتزجي: تسوق برفق.  
 (٣) أَشْنَبُ الْأَنْيَابِ: دَقِيقُهَا، وَالْأَشْرُ: الْأَسْنَانُ الْحَادَّةُ.  
 (٤) الْوَعْثُ: أَرْضٌ مُسْتَرْخِيَةٌ رَطْبَةٌ، وَالطَّبْعُ: الصَّدَأُ الَّذِي يَكْثُرُ عَلَى السَّيْفِ، وَالطَّبْعُ: تَدْنِسُ الْعِرْضَ وَتُلَطِّخُهُ، وَهُوَ مَا اسْتَعَارَهُ لِقِيطِ فِي الْبَيْتِ.  
 (٥) الْعَرِيفُ: الْمَالُ الْجَدِيدُ الْحَادِثُ وَالنَّامِي.  
 (٦) اقْنُوا: اقْتَنُوا: وَالْإِقْتِنَاءُ هُوَ شِرَاءُ لِلنَفْسِ وَلَيْسَ لِلتَّجَارَةِ.

فَإِنْ غَلِبْتُمْ عَلَىٰ ضِمْنٍ بَدَارِكُمْ  
فَقَدْ لَقِيتُمْ بِأَمْرِ حَازِمٍ فَرَعَا<sup>(١)</sup>  
لَا تُلْهِكُمْ إِيَّاهُ، لَيْسَتْ لَكُمْ إِيَّاهُ  
إِنَّ الْعَدُوَّ بِعَظَمٍ مِنْكُمْ قَرَعَا  
لَا تُثْمِرُوا الْمَالَ لِلْأَعْدَاءِ إِنَّهُمْ  
إِنْ يَظْهَرُوا يَخْتَوُوكُمْ وَالتَّلَادَ مَعَا  
هَئِهَاتَ لَا مَالٌ مِنْ زَرْعٍ وَلَا إِيَّاهُ  
يُزَجِّى لِقَابِكُمْ إِنْ أَنْفَكُمْ جُدَعَا  
هَئِهَاتَ مَا زَالَتِ الْأَمْوَالُ مُذْ أَبَدِ  
لَأَهْلِيهَا إِنْ أَجِيبُوا مَرَّةً تَبَعَا  
مَاذَا يُرَدُّ عَلَيْكُمْ عِزُّ أَوْلِيكُمْ  
إِنْ ضَاعَ آخِرُهُ أَوْ ذَلَّ وَانْضَمَّ  
قُومُوا قِيَامًا عَلَىٰ أَمْشَاطٍ أَرْجَلِكُمْ  
ثُمَّ افْرَعُوا، قَدْ بَنَى الْأَمْرَ مَنْ فَرَعَا  
لَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا رَيْثٌ يَخْفِزُهُ  
هَمْ، يَكَادُ حَشَاءُ يَخْطِمُ الضَّلْعَا<sup>(٢)</sup>  
يَا قَوْمِ إِنَّ لَكُمْ مِنْ إِرْثٍ أَوْلَكُمْ  
مَجْدًا قَدْ شَفَقْتُ أَنْ يَفْنَى وَيَنْقَطِعَا

(١) الضَّنُّ: هو ما يختص به الشخص لنفسه ويَضُنُّ به: يبخل لمكانه منه وموقعه عنده.

(٢) إِلَّا رَيْثٌ ذَلِكَ: إِلَّا قَدْرُ ذَلِكَ.

## الأسعر الجعفي

### مَقْصُورَةُ الْخَيْلِ

هَذِهِ قَصِيدَةُ غَضَبٍ، لَمْ يُعْرِفْ لِشَاعِرِهَا سِوَاهَا مَا خَلَا بَعْضَ التُّتَفِ  
وَالْأَبْيَاتِ الشُّعْرِيَّةِ الْمُتَفَرِّقَةِ، حَتَّى أَنْ مَطْلَعَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ظَلٌّ مَنْقُوصًا  
وَحَائِرًا وَتَائِهًا وَقَدْ «خَفِيَ عَلَى النَّاسِ مُذْ دَهْرٍ دَهِيرٍ»<sup>(١)</sup>، وَقَدْ انْفَرَدَ ابْنُ  
رَشِيْقٍ فِي «الْعُمْدَةِ» بِذِكْرِ مَطْلَعِهَا لِكِنَّهُ اكْتَفَى بِإِيرَادِ الشُّطْرِ الْأَوَّلِ مِنْهُ. قَالَ  
الْأَسْعَرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي هِجَاءِ قَوْمِهِ حَتَّى بَلَغَ بِهِ الْأَمْرُ أَنْ فَضَّلَ قَرَسَهُ عَلَى  
أَهْلِهِ، وَلَا يَكَادُ يُضَاهِيهِ شَاعِرٌ فِي وَصْفِ الْخَيْلِ وَتَمْجِيدِهَا، وَكَانَ سَبَبُ  
هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَنَّ الْأَسْعَرَ «وَأَسْمُهُ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي حَمْرَانَ الْجَعْفِيُّ وَهُوَ مِنْ  
قُرَسَانَ الْجَاهِلِيَّةِ» فَقَدْ أَبَاهُ وَهُوَ صَغِيرٌ، فَأَخَذَ أَعْمَامُهُ الدِّيَّةَ وَأَكَلُوهَا،  
وَبَاعُوا خَيْوَلَهُ، فَلَمَّا كَبِرَ الْأَسْعَرُ اتَّخَذَ الْخَيْلَ أَخْلَاءَ، دُونَ الْأَهْلِ  
وَالْأَصْدِقَاءِ. فَتَارَ لِأَبِيهِ، وَاسْتَعَادَ خَيْوَلَهُ، وَكَتَبَ مَقْصُورَتَهُ وَ«وَوَاحِدَتَهُ»  
النَّادِرَةَ هَذِهِ.

---

(١) تخريج مقصورة الأسعر الجعفي وواحدته: «مجلة التراث العربي - دمشق العدد ٨٦  
- ٨٧ (أغسطس) ٢٠٠٢ السنة الثانية و العشرون - مقبل التام عامر الأحمد»

هَلْ بَانَ قَلْبُكَ مِنْ سُلَيْمَى فَاشْتَقَى      وَلَقَدْ غَنَيْتَ بِحُبِّهَا فِيمَا مَضَى  
بَلِّغْ أَبَا حُمْرَانَ أَنَّ عَشِيرَتِي      نَاجُوا وَلِلنَّفَرِ الْمُتَنَاجِينَ التَّوَى <sup>(١)</sup>  
بَاعُوا جَوَادَهُمْ لِتَسْمَنَ أُمُّهُمْ      وَلَكِنِّي بَيْتٌ عَلَى فِرَاشِهِمْ فَتَى  
عِلْجٌ إِذَا مَا ابْتَرَزَ عَنْهَا ثَوْبَهَا      وَتَخَامَصْتُ قَالَتْ لَهُ: مَاذَا تَرَى <sup>(٢)</sup>  
لَكِنْ قَعِيدَةٌ بَيْنَنَا مَجْفُوءَةٌ      بَادٍ جَنَاجِنْ صَدْرُهَا وَلَهَا غِنَى <sup>(٣)</sup>  
تُقْفِي بِعَيْشَةِ أَهْلِهَا مَلْبُونَةٌ      أَوْ جُرْشَعًا عَبَلُ الْمَحَازِمِ وَالشُّوَى <sup>(٤)</sup>  
مَنْ كَانَ كَارَةً عَيْشِهِ فَلْيَأْتِنَا      يَلْقَ الْمَنِيَّةَ أَوْ يَوْؤَبَ لَهُ غِنَى  
وَلَقَدْ عَلِمْتُ عَلَى تَجَنُّبِي الرَّدَى      أَنَّ الْحُصُونَ الْخَيْلُ لَا مَدْرُ الْقَرَى <sup>(٥)</sup>  
رَاحُوا بِصَائِرِهِمْ عَلَى أَكْتَافِهِمْ      وَبَصِيرَتِي يَغْدُو بِهَا عِنْدَ وَآي <sup>(٦)</sup>  
نَهْدُ الْمَرَائِلِ لَا يَزَالُ زَمِينُهُ      فَوْقَ الرُّحَالَةِ مَا يُبَالِي مَا أَتَى <sup>(٧)</sup>  
أَمَّا إِذَا اسْتَذْبَرْتَهُ فَتَسْوُقُهُ      رَجُلٌ قُمُوصُ الْوَقْعِ عَارِيَةُ النَّسَا <sup>(٨)</sup>

(١) أبو حُمران: والد الشاعر، والتوى: الهلاك.

(٢) العِلْجُ: الشديدُ الغليظُ، ابتَرَزَ: انتزع بشدة، وَتَخَامَصْتُ: أي امتنعت وتباعدت.

(٣) الجَنَاجِنْ: عظامُ الصدر.

(٤) فرسٌ ملبونةٌ: تسقى اللبن، والجُرْشَع: عظيمة الصدر منتفخة الجنبين، وعبل

المحازم: غليظ محزمها، والشوى القوائم

(٥) المُنْزَرُ: أسبجة الطين.

(٦) البصائرُ الأولى: التروس، والبصيرة الأخرى: الثأر، العتد: فرس معدة للجري

والوَأَى: الفرس السريعة المقتدرة الخلق.

(٧) المراكِلُ: المكان الذي يركل فيه الفارسُ الفرسَ ليحضها على السير، والرُّحَالَةُ: السرج.

(٨) القموصُ: قمصت الفرس إذا رفعت يديها وطرحتهما معاً وعجنت برجليها، قال

ابن قدامة في هذا البيت وأخويه التاليين في «نقد الشعر»: إن هذا الشاعر قد أتى =

أَمَّا إِذَا اسْتَعْرَضْتَهُ مْتَمَطِرًا فَتَقُولُ: هَذَا مِثْلُ سِرْحَانِ الْغَضَا (١)  
أَمَّا إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ فَكَأَنَّهُ بَارٌّ يُكَفِّفُ أَنْ يَطِيرَ وَقَدْ رَأَى  
إِنِّي وَجَدْتُ الْخَيْلَ عِزًّا ظَاهِرًا تُنْجِي مِنَ الْغَمِّ وَيُكْشِفُ الدُّجَى  
وَيُبَشِّرُ بِالشُّغْرِ الْمَخُوفِ طَوَالِ الْعَا وَيُثَبِّنُ لِلصُّغْلُوكِ جُمَّةَ ذِي الْغَنَى (٢)  
وَإِذَا رَأَيْتَ مُحَارِبًا وَمُسَالِمًا فَلْيَبْغِنِي عِنْدَ الْمُحَارِبِ مَنْ بَغَى  
وَخَصَاصَةً الْجُفْعِي مَا صَاحَبْتَهُ لَا تَنْقُضِي أَبَدًا وَإِنْ قَبِلَ انْقَاضِي (٣)  
إِخْوَانُ صِدْقٍ مَا رَأَوْكَ بِغِبْطَةٍ فَإِنْ افْتَقَرْتَ فَقَدْ هَوَى بِكَ مَا هَوَى  
مَسْحُوا لِحَاهُمْ ثُمَّ قَالُوا: سَالِمُوا يَالَيْتَنِي فِي الْقَوْمِ إِذْ مَسَحُوا اللَّحَى (٤)  
وَكَتِيبَةً لِبَسْتُهَا بِكَتِيبَةٍ حَتَّى تَقُولَ سَرَاتُهُمْ: هَذَا الْفَتَى  
لَا يَشْتَكُونَ الْمَوْتَ غَيْرَ تَغْمُغٍ حَكَّ الْجِمَالِ جُنُوبَهُنَّ مِنَ الشَّدَا (٥)  
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ عَوَابِسًا كَأَصَابِعِ الْمَقْرُورِ أَقْعَى قَاضِطَلَى (٦)

= بجميع الأقسام، فلم يدع قسماً من أقسام النُضْبَةِ التي ترى في الفرس إذا رُئِيَ عليها إلا أتى به.

(١) مْتَمَطِرٌ: مسرعٌ، وَتَمَطَّرَتِ الْخَيْلُ: ذهبت مُسرعةً، وَالسَّرْحَانُ: الذئب، والغضا: شجر، وذئاب الغضا من أخبت الذئاب.

(٢) مَخُوفٌ: يُقَالُ: هَذَا طَرِيقٌ مَخُوفٌ إِذَا كَانَ يُخَافُ فِيهِ، وَلَا يُقَالُ: مُخِيفٌ، لِأَنَّ الطَّرِيقَ لَا تُخِيفُ، وَإِنَّمَا يُخَافُ قَاطِعُهَا، وَالْجُمَّةُ: الْقَوْمُ الَّذِينَ يَطْلُبُونَ النَّارَ.

(٣) الْخَصَاصَةُ: الْفَقْرُ.

(٤) مَسَحُوا لِحَاهُمْ: علامة الصلح.

(٥) التَّغْمُغُ: أَصْوَاتُ الْفِرْسَانِ فِي الْقِتَالِ، وَالشَّدَا: ذُبَابُ الْكَلْبِ يَقَعُ عَلَى الدُّوَابِ فَيُؤْذِيهَا.

(٦) عَوَابِسُ: غَضَابٌ، وَالْمَقْرُورُ: الْبَارِدُ، وَهُوَ الَّذِي أَصَابَهُ الْقَرُّ، وَأَقْعَى: جَلَسَ مُتَسَانِدًا إِلَى مَا وَرَاءَهُ، وَاصْطَلَى: اسْتَدْفَأَ.

يَتَخَالَسُونَ نُفُوسَهُمْ بِنَوَافِدٍ      فَكَأَنَّمَا عَضُّ الكُمَاةِ عَلَى الْحَصَى <sup>(١)</sup>  
فَإِذَا شَدَذَتْ شَدَذْتُ غَيْرَ مُكَذِّبٍ      وَإِذَا طَعَنْتُ كَسَرْتُ رُمْحِي أَوْ مَضَى  
مِنْ وَلَدٍ أَوْدٍ عَارِضِي أَرْمَاحِهِمْ      أَنَهَلْتُهُمْ بَاهَى الْمُبَاهِي وَانْتَمَى <sup>(٢)</sup>  
يَا رَبُّ عَرَجَلَةٍ أَصَابُوا خَلَّةَ      دَابُّوا وَحَارَدَ لَيْلُهُمْ حَتَّى بَكَى <sup>(٣)</sup>  
بَاتَتْ شَامِيَةُ الرِّيَّاحِ تَلْفُهُمْ      حَتَّى أَتَوْنَا بَعْدَمَا سَقَطَ النَّدَى  
فَنَهَضْتُ فِي الْبَرْكِ الْهَجُودِ وَفِي يَدِي      لَذْنُ الْمَهْزَةِ ذُو كُعُوبٍ كَالنُّوَى <sup>(٤)</sup>  
أَخَذَيْتُ رُمْحِي عَائِطًا مَمْكُورَةً      كَوْمَاءَ أَطْرَافِ الرُّمَاحِ لَهَا خَلَا <sup>(٥)</sup>  
فَتَطَايَرَتْ عَنِّي وَقُمْتُ بِعَاتِرٍ      صَدَقِ الْمَهْزَةِ ذُو كُعُوبٍ كَالنُّوَى <sup>(٦)</sup>  
بَاتَتْ كِلَابُ الْحَيِّ تَسْنَحُ بَيْنَنَا      يَأْكُلْنَ دَعْلَجَةً وَيَشْبَعُ مَنْ عَفَا <sup>(٧)</sup>  
وَمِنَ اللَّيَالِي لَيْلَةٌ مَزُودَةٌ      غَبْرَاءُ لَيْسَ لِمَنْ تَجَشَّمَهَا هُدَى <sup>(٨)</sup>  
كَلَّفْتُ نَفْسِي حَدَّهَا وَمِرَاسَهَا      وَعَلِمْتُ أَنَّ الْقَوْمَ لَيْسَ بِهَا عَنَا  
وَمُنَاهِبٍ أَقْصَدْتُ وَسَطَ جُمُوعِهِ      وَعِشَارِ رَاعٍ قَدْ أَخَذْتُ فَمَا تَرَى  
ظَلْتُ سَنَابِكُهَا عَلَى جُثَمَانِهِ      يَلْعَبْنَ دُخْرُوجَ الْوَلِيدِ وَقَدْ قَضَى

(١) رماح نوافد: مواضع مختبرات.

(٢) أود: أود بن صعب بن سعد العنيزة وهو جد الأفوه الأودي الشاعر.

(٣) العرجلة: الجماعة المشاة، وحاردا: غصب.

(٤) البرك: الإبل البروك، أو البركة، لذن المهزة: يقصد به الرمح الذي يهتز من لحيته.

(٥) أخذيت: أعطيت، والعائط: الحائل، وهي الناقة التي بلغت في سنها الأولى ولم

تحمل، الممكورة: مستديرة الساقين، الكوماء: عظمة السنام طويلة.

(٦) رمح عاتر: رمح مضطرب.

(٧) الدعلجة: الأكل بنهم.

(٨) مزودة: من الزود: وهو الفرع والدغر.

وَلَقَدْ ثَارَتْ دِمَاءُنَا مِنْ وَاتِرِ  
بَانَ الْخَلِيطُ وَلَمْ أَفَارِقْ عَنْ قَلِي  
وَالْهَمُّ مَا لَمْ نَمُضِهِ لِسَبِيلِهِ  
أَمَلٌ تَبَوَّأُ فِي مَنَازِلِ ذُلِّهِ  
أَخْيَاؤُهُمْ عَارٌ عَلَى مَوْتَاهُمْ  
وَإِذَا تُصَاحِبُهُمْ تُصَاحِبُ خَانَهُ  
لَا يَفْرَعُونَ إِلَى مَخَافَةِ جَارِهِمْ  
هَلْ فِي السَّمَاءِ لِمَصَاعِدٍ مِنْ مُرْتَقَى  
لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ سَبِيلِ وَاضِحٍ  
عَجَبًا عَجِبْتُ لِمَنْ يُدْنِسُ عِرْضَهُ  
وَالثُّوبُ يَخْلُقُ ثُمَّ يُشْرَى غَيْرُهُ  
إِلَّا رَوَاكِدَ بَيْنَهُنَّ خَصَاصَةً  
وَمُجَوِّفَاتٍ قَدْ عَلَا أَجْوَاظُهَا  
فَالْيَوْمَ إِنْ كَانَ الْمُنُونُ قَدْ اشْتَقَى  
نَيْسِي الْحَبِيبَ وَقُلْ صَبَوْتُهُ الْقَلَى  
لَيْسَ الْمُفَارِقُ بِأُأَمِيمٍ كَمَنْ نَأَى  
وَالْمَيْتُونُ شِرَارٌ مَنْ تَحْتَ الثَّرَى  
وَمَتَى تُفَارِقُهُمْ تُفَارِقُ عَنْ قَلَى  
وَإِذَا عَوَى ذَيْبٌ بِصَاحِبِهِ عَوَى  
أَمْ هَلْ لِحَثْفٍ رَاصِدٍ مِنْ مُنْتَأَى؟  
سَيِّانٍ فِيهِ مَنْ تَصْفَلُكَ وَاقْتَنَى  
إِذْ لَا ذَلِيلَ أَذِلُّ مِنْ وَادِي الْقُرَى  
وَالْعِرْضُ بَعْدَ ذَهَابِهِ لَا يُشْتَرَى  
وَيَصُونُ حُلَّتُهُ يُوقِيهَا الْأَدَى  
سُفْعَ الْمَنَاجِبِ كُلُّهُنَّ قَدْ اضْطَلَى<sup>(١)</sup>  
أَسَارَ جُرْدٍ مُثْرَصَاتٍ كَالنُّوَى<sup>(٢)</sup>

(١) الرَوَاكِدُ: الأثافي مشتق من ثباتها، والخصاصة: الفتحة بين الأثافي، السفع: سواد على حمرة، أي تحولت سمراء على حمرة.

(٢) المجوفات: المجوف من الدواب: الذي يصعد فيه البلق حتى يبلغ البطن. علا أجوازها: علا التجويف أوساطها، وأسار: بقايا، والجرد: الخيل قصار الشعر، ومثرصات: أي ملتصقات ومتماسكات، والنوى: جمع نواة أي صلبة كنواة التمر.

## الأفوه الأودي

### الحياة ثوب مستعار

اسمهُ صَلاءَةُ بْنُ عَمْرٍو، وَسُمِّيَ بِالْأَفْوِهِ لِأَنَّهُ كَانَ غَلِيظَ الشَّفَتَيْنِ ظَاهِرَ  
الْأَمْنَانِ. شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ، كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ وَقَائِدَهُمْ وَشَاعِرَهُمْ، لَهُ شِعْرٌ  
قَلِيلٌ. تُنْتَقَى قَصِيدَتُهُ هَذِهِ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ عَلَى أَنَّهَا «وَاحِدَتُهُ» الَّتِي  
لَا يَرْقَى إِلَيْهَا سَائِرُ شِعْرِهِ، نَقَلَ صَاحِبُ الْأَغَانِي عَنْ بَعْضِهِمْ: «الْأَفْوَهُ مِنْ  
كِبَارِ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ» وَوَصَفَ ابْنُ قُتَيْبَةَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فِي «الشُّعْرِ  
وَالشُّعَرَاءِ» بِأَنَّهَا «مِنْ جَيِّدِ شِعْرِ الْعَرَبِ» لِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ تَحْوِيلِ  
التَّجَرِبَةِ الشَّخْصِيَّةِ الشُّعُورِيَّةِ إِلَى «أَمْثَالِ سَائِرَةِ» تُجَسِّدُ خِبْرَةَ حَيَاةٍ وَتُلْخِصُ  
مَوْقِفًا إِزاءَ الْعَالَمِ الَّذِي وَجَدَ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ فِيهِ.

إِنْ تَرَى رَأْسِي فِيهِ قَرْعٌ وَشَوَاتِي خَلَّةٌ فِيهَا دَوَارٌ<sup>(١)</sup>  
أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ لَوْنٍ وَاحِدٍ وَهِيَ لَوْنَانِ وَفِي ذَاكَ إِحْتِبَارٌ  
فَصُرُوفُ الذُّهْرِ فِي أَطْبَاقِهِ خِلْعَةٌ فِيهَا إِرْتِفَاعٌ وَإِنْجِدَادٌ

---

(١) القَرْعُ: شعرات متفرقة في الرأس، والشوأة: جلدة الرأس.

بَيْنَمَا النَّاسُ عَلَى عَلَيَّائِهَا إِذْ هَوُوا فِي هَوَا مِنْهَا فَغَارُوا  
 إِنَّمَا نِعْمَةٌ قَوْمٍ مُنْعَةٌ وَحَيَاةُ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُسْتَعَارٌ  
 وَلِيَالِيهِ إِلَّا لِلْقَوَى مِنْ مُدَاةٍ تَخْتَلِيهَا وَشِفَارُ<sup>(١)</sup>  
 تَقَطَّعُ اللَّيْلَةُ مِنْهُ قُوَّةٌ وَكَمَا كَرِثَ عَلَيْهِ لَا تُغَارُ  
 حَتَّمَ الدَّهْرُ عَلَيْنَا أَنَّهُ ظَلَفَ مَا نَالَ مِنَّا وَجُبَارُ<sup>(٢)</sup>  
 فَلَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَذْوَةٌ لَيْسَ عَنْهَا لِامْرِئٍ طَارَ مَطَارُ  
 رَيْشَتْ جُرْهُمُ نَبْلًا قَرَمَى جَزُهُمَا مِنْهُنَّ فَوْقَ وَغِرَارُ<sup>(٣)</sup>  
 عَلَّمُوا الطُّغْنُ مَعْدًا فِي الْكُلَى وَادْرَاعُ اللَّامِ فَالْطَّرْفُ يَحَارُ<sup>(٤)</sup>  
 وَرُكُوبَ الْخَيْلِ تَعْدُو الْمَرَطَى قَدْ عَلَاهَا نَجْدٌ فِيهِ إِخْمِرَارُ<sup>(٥)</sup>  
 يَا بَنِي هَاجِرٍ سَاءَتْ خُطَّةٌ أَنْ تَرُومُوا النُّصْفَ مِنَّا وَتُجَارُ  
 إِنْ يَجُلُ مُهْرِي فِيكُمْ جَوْلَةٌ فَعَلَيْنِي الْكَرُفِيكُمْ وَالْغَوَارُ  
 كَشِهَابِ الْقَذْفِ يَرْمِيكُمْ بِهِ فَارِسٌ فِي كَفِّهِ لِلْحَرْبِ نَارُ  
 شَنْ مِنْ أَوْدِ عَلَيَّكُمْ شَنَّةٌ إِنَّهُ بِخَيْمِي حِمَاهَا وَيَغَارُ  
 فَارِسٌ صَفْدَتُهُ مَسْمُومَةٌ تَخْضِبُ الرُّمَحَ إِذَا طَارَ الْغُبَارُ<sup>(٦)</sup>

(١) الإلَالُ: الْحِرَابُ، وَالشَّفَارُ: السَّكَاكِينُ.

(٢) الْجُبَارُ: الْهَذَرُ، يُقَالُ ذَهَبَ دُمُهُ جُبَارًا أَيْ هَذَرًا، وَظَلَفَ: بَاطَلَ، وَيُقَالُ ذَهَبَ ظَلْفًا أَيْ مَجَانًا.

(٣) جُرْهُمُ: قَبِيلَةٌ مِنْ عَرَبِ الْيَمَنِ الْبَائِدَةِ، وَالْفَوْقُ: وَتَرُ السَّهْمُ، وَالْغَرَارُ: حَدُّ الرُّمَحِ وَالسَّيْفِ وَالسَّهْمِ.

(٤) اللَّامُ: جَمْعُ لَامَةٍ، وَهِيَ الدَّرْعُ.

(٥) الْمَرَطَى: نَوْعٌ مِنَ الْعَدُوِّ مَتَوَسِّطُ الشَّرْعَةِ، وَالنَّجْدُ: الْعَرَقُ.

(٦) الصَّعْدَةُ: الْقَنَاءَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ.

مُسْتَطِيرٌ لَيْسَ مِنْ جَهْلٍ وَهَلْ  
يَخْلُمُ الْجَاهِلُ لِلْسِلْمِ وَلَا  
نَحْنُ أَوْدٌ وَلَا أَوْدٌ سُئِنَةٌ  
سُئِنَةٌ أَوْرَثْنَاهَا مَذْجِجٌ  
نَحْنُ قُذْنَا الْخَيْلَ حَتَّى انْقَطَعَتْ  
كُلَّمَا سِرْنَا تَرَكْنَا مَنْزِلًا  
وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا  
جَحْفَلٌ أَوْرَقٌ فِيهِ هَبْوَةٌ  
تَرَكَ النَّاسُ لَنَا أَكْتَافَهُمْ  
مُلْكُنَا مُلْكُ لَقَاحٍ أَوَّلٌ  
وَلَقَدْ كُنْتُمْ حَدِيثًا زَمَعًا  
نَحْنُ أَضْحَابُ شَبَا يَوْمَ شَبَا  
عَنْكُمْ فِي الْأَرْضِ إِنَّا مَذْجِجٌ  
لِأَخِي الْجِلْمِ عَلَى الْحَرْبِ وَقَارُ  
يَقِرُّ الْجِلْمُ إِذَا مَا الْقَوْمُ غَارُوا  
شَرَفٌ لَيْسَ لَنَا عَنْهُ قَصَارُ  
قَبْلَ أَنْ يُنْسَبَ لِلنَّاسِ نَزَارُ  
شُدُنُ الْأَفْلَاءِ عَنْهَا وَالْمِهَارُ<sup>(١)</sup>  
فِيهِ شَتَّى مِنْ سِبَاعِ الْأَرْضِ غَارُوا  
رَأَى عَيْنِ ثِقَّةٍ أَنْ سَتُمَارُ<sup>(٢)</sup>  
وَتُجْسِمُ تَتَلَطَّى وَشَرَارُ<sup>(٣)</sup>  
وَتَوَلَّوْا لَاتَ لَمْ يُغْنِ الْفِرَارُ  
وَأَبُونَا مِنْ بَنِي أَوْدٍ خِيَارُ  
وَذُنَابُنِي حَيْثُ يَخْتَلُ الصَّغَارُ<sup>(٤)</sup>  
بِصَفَاحِ الْبَيْضِ فِيهِنَّ إِظْفَارُ<sup>(٥)</sup>  
وَرَوِيدَا يَفْضَحُ اللَّيْلَ النَّهَارُ

(١) شُدُنُ الْأَفْلَاءِ: ظباء الفلوات.

(٢) سَتُمَارُ: ستجدُ مِيرَتَهَا، أي الطعام، بمعنى أن الطير تتبع آثارنا لأنها مستجد القوت من جُثث أعدائنا.

(٣) الهبوة: الغيرة.

(٤) الصَّغَارُ: الذل والضييم.

(٥) شبا: أرض باليمن وقعت فيها حرب بين أهل اليمن وبكر، كما جاء في «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للأندلسي».

## عَبْدُ يَغُوثِ الْحَارِثِيِّ

### لِسَانُ الْأَسِيرِ

شَاعِرُ جَاهِلِيٍّ أَسْرَتْهُ قَبِيلَةُ تَمِيمٍ فِي يَوْمِ الْكُلابِ الثَّانِي - وَالْكُلابُ :  
اسْمُ وَادٍ وَفِيهِ كَانَ الْكُلابُ الْأَوَّلُ وَالْكُلابُ الثَّانِي وَهُمَا مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ  
الْمَشْهُورَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَقِيلَ إِنَّمَا سُمِّيَ بِالْكُلابِ لَمَّا لَقُوا فِيهِ مِنَ الشَّرِّ  
فِي الْمَعَارِكِ - فَشَدُّوا لِسَانَهُ بِنِسْعَةٍ «وَفِي سَيْرٍ جَلِيدِيٍّ، يَسْتَعْمَلُ عِتَانًا  
لِلْفَرَسِ» خَوْفًا مِنْ أَنْ يَهْجُوهُمْ، وَلَمْ يَقْوَ إِلَّا فِي وَقْتِ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ .  
وَطَلَبُوا مِنْهُ، بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَخْتَارَ كَيْفَ يُقْتَلُ، فَقَالَ لَهُمْ: أَطْلِقُوا لِسَانِي  
حَتَّى أَذُمَّ قَوْمِي، وَأَتُوحَّ عَلَى نَفْسِي، وَاقْتُلُونِي قَتْلَةً كَرِيمَةً بِأَنْ تَسْقُونِي  
خَمْرًا صِرْفًا وَتَقْطَعُوا شَرَائِنَ يَدَيَّ فَأَنْزِفَ حَتَّى الْمَوْتِ .  
قَالَ الْجَاحِظُ: مَا قَرَأْتُ فِي الشُّعْرِ كَشَعْرِ عَبْدِ يَغُوثِ بْنِ صَلَاءِ  
الْحَارِثِيِّ، وَطَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ، وَهَذَبَةَ بْنِ الْخَشْرَمِ فَإِنَّ شِعْرَهُمْ فِي الْخَوْفِ  
لَا يَقْصُرُ عَنْ شِعْرِهِمْ فِي الْأَمْنِ، وَهَذَا قَلِيلٌ جَدًّا.

أَلَا تَلُومَانِي كَفَى اللَّؤْمُ مَا بِيَا  
وَمَا لَكُمْ فِي اللَّؤْمِ خَيْرٌ وَلَا لِيَا

أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَأَةَ نَفَعَهَا  
 قَلِيلٌ، وَمَا لَوْمِي أَخِي مِنْ شِمَالِيَا<sup>(١)</sup>  
 فَيَا رَاكِباً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِ  
 نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانٍ، أَنْ لَا تَلَاقِيَا  
 أَبَا كَرْبٍ وَالْأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا  
 وَقَيْساً بِأَعْلَى حَضْرَمَوْتَ الْيَمَانِيَا<sup>(٢)</sup>  
 جَزَى اللَّهُ قَوْمِي بِالْكَلَابِ مَلَأَةً  
 صَرِيحَهُمُ وَالْآخِرِينَ الْمَوَالِيَا<sup>(٣)</sup>  
 وَلَوْ شِئْتُ نَجَّيْتَنِي مِنَ الْخَيْلِ نَهْدَةً  
 تَرَى خَلْفَهَا الْحَوْ الْجَبَادَ تَوَالِيَا<sup>(٤)</sup>  
 وَلِكَيْتَنِي أَخِي ذِمَارَ أَبِيكُمْ  
 وَكَانَ الرُّمَاحُ يَخْتَطِفُنَ الْمُحَامِيَا

- 
- (١) شِمَالِيَا: خلقي، وهي مُفْرَدَةٌ من: الشمالي.
- (٢) أبو كرب والأيهمان وقيس: هؤلاء كانوا نداماه هناك قبل أسريه، فذكرهم عند أسريه وحن إليهم؛ وقد نُصِبَت الأسماء على «البدل من نداماي» وأبو كرب والأيهمان من اليمن، وقيس هو: ابن معد يكرب، أبو الأشعث بن قيس الكندي؛ ويروى أن قيساً هذا لما بلغه هذا البيت قال: لبيك، وإن كنت قد أخرتني.
- (٣) الصريح: الخالص والمحض، والموالي: الحلفاء المنضمون إليهم، والكلاب: اسم موضع الوقعة.
- (٤) النهدة: التلة، وكل ما ارتفع يقال له نهد، والحو من الخيل: التي يميل لونها إلى الخضرة «بمعنى السواد» وتواليا: جمع تالية أي: إن فرسي لخفتها تسبق الحو فهي تتلو فرسي.

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ:

أَمَغْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا عَنْ لِسَانِيَا<sup>(١)</sup>

أَمَغْشَرَ تَيْمٍ قَدْ مَلَكَتُمْ فَأَسْجَحُوا

فَإِنْ أَخَاكُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَوَائِيَا<sup>(٢)</sup>

فَإِنْ تَفَثَّلُونِي تَفَثَّلُوا بِِي سَيِّدَا

وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرِبُونِي بِمَالِيَا<sup>(٣)</sup>

أَحَقُّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ سَامِعَا

نَشِيدَ الرُّعَاءِ الْمُغْرِبِينَ الْمَتَالِيَا<sup>(٤)</sup>

وَنَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةً عَبْشَمِيَّةً

كَأَنَّ لَمْ تَرِنِي قَبْلِي أَسِيرَا يَمَانِيَا<sup>(٥)</sup>

وَوَظَلَّ نِسَاءَ الْحَيِّ حَوْلِي رُكُودَا

يُرَاوِدُنَّ مِنِّي مَا تُرِيدُ نِسَائِيَا<sup>(٦)</sup>

(١) النِّسْعَةُ: سير مضفور على شكل أعنة الخيل.

(٢) أسجحوا: بمعنى سهلوا ويسروا، والبواء: السواء، أي: لم يكن أخوكم نظيراً لي فأكون بواء له.

(٣) تحريوني: تسلبوني وَحَرَبَهُ: بمعنى أخذ ماله.

(٤) الرُّعَاءُ: جَمْعُ رَاعٍ. وَالْمُغْرِبُ: الْمُتَنَحِّي بِإِبْلِهِ، وهو اسم فاعل من أعزب والمتالي: الأبل التي تتلوها أبناؤها، وقيل هي التي وَلَدَتْ من قبل، وفي بطونها أولاد جُدد.

(٥) عبشمية: نسبة إلى عبد شمس، وكان الذي أسر عبد يغوث، فتى أهوج من عبد شمس، ولما رآته أم الفتى في أسره وكان عظيم الجسد جميلاً سألته من أنت؟ فأجابها: أنا سيّد القوم، فضحكك منه وقالت له: وكيف أسرك هذا الأهوج؟ وإليها يشير في البيت.

(٦) راودته عن نفسها: دعتُهُ إِلَى إقامَةِ فِعْلِ الْجَنَسِ، جاء في سورة يوسف: -

وَقَدْ عَلِمْتُ عِرْسِي مُلَيْكَةً أَنِّي  
 أَنَا اللَّيْتُ مَعْدُوءٌ عَلَيَّ وَعَادِيَا<sup>(١)</sup>  
 وَقَدْ كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمُعْمِلَ الْمَطِيِّ وَأَمْضِي حَيْثُ لَا حَيٍّ مَاضِيًا<sup>(٢)</sup>  
 وَأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الْكَرَامَ مَطِيئِي  
 وَأُضْدَعُ بَيْنَ الْقَيْنَتَيْنِ رِدَائِيَا<sup>(٣)</sup>  
 وَكُنْتُ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَمَسَهَا الْقَنَا  
 لَبِيْقًا بَتَضْرِيْفِ الْقَنَاةِ بَنَائِيَا<sup>(٤)</sup>  
 فَيَا عَاصِرُ فُكِّ الْقَبْدِ عَنِّي فَلِئَنِّي  
 صَبُورٌ عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ نَاكِِيَا<sup>(٥)</sup>  
 وَعَادِيَةِ سَوْمِ الْجَرَادِ وَزَعَثُهَا  
 بِكَفِّي وَقَدْ أَنْحَاوْا إِلَيَّ الْعَوَالِيَا<sup>(٦)</sup>  
 كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ  
 لِخَيْلِي كُرِّي، نَفْسِي عَنْ رَجَالِيَا

= ﴿وَقَالَ يَسُوهُ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرْوَدُ فَتُنْهَضُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ فجعل الفعل لها.

- (١) عرسي: امرأتي، المرأة عرس الرجل، وهو عرسها.
- (٢) الجزور: السمين من الإبل الصالحة للطعام، وطريق معول: واضح المسلك، يريد أنه كريم مع الضيف، وبيته طريق سالكة للضيوف الراكبين على المطي.
- (٣) الشرب: الشاربون، جمع شارب، وأصدع: أشق والقينة: الجارية.
- (٤) لبيقاً: من اللباقة، وهي حذاقة الرجل بما يعمل.
- (٥) ناكيا: من نكى بالعدو: أي هزمه وانتصر عليه، والحوادث، النوائب والمصائب، يريد هنا إنه كان يهزم تلك النوائب بالصبر.
- (٦) العادية: القوم الذين يعدون، من العدو، وسوم الجراد: انتشاره، ووزعتها: كفتها، وأنحوا إلي: مالوا علي، والعوالي: قناة الرمح.

وَلَمْ أَتَّبِعْ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ وَلَمْ أَقْلُ  
لَا يَسَارِ صِدْقٍ: أَغْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا (١).

---

(١) سبأ الخمر: اشتراه للشرب لا للبيع، والأيسار: الذين يضربون القداح، جمع  
ياسر، والزق: وعاء الخمر.

## عَمْرُو بْنُ قَعَّاسٍ الْمُرَادِي

### الْبَيْتُ الْمُسَافِرُ

تُعْرَفُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِتَأْيِيدِ عَمْرُو بْنِ قَعَّاسٍ الْمُرَادِيِّ، وَهُوَ شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ لَمْ تَكْشِفِ الْمَصَادِيرُ عَنْ قَصِيدَةٍ لَهُ سِوَى هَذِهِ التَّائِيَةِ، قَالَ عَنْهُ الْمَعَرِّيُّ فِي رَسَائِلِهِ: «وَقَدْ زَعَمَتِ الرُّوَاةُ أَنَّ عَمْرُو بْنَ قَعَّاسٍ سَكَرَ فَذَبَحَ ابْنَهُ وَلِذَلِكَ قَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ، وَيَسْتَشْهِدُونَ بِبَيْتِهِ»: وَلَحْمٌ لَمْ يَذُقْهُ النَّاسُ قَبْلِي، أَكَلْتُ عَلَى خَلَاءٍ وَانْتَقَيْتُ.

أَلَا يَا بَيْتُ بِالْعَلِيَاءِ بَيْتُ	وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ
أَلَا يَا بَيْتُ أَهْلُكَ أَوْعَدُونِي	كَأَنِّي كُلُّ ذَنْبِهِمْ جَنَيْتُ
إِذَا مَا فَأْتَنِي لَحْمٌ غَرِيضُ	ضَرَنْتُ ذِرَاعَ بَكْرِي فِاشْتَوَيْتُ
أَرْجُلُ لِمَنِي وَأَجْرُ ذَيْلِي	وَتَخْمِلُ شِكْمِي أَفْقُ كُمَيْتُ
وَسُودَاءِ الْمَحَاجِرِ إِلْفِ صَخْرِ	تُلَاحِظُنِي التَّطَلُّعُ قَدْ رَمَيْتُ
وَعُضْنٍ لَمْ تَنْلُهُ كَفُّ جَانٍ	مَلَذْتُ إِلَيْهِ كَفِّي فِاجْتَلَيْتُ
وَتَأْمُورٍ هَرَقْتُ وَلَيْسَ خَمْرًا	وَحَبَّةٌ غَيْرِ طَاحِنَةٍ قَضَيْتُ <sup>(١)</sup>

(١) التامورُ: مهجة النفس.

وَبَرَكٍ قَدْ أَثَرْتُ بِمَشْرِفِي  
وَعَادِيَةِ لَهَا ذَنْبٌ طَوِيلُ  
أَتَيْتُ بِأَطْلِي فَيَكُونُ حَقًّا  
مَتَى مَا يَأْتِنِي يَوْمِي يَجِدُنِي  
وَكَمْ مِنْ لَأِيمٍ فِي الْخُمْرِ زَارِ  
وَأَنَسَةِ حَدْوْتُ وَلَمْ أَدْنِهَا  
فَلَمَّا أَنْ وَهَتْ قَرْنَتْ وَلَانَتْ  
وَبَيْتٍ لَيْسَ مِنْ شَعْرِ وَصُوفِ  
وَبَيْتٍ قَدْ أَتَيْتُ حَوَالَ بَيْتِ  
وَجَمَاءَ الْمَرَافِقِ قَدْ دَعَنْتَنِي  
وَجَارِيَةِ تُنَازِعُنِي رِدَائِي  
تَقُولُ فَضَحْتَنِي وَرَأَاكَ قَوْمِي  
أَلَا بَكَرَ الْعَوَازِلُ فَاِسْتَمَيْتُ  
وَكُنْتُ إِذَا أَرَى زِقًا مَرِيضًا  
أَمْشِي فِي سَرَاةِ بَنِي غُطَيْفِ  
وَعُضُنِ بَأَنَ مِنْ عِضِهِ رَطِيبِ  
وَمَاءٍ لَيْسَ مِنْ عِدِّ رَوَاءِ  
وَلَحْمٍ لَمْ يَذُقْهُ النَّاسُ قَبْلِي  
وَصَائِرَةٌ مَعَا وَالْوَرْدُ شَتَّى  
وَنَارٍ أَوْقَدْتُ مِنْ غَيْرِ زَنْدِ  
وَلَمْ أَذْبِرْ عَنِ الْأَذْنَيْنِ إِنِّي

إِذَا مَا زَلَّ عَنْ عُفْرِ رَمِيَتْ  
رَدَدْتُ بِمُضْغَةٍ فِيمَا اشْتَهَيْتُ  
وَحَقًّا غَيْرَ ذِي شَبِّهِ لَوْنَتْ  
شِبَعْتُ مِنَ اللَّذَازَةِ وَاشْتَفَيْتُ  
عَلَيَّ غَدَا يَلُومُ فَمَا إِزْعَوَيْتُ  
فَأَعَجَبَنِي طَرَاوَةُ مَا حَدَوْتُ  
وَجَاءَتْ فِي الْجَذَاءِ كَمَا اشْتَهَيْتُ  
عَلَى ظَهْرِ الْمَطِيَّةِ قَدْ بَنَيْتُ  
وَبَيْتٍ مَا أَحَاوَلُهُ أَتَيْتُ  
لِتُدْخِلَنِي فَقُلْتُ لَهَا أَبَيْتُ  
أَمَامَ الْحَيِّ لَيْسَ عَلَيَّ بَيْتُ  
وَمَا عُدْرِي الْآنَ وَقَدْ رَتَيْتُ  
وَهَلْ أَنَا خَالِدٌ إِمَّا صَحَوْتُ  
يُنَاحُ عَلَيَّ جِنَازَتُهُ بَكَيْتُ  
إِذَا مَا سَاءَ بَنِي أَمْرُ أَبَيْتُ  
مَصَرْتُ إِلَيَّ مِنْهُ فَاِجْتَنَيْتُ  
وَلَا مَاءَ السَّمَاءِ قَدْ اشْتَفَيْتُ  
أَكَلْتُ عَلَى خَلَاءٍ وَانْتَقَيْتُ  
عَلَى أَذْبَارِهَا أَصْلًا حَدَوْتُ  
أَثَرْتُ جَمِيمَهَا ثُمَّ اضْطَلَيْتُ  
نَائِي الْأَكْرَمُونَ وَمَا نَأَيْتُ

## الْمُنْخَلُّ الْيَشْكُرِي

### أَحِبُّهَا وَتَحِبُّنِي

شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ مَشْهُورٌ بِوَسَامَتِهِ، كَانَ أَحَدَ نَدَامَى النُّعْمَانِ بْنِ الْمُثَنِّرِ،  
وَيُتَّهَمُ بِعِلَاقَةٍ مَعَ زَوْجَتِهِ الْمُتَجَرِّدَةِ، وَيَذْكُرُ صَاحِبُ الْأَغَانِي: أَنَّ الْعَرَبَ  
تَقُولُ أَنَّ ابْنِي النُّعْمَانِ مِنْهَا كَانَ مِنَ الْمُنْخَلِّ، أُوْرِدَ ذَلِكَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي  
«الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ» وَثَنَّى عَلَيْهِ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي كِتَابِ «الْأَغَانِي»  
وَهُنَاكَ قِصَّةٌ غَرِيبَةٌ بِهَذَا الشَّانِ تَتَعَلَّقُ بِالنَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيَّةِ وَقِصِيدَتِهِ الدَّالِيَّةِ فِي  
الْمُتَجَرِّدَةِ، رُبَّمَا تَحْتَاجُ إِلَى دِرَاسَةٍ مُقَارِنَةٍ مَعَ «وَاحِدَةِ» الْمُنْخَلِّ هَذِهِ.

إِنْ كُنْتَ عَازِلَنِي فَمِسِيرِي نَحْوَ الْعِرَاقِ، وَلَا تَحْزُونِي  
لَا تَسْأَلْنِي عَنْ جُلِّ مَالِي وَأَسْأَلْنِي كَرَمِي وَخَيْرِي  
وَقَوَارِسِ كَأَوَارِ خَرِّ النَّارِ، أَخْلَاسِ الذُّكُورِ<sup>(١)</sup>  
شَدُّوا دَوَابِرَ بَيْضِهِمْ فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ الْقَتِيرِ  
وَأَسْتَلَّمُوا وَتَلَبَّبُوا إِنَّ التَّلَبُّبَ لِلْمُغِيرِ

---

(١) أخلاسُ الذكور: الذين يلزمون ظهورَ الخيل.

وَعَلَى الْجِيَادِ الْمُضْمَرَاتِ فَوَارِسٌ مِثْلُ الضُّفُورِ  
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ الْغُبَارِ يَجْفَنَ بِالنَّعَمِ الْكَثِيرِ  
يَرْفُلْنَ، فِي الْمِسْكِ الذِّكْيِ وَصَائِكَ كَدَمِ النَّجِيرِ<sup>(١)</sup>  
يَفْكُفْنَ مِثْلَ أَسَاوِدِ التَّنُومِ لَمْ تُفَكِّفْ لِرُودِ<sup>(٢)</sup>  
أَثَرْتُ عَيْنِي مِنْ أَوْلَيْكَ وَالْفَوَائِحِ بِالْمَبِيرِ  
فَإِذَا الرِّيحُ تَنَاوَحَتْ بِجَوَانِبِ الْبَيْتِ الْكَاسِيرِ  
أَلْقَيْتَنِي هَشَّ الْيَدَيْنِ بِمَزِيٍّ قَدْجِي أَوْ شَجِيرِي<sup>(٣)</sup>  
وَلَهُنَّ أَبْوَأْفَعِي فَقُلْدَنِي أَبْوَأْفَعِي جَرِيرِي  
وَجَلَالَةِ خَطَاةٍ هَوَجَاءَ جَائِلَةِ الضُّفُورِ  
تَعْدُو بِأَشْعَثَ قَدْوَمِي سِرْبَالُهُ بَاقِي الْمَسِيرِ  
فَضْلًا عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ إِلَيْكَ عَلَقَمَةٌ بَنَ صَنِيرِ  
الْوَاهِبِ الْكُومِ الصَّفَايَا وَالْأَوَائِسَ فِي الْخُذُورِ  
يُضْفِيكَ حِينَ تَجِيئُهُ بِالْعُضْبِ وَالْحُلِيِّ الْكَثِيرِ  
وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْفَتَاةِ الْخَذِرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ  
الْكَاعِبِ الْحَسَنَاءِ تَرْفُلُ فِي الدُّمُقْسِ وَفِي الْحَرِيرِ  
فَدَفَعْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشْيَ الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ  
وَلَمَنْتُهَا فَتَنْفُسَتْ كَتَنْفُسِ الظُّبْيِ الْبَهِيرِ  
فَدَنَتْ وَقَالَتْ: يَا مَنْخُلُ، مَا بِجَسْمِكَ مِنْ حَرُورِ

(١) دَمُ صَائِكَ: دَمُ لَزَقٍ.

(٢) التَّنُومُ: شَجَرٌ يَكْثُرُ فِي الْبَادِيَةِ.

(٣) الْمَرِي: حَجَرٌ قَاسٍ يَسْتَعْمَلُ لِلْقَدَحِ.

مَا شَفَّ جِسْمِي غَيْرُ حُبِّكَ فَاغْدِثِي عَنِّي وَسِيرِي  
 وَأَحْبِبُّهَا وَتُحِبُّنِي وَتُحِبُّ نَاقَتَهَا بَعِيرِي  
 يَا رَبِّ يَوْمَ لِمُنْخَلٍ قَدْلَهَا فِيهِ، قَصِيرِ  
 وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ بِالْصُّغِيرِ وَبِالْكَبِيرِ  
 وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ بِالْعَبْدِ الصَّحِيحِ وَبِالْأَسِيرِ  
 وَشَرِبْتُ بِالْخَيْلِ الْإِنَاثِ وَبِالْمُطَهَّمَةِ الذُّكُورِ  
 فَإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنِّي رَبُّ الْخَوَزْنَقِ وَالسُّدَيْرِ  
 وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالْبَعِيرِ  
 يَا هِنْدُ مَنْ لِمُتَّيْمٍ يَا هِنْدُ لِمَعَانِي الْأَسِيرِ

## المُفَضَّلُ التُّكْرِي

### الْمُنْصِفَةُ فِي الْحُبِّ وَالْحَرْبِ

هَذِهِ قَصِيدَةُ أَنْصَفَ بِهَا الشَّاعِرُ خُصُومَهُ فَأَنْصَفْتُهُ، فَهِيَ الْقَصِيدَةُ  
الْوَحِيدَةُ لِصَاحِبِهَا «الْمُفَضَّلِ» لِكِنَّهَا مَنَحَتْهُ كِنِيَّةً جَدِيدَةً وَصَارَتْ لَهُ اسْمًا  
جَدِيدًا يُعْرَفُ بِهِ، وَكَانَ مِنْ قَبْلُ يُعْرَفُ بِاسْمِهِ: عَامِرِ بْنِ مَعْشَرِ بْنِ  
أَسْحَمَ. فَقَدْ ذَكَرَ النَّشَائِي فِي «الْمُذَاكِرَةِ فِي الْقَابِ الشَّعْرَاءِ»: أَنَّهُ سُمِّيَ  
بِالْمُفَضَّلِ لِقَوْلِهِ فِي بَيْتٍ مِنْ هَذِهِ «الْمُنْصِفَةِ».

فَأَبْكَيْنَا نِسَاءَهُمْ وَأَبْكُوا نِسَاءَ مَا يَسُوعُ لَهُنَّ رِنَقُ  
تُعَدُّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مُؤَسَّسَةً لِمَا يُعْرَفُ بِالْمُنْصِفَاتِ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ  
«وَهِيَ الْقَصَائِدُ الَّتِي تُقَالُ فِي الْحُرُوبِ فَتَنْصِفُ الْخُصُومَ» قَالَ الْخَالِدِيَّانِ  
فِي «الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ»: ذَكَرَ الرَّوَاةُ أَنَّ مُنْصِفَاتِ الْعَرَبِ ثَلَاثَةٌ أَوَّلُهَا قَصِيدَةُ  
الْمُفَضَّلِ التُّكْرِيِّ هَذِهِ، وَأَيَّدَهُمَا الْبَصْرِيُّ فِي حِمَاسَتِهِ. . وَهُنَاكَ مَنْ يَرَى  
أَنَّ الْمُهَلْهَلَ بْنَ رَيْبَعَةَ أَوَّلُ مَنْ «أَنْصَفَ» فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ. وَلَمْ يَرِدْ فِي  
الْمَصَادِرِ الْقَدِيمَةِ وَسَائِرِ كُتُبِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ قَصِيدَةُ أُخْرَى لِهَذَا الشَّاعِرِ  
الْجَاهِلِيِّ.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ جِيرَتَنَا اسْتَقَلُّوا      فَنِيَّتُنَا وَنِيَّتُهُمْ قَرِينُ  
فَدَمَعِي لَوْلُو سَلِسٌ عُرَاهُ      يَخِرُّ عَلَى الْمَهَاوِي مَا يَلِيْقُ  
عَدَتْ مَا رُمْتَ إِذْ شَحَطْتُ سُلَيْمِي      وَأَنْتَ لِذِكْرِهَا طَرِبَ مَشُوْقُ  
فَوَدَّعَهَا وَإِنْ كُنَّا أَنْتَ أَنَا      مُبْتَلَةٌ لَهَا خَلَقُ أَنْيَقُ  
تُلْهِي الْمَرْءَ بِالْحُدُثَانِ لَهَوَاً      وَتَخْدِجُهُ كَمَا خَدِجَ الْمُطِيقُ  
فَإِنَّكَ لَوَرَأَيْتَ غَدَاةَ جِثْنَا      بِبَطْنِ أُنَالٍ ضَاحِيَةٍ نَسُوْقُ<sup>(١)</sup>  
فِدَاءً خَالَتِي لِبَنِي حَيِّي      خُصُوصاً يَوْمَ كُسِ الْقَوْمُ رُوْقُ<sup>(٢)</sup>  
هُمْ صَبَرُوا وَصَبَرُهُمْ تَلِيدُ      عَلَى الْعَرَاءِ إِذْ بَلَغَ الْمَضِيقُ  
وَهُمْ دَفَعُوا الْمَنِيَّةَ فَاِسْتَقَلَّتْ      دِرَاكاً بَعْدَ مَا كَادَتْ تَجِيْقُ  
تَلَاقَيْنَا بِغَيْبَةٍ ذِي طَرِيفٍ      وَيَغْضُهُمْ عَلَى بَغْضِ حَنِيقُ<sup>(٣)</sup>  
فَجَاؤُوا عَارِضاً بَرْدَاً وَجِثْنَا      كَسِيلِ الْعِرْضِ ضَاقَ بِهِ الطَّرِيقُ<sup>(٤)</sup>  
مَشِينَا شَطْرَهُمْ وَمَشَوْا إِلَيْنَا      وَقُلْنَا الْيَوْمَ مَا تُفْضِي الْحَقُوقُ  
رَمِينَا فِي وَجُوهِهِمْ بِرَشْقٍ      تَقْصُ بِهِ الْحَنَاجِرُ وَالْحُلُوقُ  
كَأَنَّ النَّبْلَ بَيْنَهُمْ جَرَادُ      تُكْفِيهِ شَامِيَّةٌ خَرِيْقُ<sup>(٥)</sup>  
وَيَسْلُ أَنْ تَرَى فِيهِمْ كَمِيَاً      كَبَالِيَدِيهِ إِلَّا فِيهِ فُوقُ<sup>(٦)</sup>

(١) أُنَال: اسم جبل.

(٢) تقول العرب: في الحرب صار الأكس كالأزوق، أي يقبض شفته فتبدو أسنانه.

(٣) الحنق: شدة الاغتياظ والغضب. أي جاء أحدهم ممثلاً غضباً على الآخر.

(٤) فَجَاؤُوا عَارِضاً بَرْدَاً: جاءوا في كثرتهم وتعجلهم كأنهم قطعة من السحاب فيها برْدٌ، والعِرْضُ: الوادي.

(٥) تسمي العرب ريح الشمال: الشامية. وريح الجنوب: اليمانية، وخريق: شديدة الهبوب.

(٦) الفوق: مواضع الوتر من السهام.

يَهْزِمُ صَعْدَةَ جَرْدَاءَ فِيهَا      سِنَانُ الْمَوْتِ أَوْ قَرْنُ مَحِيقٍ <sup>(١)</sup>  
وَجَدْنَا السُّدْرَ خَوَّارًا ضَعِيفًا      وَكَانَ النَّبْعُ مَنْبِثُهُ وَثِيقُ  
لَقَيْنَا الْجَهْمَ ثَعْلَبَةَ بَنِ سَبِيرٍ      أَضْرِبْ مَنْ يُجْمَعُ أَوْ يَسُوقُ  
لَدَى الْأَعْلَامِ مِنْ تَلْعَاتِ طِفْلِ      وَمِنْهُمْ مَنْ أَضَجَّ بِهِ الْفُرُوقُ <sup>(٢)</sup>  
فَحَوَّطَ عَنْ بَنِي عَمْرُو بْنِ عَوْفٍ      وَأَفْنَاءَ الْعُمُورِ بِهَا شَفِيقُ <sup>(٣)</sup>  
فَأَلْقَيْنَا الرُّمَاحَ وَكَانَ ضَرْبًا      مَقْبِلَ الْهَامِ كُلُّ مَا يَلُوقُ  
وَجَاوَزْنَا الْمَنُونُ بِغَيْرِ نَكْسٍ      وَخَاطِي الْجِلْزِ ثَعْلَبُهُ دَمِيقُ <sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ هَزِينَنَا يَوْمَ الثَّقَيْنَا      هَزِيرُ أَبَاءَةٍ فِيهَا حَرِيقُ <sup>(٥)</sup>  
بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَبِكُلِّ رِنَعٍ      بَنَانُ قَتَى وَجُنُجْمَةٌ فَلِيقُ  
وَكَمْ مِنْ سَيِّدٍ مِنَّا وَمِنْهُمْ      بِذِي الطَّرْفَاءِ مَنْطِقُهُ شَهِيْقُ  
بِكُلِّ مَجَالَةٍ غَادَرَتْ خِرْقًا      مِنَ الْفِثْيَانِ مَبْسَمُهُ رَقِيقُ <sup>(٦)</sup>  
فَأَشْبَعْنَا السَّبَاعَ وَأَشْبَعُوَهَا      فَرَاخَتْ كُلُّهَا تَثِيقُ يَفُوقُ <sup>(٧)</sup>  
تَرَكْنَا الْعُرْجَ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ      وَلِلْفِرْيَانِ مِنْ شَبَعٍ نَغِيقُ <sup>(٨)</sup>

(١) الصَّيْدَةُ: قَنَاةُ الرَّمْحِ الْمُسْتَوِيَّةُ، وَسِنَانُ مَحِيقٍ: حَادُّ الْمَلَمَسِ.

(٢) تَلْعَاتُ: أَرْضٌ قَلِيلَةُ الارتفاعِ، وَتَلْعَاتُ طِفْلٍ: اسْمُ مَكَانٍ وَقَعَتْ فِيهِ الْمَعْرَكَةُ، وَأَضَجَّ بِهِ الْفُرُوقُ: ضَجَّ بِهِ الْخَوْفُ.

(٣) الْعُمُورُ: بَطْنٌ مِنْ بَطْنِ عَبْدِ الْقَيْسِ.

(٤) خَاطِي الْجِلْزِ: السَّنَانُ الْكَبِيرُ الْمَقْبُضُ، وَثَعْلَبُهُ دَمِيقُ: أَدْخَلَ طَرَفَهُ حَتَّى آخَرِهِ.

(٥) الْآبَاءَةُ: الْقَصَبَةُ.

(٦) مَجَالَةٌ: مُقَاتَلَةٌ.

(٧) التَّثَقُّ الْمَمْتَلِيُّ، وَتَفُوقُ: تَكَادَ تَخْرُجُ لَشِدَّةِ امْتِلَائِهَا.

(٨) الْعُرْجُ: الضُّبَاعُ، النَّغِيقُ: صَوْتُ الْغَرَابِ، وَالْعَرَبُ تَفَرَّقُ بَيْنَ النَّغِيقِ وَالنَّعِيبِ، فَالنَّغِيقُ: صَوْتُ الْغَرَابِ بِخَيْرٍ، وَالنَّعِيبُ: صَوْتُهُ بِشَرٍّ.

فَأَبْكَيْنَا نِسَاءَهُمْ وَأَبْكُوا نِسَاءَ مَا يَسُوعُ لَهُنَّ رِنُقُ  
يُجَاوِبَنَّ الشَّيَاحَ بِكُلِّ فَجْرِ فَقَدْ صَحِلَتْ مِنَ النَّوْحِ الْخُلُوقُ<sup>(١)</sup>  
قَتَلْنَا الْحَارِثَ الْوَضَّاحَ مِنْهُمْ فَخَرَّ كَأَنَّ لِمَتَهُ الْعُدُوقُ<sup>(٢)</sup>  
أَصَابَتْهُ رِمَاحُ بَنِي حَبِييَ فَخَرَّ كَأَنَّهُ سَيْفٌ دَلُوقُ<sup>(٣)</sup>  
وَقَدْ قَتَلُوا بِهِ مِنَّا غُلَامًا كَرِيمًا لَمْ تُؤْشِبْهُ الْعُرُوقُ<sup>(٤)</sup>  
وَسَائِلَةُ بِشْغَلَبَةَ بْنِ سِيرٍ وَقَدْ أَوْدَتْ بِشْغَلَبَةَ الْعَلُوقُ<sup>(٥)</sup>  
وَأَفَلَتْنَا إِبْنَ قُرَّانٍ جَرِيضًا نَمُرُّ بِهِ مُسَاعِفَةً حُرُوقُ<sup>(٦)</sup>  
نَشَقُّ الْأَرْضَ شَائِلَةُ الذَّنَابِي وَهَادِيهَا كَأَنَّ جِذْعَ سَحُوقُ<sup>(٧)</sup>  
فَلَمَّا اسْتَيْقَنُوا بِالضَّبْرِ مِنَّا تُذَكِّرُ الْعَشَائِرُ وَالْحَزِينُ<sup>(٨)</sup>  
فَأَبْقَيْنَا وَلَوْ شِئْنَا تَرَكْنَا لَجِيمًا لَا تَقُودُ وَلَا تَسُوقُ<sup>(٩)</sup>  
وَأَنَعَمْنَا وَأَبَاسْنَا عَلَيْهِمْ لَنَافِي كُلِّ أَبْيَاتٍ طَلِيْقُ

(١) صحلت: بحت.

(٢) اللمة: فورة الرأس إذا كانت تصل الإذنين، والعدوق: عناقيد العنب أو التمر الصغيرة.

(٣) السيف الدلوق: الذي سقط من غمده دون أن يسل.

(٤) لم تؤشبه العروق: الأصيل النسب، لم تتداخل فيه الأعراق، والأوشاب من الناس: الأوياش المتفرقون في الأصل.

(٥) العلوق: المنية.

(٦) أفلتت جريضا: صار مشارفاً على الهلاك بما فيه من جروح.

(٧) شائلة الذنابي: رافعة ذيلها والسحوق: الطويلة، وهو وصف للناقة التي أفلتت بالجريح.

(٨) الحزيق: الجماعة.

(٩) بنو لجيم: بطن من بطون العرب.

## الأسود بن يعفر

### في الأرض المسدودة

كَانَ الْأَسْوَدُ بْنُ يَعْفَرُ شَاعِرًا فَخْلًا مِنْ شُعَرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ أَعْمَى  
لِهَذَا يَقُولُ فِي أَحَدِ أَشْطَرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ: «ضَرَبْتُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْأَسْدَادِ»  
وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ شَاعِرًا جَوَّابًا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْمَسْدُودَةِ، وَيُكْثِرُ التَّنْقُلَ فِي  
الْعَرَبِ وَيُجَاوِرُهُمْ، قَالَ ابْنُ سَلَامٍ فِي طَبَقَاتِهِ: لَهُ وَاحِدَةٌ رَائِعَةٌ طَوِيلَةٌ،  
لَا حِقَّةٌ بِأَجُودِ الشُّعْرِ، لَوْ كَانَ شَفَعَهَا بِمِثْلِهَا قَدَّمْنَاهُ عَلَى مَرْتَبَتِهِ.  
وَيَذْكُرُ صَاحِبُ الْأَغَانِي أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ رَصَدَ عَشْرَةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ لِمَنْ  
يَقْرَأُ لَهُ قَصِيدَةَ الْأَسْوَدِ كَامِلَةً.

نَامَ الْخَلِيُّ وَمَا أَحْسُ رُقَادِي      وَالْهَمُّ مُحْتَضِرٌ لَدَيَّ وَسَادِي  
مِنْ غَيْرِ مَا سَقَمٍ وَلَكِنْ شَفِينِي      هَمُّ أَرَاهُ قَدْ أَصَابَ فُؤَادِي  
وَمِنَ الْحَوَادِثِ، لَا أَبَالُكَ، أَنَّنِي      ضَرَبْتُ عَلَى الْأَرْضِ بِالْأَسْدَادِ  
لَا أَمْتَدِينِي فِيهَا لِمَوْضِعِ نَلْعَةٍ      بَيْنَ الْعِرَاقِ وَبَيْنَ أَرْضِ مُرَادِ  
وَلَقَدْ عَلِمْتُ سِوَى الَّذِي نَبَأْتَنِي      أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُتُوفَ كِلَاهُمَا  
 لَنْ يَرْضَيَا مِنِّي وَفَاءَ رَهِيْنَةٍ  
 مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقِ  
 أَهْلِ الْخَوَزَنْقِ وَالسُّدَيْرِ وَبَارِقِ  
 أَرْضًا تَخِيْرَهَا لِذَا رِ ابْنِهِمْ  
 جَرَّتِ الرِّيحُ عَلَى مَكَانِ دِيَارِهِمْ  
 وَلَقَدْ عَثُوا فِيْهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ  
 نَزَلُوا بِأَنْقَرَةِ يَسِيْلٍ عَلَيْهِمْ  
 أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا فَطَالَ بِنَاؤُهُمْ  
 فَإِذَا النَّعِيْمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ  
 فِي آلِ عَزَبٍ لَوْ بَغَيْتَ لِي الْأَسَى  
 مَا بَعْدَ زَيْدٍ فِي فَتَاةٍ فُرُقُوا  
 فَتَخَيَّرُوا الْأَرْضَ الْفَضَاءَ لِعِزْمِهِمْ  
 إِمَّا تَرِيْنِي قَدْ بَلَيْتُ وَغَاضِيْنِي  
 وَعَصَيْتُ أَصْحَابَ الصُّبَابَةِ وَالصُّبَا  
 فَلَقَدْ أَرَوْحُ عَلَى الثُّجَارِ مُرَجَّلَا  
 يُؤْفِي الْمَخَارِمَ يَرْقُبَانِ سَوَادِي <sup>(١)</sup>  
 مِنْ دُونِ نَفْسِي، طَارِفِي وَتِلَادِي  
 تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِسَادِ  
 وَالْقَضِرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ  
 كَغَبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ أُمِّ دُوَادِ  
 فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ  
 فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ  
 مَاءُ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ  
 وَتَمَثَّلُوا بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ  
 يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بِلَى وَنَفَادِ  
 لَوْجَذَتْ فِيْهِمْ إِسْوَةُ الْعُدَادِ  
 قَتَلًا وَنَفْيًا بَعْدَ حُسْنِ تَادِي <sup>(٢)</sup>  
 وَيَزِيدُ رَافِدُهُمْ عَلَى الرُّفَادِ  
 مَا نِيْلَ مِنْ بَصْرِي وَمَنْ أَجْلَادِي  
 وَأَطَعْتُ عَاذِلَتِي وَلَآنَ قِيَادِي  
 مَدْلًا بِمَالِي لَيْنًا أَجْيَادِي <sup>(٣)</sup>

(١) المَخَارِمُ: جَمْعُ مَخْرَمٍ، وَهِيَ الْفَجَاجُ أَوْ الطَّرِيقُ الضَّيِّقَةُ فِي الْجَبَلِ، وَقَوْلُهُ:

«يُؤْفِي»: يُقَالُ: أَوْفَيْتَ عَلَى الْجَبَلِ، إِذَا عَلَوْتَ عَلَيْهِ، قَالَ: وَمَعْنَى «يَرْقُبَانِ»:

يَنْتَظِرَانِ، وَ«سَوَادِي»: شَخْصِي.

(٢) بَعْدَ حُسْنِ تَادِي: بَعْدَ الْقُوَّةِ، وَحُسْنُ الْعُدَّةِ.

(٣) مَدْلٌ بِمَالِي: مُسْتَرْخٍ فِيهِ، لَيْنٌ: سَهْلٌ، وَالْأَجْيَادُ: جَمْعُ جَيِّدٍ، وَهُوَ الْعَنْقُ.

وَلَقَدْ لَهَوْتُ وَلِلشَّبَابِ لَذَاذَةٌ      بِسَلَاةٍ مُزِجَتْ بِمَاءِ غَوَايِ  
 مِنْ خَمْرٍ ذِي نَظْفٍ أَغْنَى مُنْطَقِ      وَافَى بِهَا لِدَرَاهِمِ الْأَسْجَادِ<sup>(١)</sup>  
 يَسْعَى بِهَا ذُو ثَوَمَتَيْنِ مُشْمَرُ      قَنَاتٌ أَنَامِلُهُ مِنَ الْفِرْصَادِ<sup>(٢)</sup>  
 وَالْبَيْضُ تَمْشِي كَالْبُدُورِ وَكَالْدُمَى      وَنَوَاصِمُ يَمْشِينَ بِالْأَزْقَادِ  
 وَالْبَيْضُ يَزِمِينَ الْقُلُوبَ كَأَنَّهَا      أَذْحَى بَيْنَ صَرِيْمَةٍ وَجَمَادِ<sup>(٣)</sup>  
 يَنْطِقْنَ مَعْرُوفًا وَمَنْ نَوَاصِمُ      بَيْضُ الْوُجُوهِ رَقِيقَةُ الْأَكْبَادِ  
 يَنْطِقْنَ مَخْفُوضَ الْحَدِيثِ تَهَامِسًا      قَبْلَقْنَ مَا حَاوَلْنَ غَيْرَ تَنَادِي  
 وَلَقَدْ غَدَوْتُ لِعَازِبٍ مُتَنَادِرِ      أَخَوَى الْمَذَانِبِ مُؤْنِقِ الرُّوَادِ<sup>(٤)</sup>  
 جَادَتْ سَوَارِيهَ وَأَزَرَ نَبْتُهُ      ثَفَا مِنْ الصُّفْرَاءِ وَالزُّيَادِ<sup>(٥)</sup>  
 بِالْجَوْفِ الْأَمْرَاتِ حَوْلَ مُرَامِرِ      فَبِضَارِجٍ فَقَصِيْمَةِ الطَّرَادِ<sup>(٦)</sup>  
 بِمُشْمَرٍ عَتِدَ جَهِيْزِ شَدَّةِ      قَبِدَ الْأَوَابِدِ وَالرَّهْمَانِ جَوَادِ<sup>(٧)</sup>  
 يَشْوِينِي لَنَا الْوَحْدَ الْمُدِلُ بِحُضْرِهِ      بِشَرِيحٍ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِيزَادِ<sup>(٨)</sup>

(١) دراهمُ الأسجاد: دراهم الملوك كان الناس يسجدون لها بخضوع لأن فيها صور الملوك، ومنها أسجاد كسرى.

(٢) التومتان: القرطان، وقنات: تخضبت، والفرصاد: التوت الأحمر.

(٣) الأدحي: الحفرة التي تبيض فيه النعامة والصريمة مكان محاط بالأشجار صعب الدخول.

(٤) العازب: العشب في الأرض البعيدة، والمذانب: السيول في الأرض المنخفضة.

(٥) الثفا: قطع من الزرع المتفرق، والصفراء والزياد: نوعان من العشب.

(٦) الأمرات: الأراضي العالية، وهي العلامات، ومرامر: ناعم، وضارج: أرض سبخة تشرف على الكوفة، وقصيمة الطراد: أرض ينبت بها شجر الغضا.

(٧) العتد: الجواد الجاهز للجري، وفرس قبد الأوابد: التي تطارد الوحش وتقيدها.

(٨) المدل: الجري، وشريح: بالتساوي، وبين الشد والإيزاد: يعدو بين القوة والرويدة.

وَلَقَدْ تَلَوْتُمُ الظَّاعِنِينَ بِجَسْرَةٍ أَجْدٍ مُهَاجِرَةٍ السَّقَابِ جَمَادٍ<sup>(١)</sup>  
عَيْرَانَةٍ سَدِّ الرِّبِيعِ خَصَاصَهَا مَا يَسْتَبِينُ بِهَا مَقِيلُ قُرَادٍ<sup>(٢)</sup>  
فَإِذَا وَذَلِكَ لَأَمَّهَاءَ لَذِكْرِهِ وَالذَّهْرُ يُغَقِّبُ صَالِحاً بِفَسَادٍ<sup>(٣)</sup>

---

(١) ناقة أجد: التي تكون متصلة فقرات الظهر كأنها عظم واحد، والسقاب: الناقة التي تلد الذكور.

(٢) العيرانة: النشطة، والخصاص: الفتحات الصغيرة بين الأصابع.

(٣) المهاء: الطراوة.

## كُتِبُ الْغَنَوِيُّ

### لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ

هَذِهِ الْقَصِيدَةُ قَالَهَا كُتِبُ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ أَبِي الْمُغَوَّارِ وَيُقَالُ أَنَّ اسْمَهُ شَيْبُ، قُتِلَ فِي حَرْبِ ذِي قَارِ.

وَبِرْغَمِ أَنَّ شَاعِرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مِنْ مُخَضَّرِمِي الْعَضْرَيْنِ الْجَاهِلِيَّ وَصَدَرَ الْإِسْلَامَ، إِلَّا أَنَّ قَصِيدَتَهُ تَمْتَازُ بِلُغَةٍ ذَاتِ خُصُوصِيَّةٍ، وَمَعَانٍ وَجُودِيَّةٍ، وَأَسْئَلَةٍ عَمِيقَةٍ عَنِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَالْخُلُودِ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِمَّا تَحَدَّثَ عَنْهُ الْقَالِي مِنْ زِيَادَاتٍ قَدْ تَكُونُ الْحَقُّ بِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْفَرِيدَةِ، إِلَّا أَنَّهَا تُبَيِّنُ فِي جَمَاهِرَاتِ ابْنِ الشَّجَرِيِّ مِنْ بَيْنِ سَبْعٍ مِنْ عُيُونِ الْمَرَاثِي فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ. وَقَدَّمَهَا قُدَّامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ فِي «نَقْدِ الشُّعْرِ» عَلَى سَائِرِ الْمَرَاثِي لِمَا تَنْصِفُ بِهِ مِنْ قُوَّةِ التَّأْيِينِ.

تَقُولُ ابْنَةُ الْعَبْسِيِّ: قَدْ شَبَّتَ بَعْدَنَا،

وَكُلُّ أَمْرٍ بَعْدَ الشَّبَابِ يَشِيبُ

وَمَا الشَّيْبُ إِلَّا غَائِبٌ كَانَ جَائِباً،

وَمَا الْقَوْلُ إِلَّا مُخْطِئٌ وَمُصِيبٌ

تَقُولُ سُلَيْمَى: مَا لِجَسْمِكَ شَاحِبًا،  
كَأَنَّكَ يَحْمِيكَ الشَّرَابُ طَيِّبٌ<sup>(١)</sup>  
فَقُلْتُ، وَلَمْ أَضِيَ الْجَوَابَ، وَلَمْ أَبْخُ،  
وَلِلدَّفْرِ فِي الصُّمِّ الصُّلَابِ نَصِيبٌ<sup>(٢)</sup>:  
تَتَابَعِ أَخْدَاتٍ تَخْرُمنَ إِخْوَتِي،  
فَشَيَّبَنَ رَأْسِي، وَالْخُطُوبُ تُشِيبُ<sup>(٣)</sup>  
لَعَمْرِي لَيْتَ كَأَنَّ أَصَابَتْ مَنِيَّةً  
أَخِي، وَالْمَنَائِيَا لِلرُّجَالِ شَعُوبٌ<sup>(٤)</sup>  
لَقَدْ كَانَ أَمَّا جِلْمُهُ فَمُرُوحٌ  
عَلَيْهِ، وَأَمَّا جَهْلُهُ فَعَزِيبٌ<sup>(٥)</sup>  
أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ،  
وَلَا وَرَعٌ عِنْدَ الْلُقَاءِ هَيُوبٌ<sup>(٦)</sup>  
أَخِي كَانَ يَكْفِينِي، وَكَانَ يُعِينُنِي  
عَلَى نَائِبَاتِ الدَّفْرِ، حِينَ تَنْوِبُ<sup>(٧)</sup>

(١) يحملك: من الحمية أي: منعك.

(٢) العي: خلاف البيان، وقد عي في منطقه: إذا لم يهتد لقصده وحجته، والصم الصلاب: الصخور.

(٣) تخرمن أخوتي: ذهبت بهم، تقول العرب عن الرجل إذا مات: خرمته الخوارم.

(٤) الشعبة: الفرقة تقول: شعبتهم المنيّة: فرقتهم، ومنه سميّت المنيّة الشعوب، لأنها تُفرّق.

(٥) المُرُوح: القريب والمُقيّم، والعزيب: البعيد والغائب.

(٦) الورع: الخوف.

(٧) النائبة: المصيبة، وتنوب: تصيب.

حَلِيمٌ، إِذَا مَا سَوْرَةُ الْجَهْلِ أَطْلَقَتْ  
 حُبَى الشَّيْبِ، لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ غُلُوبٌ <sup>(١)</sup>  
 هُوَ الْعَسَلُ الْمَازِي لِينًا وَنَائِلًا،  
 وَلَيْتُ، إِذَا يَلْقَى الْعُدَاةَ، غَضُوبٌ <sup>(٢)</sup>  
 هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا  
 وَمَاذَا يَوْدُ اللَّيْلِ حِينَ يَوُوبُ  
 هَوَتْ أُمُّهُ، مَاذَا تَضْمَنَ قَبْرُهُ  
 مِنَ الْمَجْدِ، وَالْمَغْرُوفِ حِينَ يُثِيبُ  
 أَخُو سَنَوَاتٍ يَغْلَمُ الضَّيْفُ أَنَّهُ  
 سَيَكْثُرُ مَا فِي قَدْرِهِ، وَيَطِيبُ  
 حَبِيبٌ إِلَى الزُّوَارِ غَشِيَانُ بَيْتِهِ،  
 جَمِيلُ الْمُحَيَّا، شَبٌّ وَهُوَ أَدِيبٌ <sup>(٣)</sup>  
 كَأَنَّ بُيُوتَ الْحَيِّ، مَا لَمْ يَكُنْ بِهَا،  
 بِسَابِسُ قَفْرِ، مَا بِهِنَّ عَرِيبٌ <sup>(٤)</sup>  
 كَعَالِيَةِ الرُّمَحِ الرُّدَيْنِيِّ لَمْ يَكُنْ،  
 إِذَا ابْتَدَرَ الْحَيْلَ الرَّجَالُ، بِخَيْبُ

(١) سَوْرَةُ الْجَهْلِ: جِدَّتُهُ، حُبَى: مِنَ الْاِخْتِيَاءِ: أَيِ الْاِخْتِفَاءِ، تَقُولُ الْعَرَبُ اخْتَبَى بِشَوْبِهِ  
 اِخْتِيَاءً: يَقْصِدُ أَنْ الشَّيْبَ يَكُونُ مَخْتَفِيًا أَوْ مَتَدَثِّرًا تَحْتَ الْعِمَامَةِ، فَتَطْلُقُهُ سَوْرَةُ الْجَهْلِ.

(٢) الْمَازِي: الْعَسَلُ الْأَبْيَضُ وَهُوَ أَجْوَادُ الْأَنْوَاعِ.

(٣) غَشِيَانُ: غَاشِيَةُ الرَّجُلِ، مَنْ يَتَابَهُ مِنْ زَوَارِهِ وَالْأَصْدِقَاءِ.

(٤) الْبَسَابِسُ: جَمْعُ بَسَبَسَ: الْفَضَاءُ الْقَفْرُ الْوَاسِعُ، وَالْعَرِيبُ: أَحَدٌ، تَقُولُ مَا فِي الدَّارِ  
 مِنْ عَرِيبٍ: أَيِ مَا بِهَا مِنْ أَحَدٍ.

إِذَا قَصُرَتْ أَيْدِي الرُّجَالِ عَنِ الْعُلَى،  
 تَنَاولَ أَقْصَى الْمَكْرُمَاتِ، كَسُوبُ  
 جَمُوعٍ خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ،  
 إِذَا حَالَ مَكْرُوءَةٌ بِهِنْ ذُهُوبٌ<sup>(١)</sup>  
 مُغِيثٌ، مُفِيدُ الْقَائِدَاتِ، مُعَاوِدُ  
 لِفِعْلِ النَّدَى وَالْمَكْرُمَاتِ، نَدُوبُ  
 وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى  
 فَلَمْ يَسْتَجِبْ عِنْدَ النَّدَاءِ مُجِيبُ  
 فَقُلْتُ: اذْغُ أُخْرَى وَارْفَعْ الصَّوْتُ ثَانِيًا،  
 لَعَلَّ أَبَا الْمِفْوَارِ مِنْكَ قَرِيبُ  
 يُجِيبُكَ، كَمَا قَدْ كَانَ يَفْعَلُ، إِنَّهُ  
 بِأَمْثَالِهَا رَخِبُ الذَّرَاعِ، أَرِيبُ<sup>(٢)</sup>  
 أَنْكَ سَرِيعًا وَاسْتَجَابَ إِلَى النَّدَى،  
 كَذَلِكَ، قَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ يُجِيبُ  
 كَأَنْ لَمْ يَكُنْ يَذْعُو السَّوَابِحَ مَرَّةً  
 بِذِي لَجَبٍ، تَحْتَ الرَّمَاكِ، مُهَيْبُ<sup>(٣)</sup>

(١) الْخِلَالُ: الْخِصَالُ: مُفْرَدُهَا خَلَّةٌ: خَصْلَةٌ.

(٢) الْأَرِيبُ: الْعَاقِلُ.

(٣) السَّوَابِحُ: الْخِيُولُ، وَاللَّجَبُ: الصَّوْتُ وَالصَّيَاحُ وَالْجَلْبَةُ عِنْدَ الْحَرْبِ، وَقِيلَ: هُوَ

ارْتِفَاعُ الْأَصْوَاتِ وَاخْتِلَاطُهَا؛ قَالَ زَهِيرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى:

هَزِيمٌ إِذَا حَلَّ الْحَلِيفَانِ حَوْلَهُ، بِلِي لَجَبٍ لَجَأَهُ وَصَوَاهِلُهُ

فَتَى أَرْحَى كَانَ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى،  
كَمَا اهْتَزَّ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ قَضِيبٌ<sup>(١)</sup>  
فَتَى لَا يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِجَسْمِهِ،  
إِذَا نَالَ خَلَائِطَ الْكِرَامِ، شُحُوبٌ  
إِذَا مَا تَرَاءَاهُ الرُّجَالُ تَحَفُّظُوا،  
فَلَمْ تَنْطِقْ الْعَوْرَاءُ، وَهوَ قَرِيبٌ<sup>(٢)</sup>  
عَلَى خَيْرِ مَا كَانَ الرُّجَالُ خِلَالَهُ،  
وَمَا الْخَيْرُ إِلَّا قِسْمَةٌ وَتَصِيبٌ  
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى، فَيُجِيبُهُ  
سَرِيعاً، وَيَدْعُوهُ النَّدَى، فَيُجِيبُ  
عَيَاثُ لِعَانٍ لَمْ يَجِدْ مَنْ يُعِينُهُ،  
وَمُخْتَبِطٌ يَغْشَى الدُّخَانَ غَرِيبٌ<sup>(٣)</sup>  
عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ رَحْبٌ فَنَاقُهُ،  
إِلَى سَنَدٍ، لَمْ تَخْنَجِنَهُ غُيُوبٌ<sup>(٤)</sup>

- 
- (١) ماء الحديد: السيف، والعرب تقول: ماء الحديد، إذا قصدوا الخالص منه.  
(٢) لَمْ تَنْطِقْ الْعَوْرَاءُ: أي لا تذكر العورات بوجوده، أراد أن ينزه مجالسه عن الغيبة ومسامحه عن النيمة.  
(٣) العاني: الأسير، والمختبط: الذي يطلب المعونة أو المساعدة دون أن تكون له أصرة أو قرابة ومعنى يطلب منه.  
(٤) عَظِيمُ رَمَادِ النَّارِ: جواد، والعرب تمدح الرجل بِعَظَمِ الرَّمَادِ، لأنه لا يعظم إلا رماد من كان مطعماً للأضياف، وتحتجته: تحتجزه وتغيبه، والغيوب: الوديان أو المنخفضات.

يَبِيتُ النَّدَى، يَا أُمَّ عَمْرٍو، ضَجِيعُهُ،  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْمُتَقَيَّاتِ حَلُوبٌ<sup>(١)</sup>  
حَلِيمٌ، إِذَا مَا الْجِلْمُ زَيْنَ أَهْلُهُ،  
مَعَ الْجِلْمِ، فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ، مَهْيَبٌ  
مُعْنَى، إِذَا عَادَى الرَّجَالَ عَدَاوَةً،  
بَعِيدٌ، إِذَا عَادَى الرَّجَالَ، قَرِيبٌ<sup>(٢)</sup>  
غَنِينَا بِخَيْرِ حَقَبَةٍ ثُمَّ جَلَحَتْ  
عَلَيْنَا الَّتِي كُلُّ الْأَنَامِ تُصِيبُ<sup>(٣)</sup>  
فَأَبَقْتُ قَلِيلًا ذَاهِبًا، وَتَجَهَّزْتُ  
لِآخِرٍ، وَالرَّاجِي الْخُلُودَ كَذُوبٌ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَاقِيَ الْحَيَّ مِنْهُمْ  
إِلَى أَجَلٍ، أَقْصَى مَدَاهُ قَرِيبٌ  
لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ، وَقَدْ أَتَى  
عَلَى يَوْمِهِ عِلْقٌ عَلَيَّ حَبِيبٌ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ أَخْسَنَ مَرَّةً  
إِلَيَّ، فَقَدْ عَادَتْ لَهْنٌ ذُّوبٌ

(١) الْمُتَقَيَّاتُ: الإبل والخيول ذوات النقي، وهو الشَّحْمُ؛ يُقَالُ: نَاقَةٌ مُتَقَيَّةٌ، إِذَا كَانَتْ سَمِينَةً، وَحَلُوبٌ: كَثِيرَةُ الْحَلِيبِ.

(٢) الْمُعْنَى: الْفَحْلُ إِذَا هَاجَ بِفَعْلٍ حَبَسَهُ عَنْ أَنْثَاهُ.

(٣) جَلَحَتْ: ذَهَبَتْ بِنَا وَأَكَلْتَنَا فَأَفْرَطَتْ، وَيُقَالُ: جَلَحَتْ الْأَرْضُ إِذَا أَكَلَ مَا فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ، وَيُقَالُ: جَلَحَ الشَّجَرُ فَهُوَ مُجْلَحٌ: إِذَا ذَهَبَ الشَّتَاءُ بَغْصُونُهُ وَوَرَقُهُ.

(٤) الْعِلْقُ: الشَّيْءُ النَّفِيسُ.

جَمَعْنَ النُّوَى حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَ الْهَوَى،  
 صَدَعْنَ الْعَصَا، حَتَّى الْقَنَاءُ شُعُوبُ  
 أَتَى دُونَ حُلُو الْعَيْشِ حَتَّى أَمْرُهُ  
 نُكُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ نُكُوبٌ<sup>(١)</sup>  
 كَأَنَّ أَبَا الْمِغْوَارِ لَمْ يُؤْفِ مَرْقَبًا؛  
 إِذَا رَبَا الْقَوْمُ الْغُرَاةَ رَقِيبٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَمْ يَدْعُ فِتْيَانًا كِرَامًا لِمَيْسِرِ،  
 إِذَا اشْتَدَّ مِنْ رِيحِ الشَّتَاءِ هُبُوبُ  
 فَإِنْ غَابَ مِنْهُمْ غَائِبٌ، أَوْ تَخَاذَلُوا،  
 كَفَى ذَاكَ مِنْهُمْ، وَالْجَنَابُ خَصِيبٌ<sup>(٣)</sup>  
 كَأَنَّ أَبَا الْمِغْوَارِ ذَا الْمَجْدِ لَمْ تَجِبْ  
 بِهِ الْبَيْدَ عَيْسَ بِالْقَلَاةِ، خَبُوبُ  
 عِلَاةٌ، تَرَى فِيهَا، إِذَا حُطَّ رَحْلُهَا،  
 نُذُوبًا عَلَى آثَارِهِنَّ نُذُوبٌ<sup>(٤)</sup>  
 وَإِنِّي لَبَاكِيهِ، وَإِنِّي لَصَادِقُ  
 عَلَيْهِ، وَبَغْضِ الْقَائِلِينَ كَذُوبُ

(١) النكوب: المصائب.

(٢) المرقب: المكان العالي للمراقبة. وربا: صار لهم ريثة، والريثة: الطليعة.

(٣) رجل خصيب الجناب: كثير الخير.

(٤) العلاة: الناقة.

فَتَنَى الْحَرْبَ إِنْ جَارَتْ تَرَاهُ سِمَامَهَا  
وَفِي السَّلَامِ مَفْضَالُ الْيَدَيْنِ وَهُوَ<sup>(١)</sup>  
وَحَدَّثْتُمَا نِي إِنَّمَا الْمَوْتُ فِي الْقَرَى،  
فَكَيْفَ؟ وَهَذَا هَضْبَةٌ وَكَثِيبٌ  
وَمَاءٌ سَمَاءٍ، كَمَا غَيْرَ مَحْمَةٍ  
بِبَرِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جَنُوبٌ<sup>(٢)</sup>  
وَمَنْزِلُهُ فِي دَارِ صِدْقٍ وَغَبِطَةٍ،  
وَمَا اقْتَالَ مِنْ حَكَمٍ عَلَيْهِ طَبِيبٌ<sup>(٣)</sup>  
فَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تُبَاعُ اشْتَرَيْتُهُ،  
بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النُّفُوسُ تَطِيبُ  
بِعَيْنِي أَوْ يُمْنِي يَدِي، وَقَبِلَ لِي:  
هُوَ الْغَائِمُ الْجَذْلَانُ يَوْمَ يَوْوبُ  
لَعَمْرُكُمْ إِنْ الْبَعِيدَ لَمَّا مَضَى،  
وَأَنَّ الَّذِي يَأْتِي غَدًا لَقَرِيبُ  
وَأَنِّي وَتَأْمِيلِي لِقَاءَ مُؤْمِلٍ،  
وَقَدْ شَعَبْتُهُ عَنْ لِقَائِي شُعُوبٌ<sup>(٤)</sup>

(١) سِمَامُهَا: سَهْمُهَا.

(٢) أَرْضٌ مَحْمَةٌ: تَكْثُرُ فِيهَا الْحَمَى وَالْوَبَاءُ.

(٣) اقْتَالَ عَلَيْهِ: تَحَكَّمَ عَلَيْهِ.

(٤) شَعَبْتُهُ: فَرَقْتُهُ.

كَذَاهِي هُدَيْلٍ لَا يَزَالُ مُكَلِّفًا،  
وَلَيْسَ لَهُ، حَتَّى الْمَمَاتِ، مُجِيبٌ  
سَقَى كُلُّ ذِكْرٍ جَاءَنَا مِنْ مُؤْمِلٍ،  
عَلَى النَّأْيِ، زَحَافُ السَّحَابِ سَكُوبٌ  
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاهُ مَا ذَرَّ شَارِقُ  
وَمَا إِفْتَرَزَ مِنْ فَرْقِ الْأَرَاكِ قَضِيبٌ<sup>(١)</sup>

---

(١) ذَرَّ: طَلَعَ.

## بَيْهَسُ بْنُ عَبْدِ الْحَارِثِ

### فِي مُلْتَقَى الرِّيحِ

هَذِهِ قَصِيدَةُ لِشَاعِرٍ مَغْمُورٍ، حَتَّى فِي الْعَصْرِ الَّذِي يَتَّعِمُنِي إِلَيْهِ، فَقَدْ قَالَ عَنْهُ الْأَمِيدِيُّ، أَنَّهُ شَاعِرٌ قَدِيمٌ، أَظُنُّهُ جَاهِلِيًّا لِكِنَّهُ يَقُولُ إِنَّ أَشْعَارَهُ مِنْ الْجِيَادِ.

وَيَتَّضِحُ مِنْ قَصِيدَةِ بَيْهَسَ، أَنَّهُ شَاعِرٌ جَوَابٌ لَا يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ، يَسْتَوْجِبُ صُورَةَ الشُّعْرِيَّةِ الْبَارِعَةِ مِنْ تِلْكَ الرُّحُلَاتِ فِي الصَّحَرَاءِ وَتَحْتَ السَّحَابِ وَفِي مُرَاقَبَةِ قَطَارَاتِ الْجَمَالِ، وَالتَّيْرَانِ الْوَحْشِيَّةِ، مَمْرُوجَةً بِشَيْءٍ وَفِيرٍ مِنَ الْهُمُومِ الدَّائِيَّةِ الَّتِي تَجِدُ مِرَاتَهَا فِي تِلْكَ الصُّورِ الْمُتَدَاخِلَةِ.

لِمَنِ الدِّيارُ عَرَفَتْهَا وَكَانَتْهَا  
لَيْسَتْ غُدَاةً أَتَيْتَهَا بِدِيَارِ  
دَرَسَتْ مَعَارِفَهَا رِيحًا تَلْتَقِي  
وَتَقَادِمٌ مِنْهَا وَضَرْبُ قِطَارِ<sup>(١)</sup>

(١) القطارُ: قطيع الإبل عندما تكون الواحد بعد الآخر في نسق واحد.

حَتَّى كَأَنَّ تُرَابَهَا مِنْ غَيْرِهَا  
 يُفْدَى لَهَا مِنْ رَمْلَةٍ وَصَحَارِي  
 دَارِ لِعَزَّةٍ أَوْ جَمِيلَةٍ إِذْ هُمَا  
 تَرْبَانِ فِي غَضَرٍ مِنَ الْأَغْصَارِ <sup>(١)</sup>  
 فَهَلِ الشَّبَابُ زَمَانٌ عَزَّةٌ رَاجِعُ  
 أَمْ هَلِ مَشِيبُكَ نَاطِرُ الْإِفْتَارِ  
 بَكَرَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ فَشَانُهُ  
 شَيْنُ الْمُحَرَّقِ فِي الْحَدِيدِ بِئَارِ <sup>(٢)</sup>  
 حَتَّى كَأَنَّ حَدِيثَهُ وَقْدِيئِمُهُ  
 لَيْلٌ تَلْفَعُ مُذِيرًا بِئْهَارِ  
 لَيْسَ الْخِضَابُ لَكِنِّي بُوَارِي شَيْبُهُ  
 وَالشَّيْبُ لَا خَسَنُ وَلَا مُتَوَارِي  
 طَرَقَتْكَ عَزَّةٌ مِنْ مَزَارٍ نَازِحِ  
 يَا حُبَّ زَائِرَةٍ وَيُفْدَ مَزَارِ  
 وَاللَّيْلُ مُخْتَلِطُ النُّجُومِ كَأَنَّهُ  
 سَاجٌ يُرَوِّقُ سَابِغُ الْأَسْتَارِ <sup>(٣)</sup>  
 فَتَهَجْتُ أَنْظِرْ مَا الْخَيَالُ فَرَاعِنِي  
 وَالْعَيْنُ غَيْرُ حَدِيثَةٍ بِغِرَارِ <sup>(٤)</sup>

(١) التربان: ما كانا في عمر واحدة.

(٢) الشَّيْنُ: القبيح يقال: شَانَهُ يَشِينُهُ، وَالْمَشَايِينُ: المعاييب والمقاييب. قال لييد بن ربيعة:

يَشِينُ صَحَاحَ الْبَيْدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ يَمُودُ الشَّرَاءُ عِنْدَ بَابِ مُتَعَجِّبٍ

(٣) السَّاجِي: السَّاكِنُ وَالذَّائِمُ، وَالسَّابِغُ: الطَّوِيلُ وَالْمُمْتَدُّ.

(٤) تَهَجْتُ: تَبَيَّنْتُ، وَالْغِرَارُ: النَّوْمُ الْقَلِيلُ.

فَرَأَى لَهَا شَبَهًا وَلَيْسَ بِعَارِفٍ  
 جَدًّا وَلَيْسَ بِمُؤْمِنِ الْإِنْكَارِ  
 كَالْجِنِّ تَغْرِفُهَا إِذَا مَا أَقْبَلَتْ  
 وَتَكَاذُ تُنْكِرُهَا مَعَ الْإِذْكَارِ  
 بِبَسَاطٍ أَغْبَرَ مِنْ تَهَامَةٍ غَائِرٍ  
 مِنْ بَطْنِ نَخْلَةٍ مُشْرِفِ الْأَقْطَارِ<sup>(١)</sup>  
 مِنْهُ مَطَالِعُ يُهْتَدَى بِمَنَارِهَا  
 وَمَطَالِبُ لَيْسَتْ بِذَاتِ مَنَارٍ  
 كَلَفْتُ نَفْسِي قَطْعَهَا بِشِمْلَةٍ  
 حُفِرَتْ مِحَالُ فَقَارِهَا بِفَقَارِ<sup>(٢)</sup>  
 سُوحِ الْيَدَيْنِ إِذَا الْحِدَابُ تَرَقَّصَتْ  
 وَإِذَا رُفِعْنَ رَفِيعَةَ الْمِشْوَارِ<sup>(٣)</sup>

(١) بطنُ نخلة: اسم قرية، جاء في معجم البلدان: بطن نخلة: بناحية مكة، وهو المكان الذي كانت العامة في ذلك الوقت تسميه: «بستان ابن عامر».

(٢) الحَفَرُ: حُكَّ الشَّيْءِ مِنْ خَلْفِهِ سَوْقًا وَغَيْرِ سَوَقٍ، قَالَ الْأَعَشَى:  
 لَهَا لِحْدَانٍ يَخْفِرَانِ مَحَالَةً      وَذَائِبًا، كِبُتْبَانِ الصُّوَى، مُتَلَاكِحًا  
 وَالْفَقَارُ: عِظَامُ الظَّهْرِ.

(٣) سُوحِ الْيَدَيْنِ: سَرِيعَةٌ مَبْسُوطَةٌ وَسَهْلَةٌ فِي عَدْوِهَا. وَالْحِدَابُ: الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ الْمُرْتَفَعَةُ. وَتَرَقَّصَتْ: إِذَا ارْتَفَعَتْ وَانْخَفَضَتْ، وَقَدْ أَرَقَّصَ الْقَوْمُ فِي سَيْرِهِمْ: إِذَا كَانُوا يَرْتَفِعُونَ وَيَنْخَفِضُونَ؛ قَالَ الرَّاعِي النَّمِيرِي:  
 وَإِذَا تَرَقَّصَتْ الْمَنَارَةُ غَادَرَتْ      زَيْدًا يَبْئُلُ خَلْفَهَا تَبْنِيْلًا

حَلَبَ الْهَجِيرُ بِلَيْتِهَا وَمَقْدَهَا  
 حَتَّى كَأَنَّ بِهَا عَيْنِيَّةَ قَارٍ<sup>(١)</sup>  
 تَغْلُو النَّجَادَ كَأَنَّهَا مُتَوَجِّسٌ  
 طَيَّانٌ بَيْنَ خَمَائِلٍ وَصَحَارِي<sup>(٢)</sup>  
 بَائِتٌ تُصَفِّقُهُ جَنُوبٌ رَنَدَةٌ  
 وَقِطَارٌ سَارِيَّةٌ بِغَيْرِ شِعَارٍ<sup>(٣)</sup>  
 تَطْوِي شَوَاكِلَهُ وَتَحْنُو صُلْبَهُ  
 كَالْقَلْبِ غَوِيرٍ فِي مَرَادٍ عَذَارِي<sup>(٤)</sup>  
 بَاتَ الْمُكَلَّبُ فِي مَرَايِدَ حَوْلَهُ  
 يَسْقَى بِطَاوِيَةِ الْبُطُونِ ضَوَارٍ<sup>(٥)</sup>

(١) الهجيرُ: منتصف النهار عند اشتداد الحر، والليت: عروق العنق، والمقد: ما بين الأذنين من خلف. وقيل: هو منتهى الشعر من القفا، والعينية: بول فيه أخلاط تُطَلَّى به الإبل الجربى، والتعني: التطلّي بها.

قال الشاعر:

هندي ذواء الأجرِبِ المُعْبِدِ      عينية من قطرانٍ مُسْقِدِ

(٢) النجاد: الأراضي المرتفعة، وطيان: خميص البطن. وقد طوي من الجوع فهو طيان.

(٣) الريدة: الرّيح اللبنة الهبوب، والسارية من السحاب: التي تجيء ليلاً، قال النابغة:

سرت عليه، من الجوزاء، سارية      تُزجي الشمال عليه جامد البرد

وقيل: السارية المطرة التي تكون بالليل؛ قال الشاعر:

رأيتك تَفْسُ الساريات، ولم تكن      لثركب إلا ذا الزسوم الموقعا

(٤) الشواكل: الشعاب وهذا طريق ذو شواكل: تشعب منه طرق أخرى وتحنو: تنعطف،

وأرض مرداء، وجمعها مراد: وهي رمال لا يثبت فيها، والعذاري: العذارى.

(٥) المُكَلَّب: إذا استبد به العطش والجوع، فكلب.

رُزِقِ الْمُيُونِ إِذَا رَأَيْنَ طَرِيْدَةً  
 طَمَحَتْ سَوَالِفُهُنَّ فِي الْأَوْتَارِ<sup>(١)</sup>  
 حَتَّى غَدَا لَهَقُ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ  
 لَثِقُ الْقَمِيصِ مِنَ الْمَشَامِلِ عَارِي<sup>(٢)</sup>  
 وَغَدَوْنَ فِي قِطْعِ الْغُبَارِ عَوَاصِفَا  
 دُزْمَا حَوَاجِبُهَا مِنَ الْإِضْرَارِ<sup>(٣)</sup>  
 حَتَّى إِذَا مَا كَذَنَ أَوْ خَالَطَنَهُ  
 وَطَمَفَنَ بِالْأَنْيَابِ وَالْأَظْفَارِ  
 هَزَّ الْقَنَاءَ لَهُنَّ ثُمَّ أَعَادَهَا  
 طَوْرَيْنِ بَيْنَ مُعَانِقٍ وَمَمَارِي  
 ثُمَّ اسْتَمَرَ وَفِثْنَ غَيْرَ جَوَاذِلِ  
 يَخْلِطُنَ بَيْنَ حَشَارِجٍ وَهَرَارِ<sup>(٤)</sup>

(١) طَمَحَتْ: ارتفعت واشترأبت، والسَّوَالِفُ: جَمْعُ سَالِفَةٍ، وهي مُقَدِّمَةُ الْعُنُقِ،  
 والأوتار: جَمْعُ وَتِيرَةٍ وهي حلقة فيها خَرَزَةٌ تُعَلَّقُ فِي أَعْنَاقِ الْحَيَوَانَاتِ وهي  
 كَالْتَمِيمَةِ، يريد وصف تحفُّز حيوانات الصيد لفريستها وارتفاع حلقة العنق لشدة  
 تحفُّزها للصيد.

(٢) لَهَقُ السَّرَاةِ: الأبيض من أعلى الظهر، ولثق القميص: مبتلّه، ويقال إن اللثق:  
 اختلاط الماء بالطين، والمشامل: ما يُلْتَحَفُ بِهِ مِنْ كَسَاءٍ. ولعله هنا يصف الثور  
 الوحشي، ومطاردة الكلاب له.

(٣) دُزْمَا حَوَاجِبُهَا: تقاربت حواجبها.

(٤) حَشَارِجُ: جَمْعُ مِنَ الْحَشَرَجَةِ: وهي تردُّدُ الصَّوْتِ وَالنَّفْسِ فِي الْحَلْقِ مِنْ غَيْرِ أَنْ  
 يُخْرِجَ وَقِيلَ هُوَ تردُّدُ الصَّوْتِ فِي الصَّدْرِ. وَهَرَّ الْكَلْبُ: إِذَا نَبَحَ بِشِدَّةٍ وَكَشَّرَ عَنْ  
 أَنْيَابِهِ.

- يَلْحَسُنُ مِنْ صَفْحَاتِهِنَّ نَوَافِذَاً  
لَحَسَ الرِّوَائِمُ سَلَخَهَا الْأَبْكَارُ<sup>(١)</sup>  
وَالْمَعْرُ يُمَعِّجُ فِي الْجِهَادِ كَأَنَّهُ  
قُرْنَسَةٌ طَوِيَتْ عَلَى أَنْيَارٍ<sup>(٢)</sup>  
فَعَلَا الْخَمِيلَةَ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ  
نَفْضَ الْمَقَامِيسِ رَأْسَهُ الْمَهَارِ<sup>(٣)</sup>  
يَزْعُ الذُّبَابُ بِحَشْرَةٍ مَطْوِيَةٍ  
وَيَحْرُتِي مُتَوَجِّسٍ بَرِبَارٍ<sup>(٤)</sup>  
خَمِطُ الضُّحَى وَكَأَنَّ رِيحَ كِنَاسِهِ  
مِنْ رَغِيَةِ الْقَفَرَاتِ رِيحُ صَوَارٍ<sup>(٥)</sup>  
وُشِمَتْ مَذَارِعُهُ بِوَشْمٍ بَيْنَهَا  
خَلَلٌ كَمَا وَشِمَ الْأَكْفُ عَذَارِي<sup>(٦)</sup>

- 
- (١) صفحاتهن: جلودهن، والنوافذ: مكان الطعنة أو الجرح، والروائيم: النوق إذا عطف على وليدها.  
(٢) يمعج: يسرع في السير، والقرناسه: صنارة المغزل، والأنيار: جمع نير، وهو نسيج الخيوط إذا اجتمعت.  
(٣) القمس: الغوص في الماء: وكل شيء ينقطع في الماء ثم يرتفع فقد قمس، والمهار: السابح، وكلمة ماهر، تطلق في الأصل على من يجيد السباحة على وجه التخصص.  
(٤) يزع: يكف، والحشرة: الإذن الصغيرة: وقيل هي باطن الإذن، ويحرتي: بفتحتي أذنيه، والبربار: كل صوت يشبه الهديان والجلبة.  
(٥) الخمط: من النبات والشجر إذا كانت فيه حموضة وقيل هو المرير، والضحي هنا: الغداء، لأنه يتناول في الضحي، وكناسه: بيته وماواه، والصوار: قطع البقر.  
(٦) المذارع: القوائم.

## دُقْلَةُ الْمُنْبِجِي

### اليتيمة

مِنْ أَكْثَرِ الْقَصَائِدِ الَّتِي نُسِجَتْ حَوْلَهَا الْأَقَاوِيلُ الَّتِي قَارَبَتْ أَحْيَانًا حُدُودَ  
الْأَسَاطِيرِ، خَاصَّةً مَا كَتَبَهُ عَنْهَا جُرْجِي زَيْدَانُ فِي مَجَلَّةِ الْهِلَالِ. أَوَّلُ مَنْ  
حَقَّقَهَا أَبُو الْقَاسِمِ التَّنُوحِي الْمُعْتَزَلِي (٣٥٥ - ٤٧٧ هِجْرِيَّةً) بِاسْمِ  
«الْقَصِيدَةِ الْيَتِيمَةِ» وَكَانَتْ تُنْسَبُ لِسَبْعَةِ عَشَرَ شَاعِرًا بَيْنَهُمْ ذُو الرُّمَّةِ  
وَالْعَكَّوكُ وَأَبُو الشُّيْصِ. وَنُقِلَ عَنِ الْمُبَرِّدِ قَوْلُهُ: هَذِهِ الْقَصِيدَةُ هِيَ عَلَنِي  
وَهِيَ «الْيَتِيمَةُ» وَنَسَبَهَا ابْنُ أَبِي عَوْنٍ فِي كِتَابِ «التَّشْبِيهَاتِ» لِشَاعِرٍ  
مَجْهُولٍ هُوَ زَوْبَعَةُ الْمُلْحَى، وَجَعَلَهَا ابْنُ كَثِيرٍ فِي الْبِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ مِنْ  
الْمُعَلَّقَاتِ الضَّائِعَةِ، وَأَشَارَ مُحَمَّدُ شُكْرِي الْأَلُوسِي فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ  
«بُلُوغِ الْأَرْبِ فِي مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْعَرَبِ» إِلَى أَنَّهَا مِنَ الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ،  
دُونَ الْإِشَارَةِ إِلَى شَاعِرِهَا مُكْتَفِيًا بِالْقَوْلِ: وَفِي الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ كَثِيرٌ مِنْ  
أَوْصَافِ النِّسَاءِ الْمَحْمُودَةِ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ مِنْ قَصِيدَةٍ. . . وَأُورِدَ  
وَاحِدًا وَعِشْرِينَ بَيِّنًا مِنْهَا، وَخَتَمَهَا بِقَوْلِهِ: وَالْقَصِيدَةُ طَوِيلَةٌ وَلَهَا قِصَّةٌ  
مَشْهُورَةٌ، وَيَبْدُو أَنَّ جُرْجِي زَيْدَانَ اعْتَمَدَ عَلَى هَذِهِ الْفَرَضِيَّةِ لِتَخْرِيجِ

أَسْطُورَةٌ غَرِيبَةٌ عَنِ الْقَصِيدَةِ وَقَصِيدَتِهَا، ثُمَّ صَارَتْ تُنْسَبُ لِشَاعِرٍ آخَرَ مَعْمُورٍ  
اسْمُهُ «دَوْقَلَةُ الْمُنْبِجِي» وَاخْتُلِفَ أَيْضاً عَلَى اسْمِهِ أَيْضاً فَهُوَ «سَعِيدُ بْنُ  
حَمِيدِ الْمُنْبِجِي» فِي بَعْضِ الْمَصَادِيرِ وَهُوَ «أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ» فِي مَصَادِيرٍ  
أُخْرَى وَيُعْرَفُ كَذَلِكَ بِدَوْقَلَةِ الْعَبْدِ.

هَلْ بِالطُّلُولِ لِسَائِلِ رَدٍّ أَمْ هَلْ لَهَا بِتَكَلُّمِ عَهْدٍ؟  
أَبْلَى الْجَدِيدُ جَدِيدَ مَعْهَدِهَا فَكَأَنَّمَا هُوَ رِيْطَةٌ جُرْدٌ<sup>(١)</sup>  
مِنْ طُولِ مَا تَبْكِي الْغُيُومُ عَلَى عَرَصَاتِهَا وَيُقَهِّقُهُ الرُّغْدُ<sup>(٢)</sup>  
وَتِلْكَ سَارِيَةٌ وَغَادِيَةٌ وَيَكْرُ نَحْسٌ خَلَقَهُ سَعْدُ<sup>(٣)</sup>  
تَلْقَى شَامِيَةً يَمَانِيَةً لَهُمَا بِمَوْرِ ثَرَابِهَا سَرْدُ<sup>(٤)</sup>  
فَكَسَتْ بِوَاطِنِهَا ظَوَاهِرَهَا نَوْرًا كَأَنَّ زُهَاءَهُ بُرْدُ  
يَغْدُو فَيَسْدِي نَسْجَهُ حَدَبٌ وَأَهِي الْعُرَى وَيُنِيرُهُ عَهْدُ  
فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا وَلَيْسَ بِهَا إِلَّا الْمَهَا وَنَقَانِيقُ رَيْدُ<sup>(٥)</sup>  
وَمَكْدَمُ فِي عَائَةِ جَرَاثٍ حَتَّى يُهَيِّجَ شَاوَهَا الْوَرْدُ<sup>(٦)</sup>

(١) الرِيْطَةُ: الملاءة، والجُرْدُ من الأرض: ما لا ينبْتُ، وهنا استخدامٌ مجازيٌّ، فقد  
اعتادت العربُ أن تطلقَ على البلى مجازاتٍ عدَّة من قبيل: ثوبٌ هدمٌ، وريْطَةٌ  
جُرْدٌ، وكتابٌ دارسٌ، ورسمٌ طامسٌ.

(٢) عَرَصَاتُهَا: ساحاتها.

(٣) الثُّلُثُ الْغُيُومُ: إذا دامت طويلاً، والسَّارِيَةُ والغَادِيَةُ: الغيومُ، ومنها الشَّامِيَةُ واليَمَانِيَةُ  
بحسب جهة قُدُوبِهَا.

(٤) مَارَ: إذا تحركَ حركةٌ تَمْوجِيَّةٌ فيها ذهابٌ وإيابٌ: تشبه حركةَ اهتزازِ سعفِ النَّخِيلِ.

(٥) النَقَانِيقُ الرُّيْدُ: الثَّعَامُ ذاتِ السَّوَادِ الْمُخْتَلَطِ.

(٦) مَكْدَمُ: منما سَكَ الْفَتْلَ والنَّسِيجَ، والشَّاوُ: الغاية، أو خلاصة الشيء.

فَتَبَادَرَتْ دِرَرُ الشُّوونِ عَلَى خَدَيَّيْ كَمَا يَتَنَائِرُ الْعِشْدُ  
أَوْ نَضْحُ عَزَلَاءِ الشَّعِيبِ وَقَدْ رَاحَ الْعَسِيفُ بِمِلْئِهَا يَغْدُو<sup>(١)</sup>  
لَهْفِي عَلَى دَغْدٍ وَمَا حَفَلْتُ إِلَّا بِحَرِّ تَلَهْفِي دَغْدُ  
بَيْضَاءُ قَدْ لَيْسَ الْأَدِيمُ أَدِيمَ الْحُسْنِ فَهُوَ لِجِلْدِهَا جِلْدُ<sup>(٢)</sup>  
وَيَزِينُ فَوْدَيْهَا إِذَا حَسَرَتْ ضَافِي الْقَدَائِرِ فَاجِمٌ جَفْدُ  
فَالْوَجْهَ مِثْلُ الصُّبْحِ مَبْيَضُ وَالْفَرْعُ مِثْلُ اللَّيْلِ مُسْوَدُ  
ضِدَّانٍ لِمَا اسْتَجْمَعَا حَسْنًا وَالضُّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضُّدُّ  
وَجَبِينُهَا صَلَّتْ وَحَاجِبُهَا شَخْتُ الْمَخْطُ أَرْجُ مُنْتَدُ<sup>(٣)</sup>  
وَكَأَنَّهَا وَشَنَى إِذَا نَظَرْتُ أَوْ مُدْنَفٌ لِمَا يُفِيقُ بَغْدُ<sup>(٤)</sup>  
بِفُتُورِ عَيْنٍ مَا بِهَا رَمْدُ وَبِهَا تُدَاوِي الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ  
وَتُرِيكَ حِرْنِيئًا بِهِ شَمَمٌ وَتُرِيكَ خَدًّا لَوْنُهُ الْوَرْدُ  
وَتُجِيلُ مِسْوَاكَ الْأَرَاكِ عَلَى رَثْلِ كَأَنَّ رُضَابَهُ الشُّهْدُ<sup>(٥)</sup>  
وَالْجِيدُ مِنْهَا جِيدٌ جَازِئَةٌ تَغْطُو إِذَا طَالَهَا الْمَرْدُ<sup>(٦)</sup>  
وَكَأَنَّمَا سَقِيَتْ ثَرَائِبُهَا وَالتَّحْرُ مَاءُ الْحُسْنِ إِذَا تَبَدُّو<sup>(٧)</sup>

(١) الشَّعِيبُ: القرية البالية، والعسيف: الأجير أو العبد المستهان به.

(٢) الْأَدِيمُ: الْبَشْرَةُ، وَيُسَمَّى وَجْهُ الْأَرْضِ: أَدِيمُهَا.

(٣) الصَّلْتُ: الْوَاضِحُ، وَالشَّخْتُ: الدَّقِيقُ، وَالْأَرْجُ: الطَّوِيلُ.

(٤) الْمَدْنَفُ: الْمَرِيضُ، إِذَا لَازَمَهُ الْمَرَضُ.

(٥) الرَّثْلُ: تَنَاسَقُ الْأَسْنَانِ وَبَيَاضُهَا وَكَثْرَةُ مَائِهَا.

(٦) ظَبِيَّةٌ جَازِئَةٌ: اسْتَغْنَتْ عَنِ الرُّطْبِ بِالْمَاءِ، وَتَعْطُو: تَتَنَاوَلُ، وَظَبِي عَطَوُ: يَتَطَاوَلُ إِلَى الشَّجَرِ لِيَتَنَاوَلَ مِنْهُ، وَالْمَرْدُ: الشَّجَرُ الْغَضُّ، وَقِيلَ هُوَ شَجَرُ الْأَرَاكِ.

(٧) الثَّرَائِبُ: عِظَامُ الصُّدْرِ، وَهُوَ مَكَانُ الْفِيلَادَةِ، وَقِيلَ هِيَ بِالْتَّحْدِيدِ مَا بَيْنَ التَّرْقُوتَةِ، وَأَوَّلِ لَحْمِ الثَّدْيِ.

وَأَمْسَدُ مِنْ أَغْضَادِهَا قَصَبٌ      فَعَمَّ زَهْنُهُ مَرَّافِقُ دُرْدُ<sup>(١)</sup>  
وَلَهَا بَنَانٌ لَوْ أَرَدَتْ لَهُ      عَقْدًا بِكَفِّكَ أَمَكْنَ الْعَقْدُ  
وَالْمِغْصَمَانِ فَمَا يُرَى لَهُمَا      مِنْ نَعْمَةٍ وَبَضَاضَةٍ زُنْدُ  
وَالْبَطْنُ مَطْوِيٌّ كَمَا طُوِيَتْ      بِيضُ الرِّيَاطِ يَصُونُهَا الْمَلْدُ<sup>(٢)</sup>  
وَبِخَضَرِهَا هَيْفٌ يُزَيِّنُهُ      فَإِذَا تَنَوُّهُ يَكَادُ يَنْقَدُ<sup>(٣)</sup>  
وَالْتَفَّ فَخَذَاهَا وَفَوْقَهُمَا      كَفَلَ كِدْعُصِ الرَّمْلِ مُشْتَدُ<sup>(٤)</sup>  
فَنُفُوضُهَا مَثْنَى إِذَا نَهَضَتْ      مِنْ ثِقَلِهِ وَقَعُودُهَا قَرْدُ

(١) فَعَمَّ: مَمْلَى

(٢) الرِّيَاطُ: جَمْعُ رِبْطَةٍ، وَهِيَ الْمَلَاءَةُ، وَقِيلَ كُلُّ ثَوْبٍ رَقِيقٍ وَلَيِّنٍ يُسَمَّى رِبْطَةً.

(٣) هُنَاكَ ثَلَاثَةُ أَبْيَاتٍ اسْتَظَرَفَتْ بَعْضُ الْمَصَادِرِ الْحَدِيثَةَ إِضَافَتَهَا، وَرَبَّمَا دَسَّهَا عَلَى

الْقَصِيدَةِ الْمَنْسُوبَةِ لِدَوْقَلَةَ، وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ الثَّلَاثَةُ هِيَ:

وَلَهَا هَنْ رَابٌ مَجْنُتُهُ	ضَيْقُ الْمَسَالِكِ حَرَّةٌ وَقَدْ
لَكَاةٌ مِنْ كِبَرِهِ قَدْخٌ	أَكَلَ الْعِيَالُ وَكَبَهُ الْعَبْدُ
فَإِذَا طَمَعْتَ فِي لُبْدٍ	وَإِذَا سَلَلْتَ يَكَاذُ يَنْشُدُ

لَكِنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الثَّلَاثَةَ لَمْ تَرُدَّ فِي أَصْلِ رِوَايَةِ التَّنُوخِيِّ «لِلْقَصِيدَةِ الْيَتِيمَةِ» بِتَحْقِيقِ  
صَلَاحِ الدِّينِ الْمُنْجِدِ الَّتِي اعْتَمَدْنَاهَا هُنَا، وَإِنَّمَا وَرَدَتْ فِي كُلِّ مِنْ: دِيوَانِ أَبِي  
الشَّيْبِ بِتَحْقِيقِ الدَّكْتُورِ عَبْدِ اللَّهِ الْجُبُورِيِّ، وَدِيوَانِ الْعُكُوكِ «عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ» بِتَحْقِيقِ  
الدَّكْتُورِ حُسَيْنِ عَطْوَانَ. كَمَا أوردُ ابْنُ أَبِي عَوْنٍ «بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ  
الْهَجْرِيَيْنِ» فِي: «التَّشْبِيهَاتِ» الْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَ وَالثَّالِثَ مِنْهَا عَلَى أَنَّهُمَا جُزْءٌ مِنَ  
الْقَصِيدَةِ الْمَنْسُوبَةِ لِزَوْبَعَةِ الْمُلْحَى، وَأَضَافَ إِبْرَاهِيمُ النُّجَارِيُّ فِي: «شُعْرَاءِ عَبَّاسِيُونَ  
مَنْسُيُونَ» آيَاتًا أُخْرَى لِتَصِلَ الْقَصِيدَةُ مَعَهُ إِلَى سَبْعِينَ بَيْتًا، مُتَحَرِّزًا نِسْبَتَهَا إِلَى دَوْقَلَةَ  
أَوْ لِسَوَاهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ، وَمُنَوَّهًا إِلَى أَنَّ ذَلِكَ يُؤَكِّدُ «صِبْغَةَ الْعَمَلِ الْمُشَاعِ لِهَذَا الْأَثَرِ  
الْفَرِيدِ، وَالْجُهْدَ الْمُشْتَرَكَ لِأَجْيَالٍ مِنَ الرُّوَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْقُرَّاءِ الْأَدْبَاءِ وَالنَّسَخَةِ  
الْمُتَأَدِّينَ».

(٤) الدَّعْصُ: الْكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ أَوْ الْكُتْلَةُ مِنْهُ.

وَالسَّاقُ خَرَعَبَةٌ مُنْعَمَةٌ      عَبِلْتُ فَطَوَّقُ الْحَجَلِ مُنْسَدٌ<sup>(١)</sup>  
وَالْكَغَبُ أَذْرَمٌ لَا يَبِينُ لَهُ      حَجَمٌ وَلَيْسَ لِرَأْسِهِ حَدٌ  
وَمَشَتْ عَلَى قَدَمَيْنِ خُصْرَتَا      وَالْيَبْنَاءُ فَتَكَامَلِ الْقَدُ  
إِنْ لَمْ يَكُنْ وَضَلٌ لَدَيْكَ لَنَا      يَشْفِي الصَّبَابَةَ فَلْيَكُنْ وَغَدُ  
قَدْ كَانَ أَوْرَقَ وَضَلُكُمْ زَمَنًا      فَذَوَى الْوِصَالِ وَأَوْرَقَ الصَّدُ  
لِلَّهِ أَشْوَاقِي إِذَا نَزَحْتُ      دَارَ بِنَا وَنَوَى بِكُمْ تَغْدُو  
إِنْ تُثْهِمِي فَتَهَامَةٌ وَطَنِي      أَوْ تُنْجِدِي يَكُنِ الْهَوَى نَجْدُ  
وَزَعَمْتُ أَنَّكَ تَضْمُرِينَ لَنَا      وَذَا فَهَلَا يَنْفَعُ الْوُدُ  
وَإِذَا الْمُحِبُّ شَكَا الصَّدُودَ فَلَمْ      يَغْطِفْ عَلَيْهِ فَقَتْلُهُ عَمْدُ  
تَخْتَصُّهَا بِالْحُبِّ وَهِيَ عَلَى      مَا لَا تُحِبُّ فَهَكَذَا الْوَجْدُ  
أَوْ مَا تَرَى طَمَرِي بَيْنَهُمَا      رَجُلٌ أَلَحَّ بِهِزْلِهِ الْجِدُ<sup>(٢)</sup>  
فَالسَّيْفُ يَقْطَعُ وَهُوَ ذُو صَدَا      وَالنُّضْلُ يَفْرِي الْهَامَ لَا الْغَمْدُ  
هَلْ تَنْفَعَنَّ السَّيْفَ جَلِيَّتُهُ      يَوْمَ الْجَلَادِ إِذَا نَبَا الْحَدُ  
وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنِّي رَجُلٌ      فِي الصَّالِحَاتِ أَرْوَحُ أَوْ أَغْدُو  
بَرْدٌ عَلَى الْأَذْنَى وَمَرْحَمَةٌ      وَعَلَى الْحَوَادِثِ مَارِنٌ جَلْدُ<sup>(٣)</sup>  
مَنْعَ الْمَطَامِعِ أَنْ تُثْلَمَنِي      أَنِّي لِمَغَوْلِهَا صَفًا صَلْدُ<sup>(٤)</sup>  
فَأَظِلُّ خُرًّا مِنْ مَذَلَّتِهَا      وَالْخُرُّ حِينَ يُطِيعُهَا عَبْدُ

(١) خَرَعَبَةٌ: رَقِيقَةُ الْعَظْمِ، كَثِيرَةُ اللَّحْمِ، نَاعِمَةٌ، وَعَبِلْتُ: قُتِلْتُ.

(٢) طَمَرَاهُ: ثِيَابُهُ الْوَاسِعَةُ، وَقِيلَ هُوَ الثَّوْبُ الْبَالِي، وَالتَّثْنِيَةُ هُنَا تَخْصُ الثَّوْبَ وَالْعِبَادَةَ مَعًا.

(٣) مَارِنٌ: مِنَ الْمَرُونَةِ، أَيِ: اللَّيْنِ فِي صَلَابَةٍ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى التَّفَاعُلِ مَعَ الصَّعُوبَاتِ.

(٤) الصَّفَا: جَمْعُ صَفَاةٍ: وَهِيَ الصَّخْرَةُ الْمُلَسَّاءُ.

الْبَيْتُ أَمْدَحُ مُقْرِفًا أَبَدًا      يَبْقَى الْمَدِينُحُ وَيَذْهَبُ الرَّقْدُ<sup>(١)</sup>  
مَهَبَاتٍ يَا بَنِي ذَاكَ لِي سَلَفُ      خَمَدُوا وَلَمْ يَخْمُدْ لَهُمْ مَجْدُ  
وَالْجَدُّ حَارِثٌ وَالْبَنُونَ هُمُ      فَرَكَا الْبَنُونَ وَأَنْجَبَ الْجَدُّ  
وَلَيْسَ قَفْوْتُ حَمِيدَ فَعْلِهِمْ      بِذَمِيمٍ فَعْلِي إِنْ نِي وَغَدُ  
أَجْمِلُ إِذَا طَالَبْتَ فِي طَلَبِ      فَالْجَدُّ يُغْنِي عَنْكَ لَا الْجَدُّ  
وَإِذَا صَبَرْتَ لِجَهْدٍ نَازِلَةٍ      فَكَأَنَّهُ مَا مَسَّكَ الْجَهْدُ  
وَطَرِيدٍ لَيْلٍ قَادَهُ سَغَبُ      وَهَنًا إِلَيَّ وَسَاقَهُ بَرْدُ  
أَوْسَعْتُ جُهْدَ بَشَاشَةٍ وَقِرَى      وَعَلَى الْكَرِيمِ لَضِيْفِهِ الْجُهْدُ<sup>(٢)</sup>  
فَتَصَرَّمُ الْمَشْتَى وَمَنْزِلُهُ      رَحْبٌ لَدَيَّ وَعَيْشُهُ رَغْدُ  
ثُمَّ انْثَنَى وَرِدَاؤُهُ نَعَمٌ      أَسْدَيْتُهَا وَرِدَائِي الْحَمْدُ  
لِيَكُنْ لَدَيْكَ لِسَائِلٍ فَرَجٌ      إِنْ لَمْ يَكُنْ فَلْيَخْسَنِ الرُّدُّ  
يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ ذَلِكَ      وَمَحَارُ كُلِّ مُؤْمِلٍ لَخْدُ  
أَصْرِيْعُ كَلِمٍ أَمْ صَرِيْعُ رَدَى      أَوْدَى فَلَيْسَ مِنَ الرُّدَى بُدَى

(١) المقرِفُ: الهجينُ، وقيل هو من كانت أمه أمةً: أي جارية، وليست حُرّةً، والرَّقْدُ: العطية والكسب.

(٢) القِرَى: الإحسان.

## عمرو بن مغدي كرب

### قصيدة ربحانة

شاعر جاهلي، فارس فاتك ومفوة بليغ من أهل اليمن، له شعر آخر جيد غير هذه القصيدة لكن ابن رشيح القيرواني رأى في كتابه «العمدة» أن هذه القصيدة تعد من «واحدات» الشعر الجاهلي التي تلي المعلقات شهرة. و«ربحانة» التي سميت القصيدة باسمها، هي أخت الشاعر وكانت قد سبيت، فقال فيها مطلع القصيدة. وتزوجها الصمة بن الحارث بعد سبيها، فأنجب له «دريد بن الصمة» الشاعر والفارس المشهور.

امن ربحانة الداعي السميع يؤرقني وأضحائي هجوع<sup>(١)</sup>  
ينادي من براقيش أو معين فأسمع واتلأب بنا ملبع<sup>(٢)</sup>  
وقد جاوذن من «غمدان» داراً لأبوال البغال بها وقيع

---

(١) ربحانة: اسم أخته وقد سبها بنو سليم فولدت دريد بن الصمة الشاعر، وإليها تتوجه القصيدة.

(٢) اتلأب: استقام، والمليع: الأرض الواسعة.

وَرُبَّ مُحَرَّشٍ فِي جَنْبِ سَلَمِي      يُعْلُ بِعَيْبِهَا عِنْدِي شَفِيعٌ <sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ الْأَثْمَدَ الْحَارِيَّ فِيهَا      يُسْفُ بِحَبِثُ تَبْتَدِرُ الدُّمُوعُ <sup>(٢)</sup>  
وَأَبْكَارُ لَهَوْتُ بِهِنَّ حِينًا      نَوَاعِمَ فِي أَسْرَتِهَا الرُّدُوعُ <sup>(٣)</sup>  
أَمْشِي حَوْلَهَا وَأَطُوفُ فِيهَا      وَتُعْجِبُنِي الْمَحَاجِرُ وَالْفُرُوعُ  
إِذَا يَضْحَكُنْ أَوْ يَبْسِمُنْ يَوْمًا      نَرَى بَرْدًا أَلَحَّ بِهِ الصَّقِيعُ  
كَأَنَّ عَلَيَّ عَوَارِضِهِنَّ رَاحًا      يُفَضُّ عَلَيْهِ رُفَّانٌ يَنْبِيعُ  
نَرَاهَا الدُّمَرُ مُقْتِرَةً كِبَاءً      وَتَقْدَحُ صَفْحَةً فِيهَا نَقِيعُ <sup>(٤)</sup>  
وَصَبِغُ ثِيَابِهَا فِي زَغْفَرَانٍ      بِجُدَّتِهَا كَمَا اخْمَرُ النَّجِيعُ  
وَقَدْ عَجِبْتُ أَمَامَهُ أَنْ رَأَيْتَنِي      تَفَرَّعَ لِمَتِي شَيْبٌ قَظِيعُ <sup>(٥)</sup>  
وَقَدْ أَغْدُو يُدَافِعُنِي سَبُوحُ      شَدِيدُ أَسْرُهُ فَعَمَّ سَرِيعُ <sup>(٦)</sup>  
وَأَخْمِرَةُ الْهَجْبِرَةِ كُلُّ يَوْمٍ      يَضُوعُ جَحَاشُهُنَّ بِمَا يَضُوعُ <sup>(٧)</sup>  
فَارْسَلْنَا رَيْثُنَا فَأَوْفَى      فَقَالَ: الْأَوْلَى خَمْسُ رُثُوعُ <sup>(٨)</sup>  
رَبَاعِيَّةٌ وَقَارِحُهَا وَجَحْشُ      وَمَادِيَّةٌ وَتَسَالِيَّةٌ زُمُوعُ <sup>(٩)</sup>

(١) الْمُحَرَّشُ: الشَّيْخُ وَالْأَثَرُ.

(٢) الْأَثْمَدُ: الْكَحْلُ، وَالْحَارِيُّ: نَسَبَةٌ إِلَى الْحَبِيرَةِ.

(٣) الرُّدُوعُ: الْأَوْجَاعُ.

(٤) مُقْتِرَةٌ: مُتَبَخَّرَةٌ، وَالْكِبَاءُ: الْبَخُورُ: أَيُ كَانَهَا عُودُ الْبَخُورِ تَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ، وَالصَّفْحَةُ: جَانِبُ الْوَجْهِ، وَالنَّقِيعُ: شَرَابُ الزَّيْبِ، شَبَّةٌ خَذَّهَا بِشَرَابِ الزَّيْبِ.

(٥) لِلْمَتِي: بِكَسْرِ الرَّاءِ فَرُودَةُ الرَّأْسِ.

(٦) السَّبُوحُ: الْفَرَسُ، وَالْفَعْمُ: الْمُمْتَلِئُ.

(٧) الْجَحَاشُ: الْمُدَافَعَةُ وَالْإِشْتِبَاكُ.

(٨) رَيْثُ الْقَوْمِ: طَلِيعَتُهُمْ.

(٩) الرَّبَاعِيَّةُ: الْخَيْلُ ذَاتُ أَرْبَعِ سَنَوَاتٍ، وَالزُّمُوعُ: الْأَرْنَبُ السَّرِيعَةُ.

فَنَادَانَا: أَتَكْمُنُ أَمْ تُبَادِينِي؟  
أَرَنْ عَشِيَّةً فَاسْتَفْجَلْتَهُ  
فَأَوْفَى عِنْدَ أَقْصَاهُنَّ شَخْصٌ  
يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ صَنِيعٌ  
تَرَاهُ حِينَ يَعْثُرُ فِي دِمَاءِ  
كَمَا يَمْشِي بِأَقْدَحِهِ الْخَلِيعُ<sup>(٢)</sup>  
أَشَابَ الرَّأْسَ أَيَّامَ طِوَالٍ  
وَهُمْ مَا تَبَلَّغَهُ الضُّلُوعُ  
وَسَوْقٌ كَتِيبَةٍ دَلَفَتْ لِأُخْرَى  
كَأَنَّ رَهَاءَهَا رَأْسٌ صَالِيعٌ  
دَنَتْ وَاسْتَأْخَرَ الْأَوْغَالَ عَنْهَا  
وَحُلِيَ بَيْنَهُمْ إِلَّا الْوَرِيعُ<sup>(٣)</sup>  
فِدَى لَهُمْ مَعَا عَمِّي وَخَالِي  
وَشَرَحُ شَبَابِهِمْ إِنْ لَمْ يُضِيعُوا  
وَإِسْنَادُ الْأَسِنَّةِ نَحْوَ نَحْرِي  
وَهَزُّ الْمَشْرِفِيَّةِ وَالْوُقُوعُ  
فَإِنْ تَنَبَّ النَّوَائِبُ آلَ حُضْمٍ  
تُرَى حَكَمَاتُهُمْ فِيهَا رُقُوعُ<sup>(٤)</sup>  
إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعْ شَيْئًا قَدَغُهُ  
وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ  
وَصِلُهُ بِالزَّمَاعِ فَكُلُّ أَمْرٍ  
سَمَّا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلُوعُ<sup>(٥)</sup>  
فَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلَمَى  
قَلِيلِ الْأَنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيعُ<sup>(٦)</sup>  
بِهِ السُّرْحَانُ مُفْتَرِشًا يَدِيهِ  
كَأَنَّ بَيَاضَ لَبَّتِهِ الصُّدَيْعُ<sup>(٧)</sup>

(١) الأرُنُّ: النشاط، والرَّيْدُ: الخَفَّةُ في الحركة

(٢) الأَقْدَحُ: السَّهَامُ، وَالْخَلِيعُ: الصِّيَادُ.

(٣) الْأَوْغَالُ: الضَّعَفَاءُ، وَالْوَرِيعُ: الْجَبَانُ.

(٤) الْحَكَمَاتُ: لُجَامُ الْخَيْلِ.

(٥) الزَّمَاعُ: الْعَزْمُ عَلَى الْأَمْرِ وَالْمُضِيُّ إِلَيْهِ.

(٦) الْغَائِطُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْأَمْنَةُ، وَالْكَتِيعُ: الشَّخْصُ الْمَنْفَرْدُ، أَيِ لَيْسَ فِي تِلْكَ الْأَرْضِ مِنْ أَحَدٍ.

(٧) السُّرْحَانُ: الدُّبُّ، وَلَبَّتُهُ: نَحْرُهُ، وَالصُّدَيْعُ: أَوَّلُ الصُّبْحِ.

وَأَرْضٍ قَدْ قُطِفَتْ بِهَا الْهَوَاهِي      مِنْ الْجَنَانِ سَرَبَتْهَا مَلِيعٌ<sup>(١)</sup>  
تَرَى جَيْفَ الْمَطِيِّ بِحَافَتَيْهِ      كَأَنَّ عِظَامَهَا الرُّخْمُ الْوَقُوعُ<sup>(٢)</sup>  
لَعَمْرُكَ مَا ثَلَاثُ خَائِمَاتٍ      عَلَى رُيْعٍ يَرِغْنَ وَمَا يَرِغُ  
وَنَابُ مَا يَعِيشُ لَهَا حُورًا      شَدِيدُ الطَّغْنِ مِثْكَالُ جَزُوعٍ<sup>(٣)</sup>  
سَدِيسٌ نَضَجَتْهُ بَغْدَ حَمَلٍ      تَحْرَى فِي الْحَنِينِ وَتَسْتَلِيعُ<sup>(٤)</sup>  
بِأَوْجَعِ لَوْعَةٍ مِثْنِي وَوَجْدًا      غَدَاةَ تَحْمَلُ الْإِنْسُ الْجَمِيعُ<sup>(٥)</sup>  
فَإِذَا كُنْتُ سَائِلَةً بِمُهْرِي      فَمُهْرِي إِنْ سَأَلْتِ بِهِ الرِّفِيعُ

(١) الهواهي: ضربٌ من السَّير، والسَّريخُ: الأرضُ الواسعة، والمليعُ: الفلاةُ الممتدة.

(٢) الرُّخْمُ: طيور النعام.

(٣) الحُورُ: ابن الناقة في سته الأولى، ومثكال: كثير الثكل، وفقدان الأبناء.

(٤) تحرى: من الحرارة، وحرارة النار لهيبتها، وتستليع، من أسلع، إذا اكتوى جلده بالنار فتركت فيه أثراً.

(٥) تحمل الإنسان الجميع: غادر الناس جميعاً.

## سُحَيْمُ الرِّيَّاحِي

### صُورَةُ الْأَنَا

شَاعَ مَطْلَعُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي كُتُبِ التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ الْعَرَبِيِّينَ بَعْدَ أَنْ  
اسْتَشْهَدَ بِهِ الْحَجَّاجُ بْنُ يُونُسَ الثَّقَفِيُّ فِي أَوَّلِ ظُهُورِهِ لَهُ أَمَامَ النَّاسِ عَلَى  
الْمِنْبَرِ فِي الْكُوفَةِ بَعْدَ تَوَلِّيَّتِهِ، حَتَّى ظَنَّ الْكَثِيرُونَ أَنَّهَا لَهُ، وَإِنَّمَا هِيَ  
لِشَاعِرٍ عَاشَ قَرْنًا كَامِلًا وَلَمْ تُعْرِفْ لَهُ قَصِيدَةٌ سِوَى هَذِهِ الَّتِي عَاشَتْ مِنْ  
بَعْدِهِ لِقُرُونٍ، حِينَ يَقُولُ ابْنُ دُرَيْدٍ فِي كِتَابِ «الاشْتِقَاقِ»: عَاشَ سُحَيْمُ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَسِتِّينَ سَنَةً فِي الْإِسْلَامِ.

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعِ الثَّنَائِيَا      مَتْنِي أَضْعُ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي<sup>(١)</sup>  
وَأِنْ مَكَانَنَا مِنْ جَمْعِيَّيْ      مَكَانُ اللَّيْلِ مِنْ وَسْطِ الْعَرِينِ  
وَأِنِّي لَا يَمُودُ إِلَيَّ قَرْنِي      عِدَاةُ الْوَرْدِ إِلَّا فِي قَرْنِ  
بِلَدِّي لَبَدٍ يَصُدُّ الرُّكْبُ عَنْهُ      وَلَا تُؤْتِي قَرْنِسْتُهُ لِحِينِ

---

(١) ابنُ جَلَا: الْمُتَكَشِّفُ الْأَمْرَ الْمَشْهُورَ، وَتَقُولُ الْعَرَبُ لِلصَّبْحِ: ابْنُ جَلَا، وَقَدْ انْشَغَلَ  
النَّحَاةُ الْعَرَبُ بِصِيغَةِ «ابْنُ جَلَا» هَلْ هِيَ اسْمٌ أَمْ مَقُولَةٌ عَنْ فِعْلٍ، وَطَلَّاعُ الثَّنَائِيَا: الَّذِي  
يُظْهِرُ عَلَى الْأَرْضِ الْمَرْتَفَعَةِ.

عَذَرْتُ الْبُزْلَ إِذْ هِيَ خَاطَرْتَنِي      فَمَا بَالِي وَيَا لِي إِسْنِي لَبُونِ<sup>(١)</sup>  
وَمَاذَا يَبْتَغِي الشُّعْرَاءُ مِنِّي      وَقَدْ جَاوَزْتُ رَأْسَ الْأَرْبَعِينَ  
أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعًا أَشْدَّيْ      وَنَجَّدَنِي مَدَاوِرَةَ الشُّؤُونِ<sup>(٢)</sup>  
فَإِنْ عَلَّاتِي وَجِرَاءَ حَوْلِي      لَدُو شِقِّ عَلَى الضَّرْعِ الظُّنُونِ  
سَاحِبًا مَا حَبِثُ وَإِنْ ظَهَرِي      لَمُسْتَنِدٍ إِلَى نَضْدِ أَمِينِ  
أَنَا ابْنُ الْغُرِّ مِنْ سَلَفِي رِيَّاحِ      كَنُضْلِ السَّيْفِ وَضَاحِ الْجَبِينِ  
مَتْنِي أَخْلِلْ إِلَيَّ قَطْنٍ وَزَيْدِ      وَسَلَمْنِي تَكْثُرُ الْأَصْوَاتِ دُونِي<sup>(٣)</sup>  
وَهَمَامٍ مَتْنِي أَخْلِلْ إِلَيْهِ      يَجِلُّ اللَّيْثُ فِي عَيْنِ أَمِينِ  
أَلْفُ الْجَانِبِينَ بِهِ أَسْوَدُ      مُنْطَقَةُ بَاضِلَابِ الْجَفُونِ  
وَإِنْ قَنَانًا مَشِطَ شَظَاهَا      شَدِيدٌ مَلْهَا عُنُقَ الْقَرِينِ

(١) البزل: الإبل إذا شقت أسنانه بعد السنة الثامنة.

(٢) رجل منجد: مجرب وعارف.

(٣) قطن: اسم جبل.

## قُتَيْلَةُ بِنْتُ النُّضْرِ

### مُنْبَكِيَةُ النَّبِيِّ

هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لِقُتَيْلَةَ بِنْتِ النُّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ وَقِيلَ هِيَ قُتَيْلَةُ بِنْتُ  
الْحَارِثِ، فَهِيَ قِيلَتْ فِي رِثَاءِ أَبِيهَا، أَوْ أُخِيهَا النُّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ الَّذِي  
قُتِلَ مَعَ قُرَيْشٍ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَقِيلَ أَنَّ الشَّاعِرَةَ عَرَضَتْ لِلنَّبِيِّ  
مُحَمَّدٍ (ص) وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَاسْتَوْفَفَتْهُ وَجَذَبَتْ رِدَاءَهُ وَأَنشَدَتْهُ  
شِعْرَهَا فَلَمَّا سَمِعَهَا بَكَى وَقَالَ: «لَوْ جِئْتَنِي مِنْ قَبْلِ لَعَفَوْتُ عَنْهُ» ثُمَّ قَالَ:  
«لَا يَقْتُلُ قُرَشِيٌّ بَعْدَ هَذَا صَبْرًا». قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ: «يُقَالُ أَنَّ شِعْرَهَا أَكْرَمُ  
شِعْرِ مَوْتُورَةَ وَأَعْفَى وَأَكْفَى وَأَحْلَمَ». وَقَالَ الْخَالِدِيَّانِ: «كَانَتْ قُتَيْلَةُ مِنْ  
أَحْسَنِ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَفْصَحِهِنَّ، وَكَانَ النَّبِيُّ (ص) أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا حَتَّى  
كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهَا مَا كَانَ».

يَا رَاكِبًا إِنَّ الْأُنْبِلَ مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ  
بَلِّغْ بِهِ مَبْنَأَ فَإِنَّ تَحِيَّةَ مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا الرُّكَائِبُ تَخْفِقُ  
مِنْهُ إِلَيْكَ، وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ جَاءَتْ لِمَائِجِهَا وَآخَرَى تَخْنُقُ  
فَلْيَسْمَعْ النُّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ إِنْ كَانَ يَسْمَعُ مَيْتٌ أَوْ يَنْطِقُ

ظَلْتُ سَيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ      لَهُ أَزْحَامٌ هُنَاكَ تَمَرَّقُ  
 قَسْرًا يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتَعَبًا      رَسَفُ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ عَانِ مُوثَقٌ<sup>(١)</sup>  
 أَمَحَمْدُ، وَلَأَنْتَ نَجْلُ نَجِيبَةٍ      مِنْ قَوْمِهَا، وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُغْرِقُ  
 مَا كَانَ ضَرْكَ لَوْ مَنَنْتَ، وَرُبَّمَا      مَنْ الْفَتَى، وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُخْتَقُ  
 وَالنَّضْرُ أَقْرَبُ مَنْ أَصَبَتْ وَسِيلَةٌ      وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِشْقٌ يُغْتَقُ  
 لَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ لَفَدَيْتُهُ      بِأَعَزِّ مَا يُغْلِي بِهِ مَنْ يُنْفِقُ

---

(١) رَسَفُ الْمُقَيَّدِ: مَشَى الْمُقَيَّدُ.

## مُتَمَّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ

### أُمُّ الْمَرَاثِي

يَرَى الْأَضْمَعِيُّ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ هِيَ «أُمُّ الْمَرَاثِي» وَأَيَّدَهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي  
الْعَقْدِ الْفَرِيدِ. وَقَدَّمَهَا الْمُبَرِّدُ فِي التَّعَاذِي وَالْمَرَاثِي عَلَى سَائِرِ شِعْرِ الرَّثَاءِ  
فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، وَجَعَلَ ابْنُ سَلَامٍ شَاعِرَ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي طَلِيعَةِ  
طَبَقَةِ أَصْحَابِ الْمَرَاثِي. وَهِيَ قِيلَتْ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ، الَّذِي  
قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي مَا عُرِفَ «بِحُرُوبِ الرُّدَّةِ» وَبَقِيَّةُ شِعْرِهِ يَصُبُّ أَغْلَبُهُ  
فِي رِثَاءِ أَخِيهِ مَالِكٍ، وَهَذِهِ أَحْوَدُهَا. سَمِعَهَا الْخَلِيفَةُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ  
فَقَالَ: «يَا مُتَمَّمُ، لَوْ كُنْتُ أَقُولُ الشَّعْرَ لَسَرَّيْنِي أَنْ أَقُولَ فِي زَيْدِ بْنِ  
الْخَطَّابِ مِثْلَ مَا قُلْتَ».

وَكَانَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ، أَخُو الْخَلِيفَةِ، قَدْ قُتِلَ فِي الْحَرْبِ نَفْسِهَا، وَفِي  
وَقْعَةِ «الْبِمَامَةِ» بِالذَّاتِ.

لَعَمْرِي وَمَا دَهْرِي بِتَأْيِينِ هَالِكٍ وَلَا جَزَعٍ مِمَّا أَصَابَ فَأَوْجَعَا  
لَقَدْ كَفَّنَ الْمِنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ فَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ، أَرْوَعًا<sup>(١)</sup>

---

(١) المنهال بن عصمة اليربوعي مر على مالك بن نويرة التميمي وهو صريع فالتى =

وَلَا بَرَمًا تُهْدِي النُّسَاءَ لِعِمْرَسِهِ إِذَا الْقَشْعُ مِنْ حَسِّ الشَّتَاءِ تَقَعَّقَا <sup>(١)</sup>  
لَسِبْتُ أَعَانَ اللَّبُّ مِنْهُ سَمَاحَةً خَصِيبٌ إِذَا مَا رَاكِبُ الْجَذْبِ أَوْضَعَا <sup>(٢)</sup>  
نَرَاهُ كَصَدْرِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنُّدَى إِذَا لَمْ تَجِدْ عِنْدَ امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعَا  
وَيَوْمًا إِذَا مَا كَظَمَكَ الْخَصْمُ إِنْ يَكُنْ نَصِيرُكَ مِنْهُمْ لَا تَكُنْ أَنْتَ أَضْيَعَا <sup>(٣)</sup>  
وإِنْ تَلَقَّاهُ فِي الشَّرْبِ لَا تَلَقْ فَاحِشًا عَلَى الْكَأْسِ ذَا قَاذُورَةٍ مُتَرَبِّعَا <sup>(٤)</sup>  
وإِنْ ضَرَمَ الْغَرَزُ الرُّجَالَ رَأَيْتَهُ أَخَا الْحَرْبِ صَدَقًا فِي اللَّقَاءِ سَمِيدَعَا <sup>(٥)</sup>  
وَمَا كَانَ وَقَانًا إِذَا الْخَيْلُ أَجَحَمَتْ وَلَا طَائِشًا عِنْدَ الْإِلْقَاءِ مُدْفَعَا <sup>(٦)</sup>  
وَلَا يَكْهَمُ بَرْزُهُ عَنْ عَدُوِّهِ إِذَا هُوَ لَا قِي حَاسِرًا أَوْ مُقْنَعَا <sup>(٧)</sup>  
فَعَيْنِي هَلَّا تَبْكِيَانِ لِمَالِكٍ إِذَا أَذْرَتِ الرِّيحُ الْكَئِيفَ الْمُرْقَعَا <sup>(٨)</sup>  
وَهَبْتُ شَمَالًا مِنْ تَجَاهِ أَظَايِفٍ إِذَا صَادَقَتْ كَفَّ الْمُفِيزُ تَقْفَعَا <sup>(٩)</sup>

= عليه رداءه.

(١) الْبَرَمُ: الرجلُ الذي لا يتعاطى الميسر، والقشع: جدارٌ للبيوت يُصنع من الجلدِ البابس، فإذا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ والبرْدُ تَقَعَّقَتْ نَوَاجِيهَ أي تَخْلُخَلَتْ.

(٢) أَوْضَعَ: سار بسرعة.

(٣) كَظَه: مَلَأَ غَمًّا، وَتَكَاطَفَ الْقَوْمُ إِذَا تَجَاوَزُوا الْحَدَّ فِي الْعِدَاوَةِ.

(٤) رَجُلٌ قَاذُورَةٌ: مُتَبَرِّمٌ بِالنَّاسِ لَا يَخَالِطُهُمْ وَلَا يَجْلِسُ إِلَّا وَحْدَهُ، وَمُتَزَبِّعٌ: سَيِّءُ الْخُلُقِ.

(٥) ضَرَمَ: اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ، وَالسَّمِيدَعُ: الرَّئِيسُ، أَوْ شَرِيفُ الْقَوْمِ.

(٦) أَجَحَمَتِ الْخَيْلُ: اشْتَدَّ مَعْتَرِكُهَا.

(٧) رَجُلٌ كَهَامٌ: بَطِيءٌ فِي الثَّغْرِ وَالْحَرْبِ، وَالْبَرْزُ وَالْبِرْزَةُ: السَّلَاحُ يَدْخُلُ فِيهِ الدَّرْعُ وَالْيَغْفَرُ وَالسَّيْفُ.

(٨) الْكَئِيفُ: السَّاتِرُ وَالتَّرْسُ.

(٩) تَقْفَعَتِ الْيَدُ: إِذَا نَشَجَتْ وَانْقَبَضَتْ.

وَلِلشَّرْبِ قَابِكِي مَالِكاً وَلِبُهِمَةِ  
وَضَيْفٍ إِذَا أَرَزْنِي طُرُوقاً بَعِيرَهُ  
وَأَزْمَلَةَ تَمَشِي بِأَشْعَثَ مُحْتَلٍ  
إِذَا جَرَدَ الْقَوْمُ الْقِدَاحَ وَأَوْقَدَتْ  
وَلِنْ شَهْدِ الْإِسَارِ لَمْ يُلَفَ مَالِكٌ  
أَبَى الصَّبْرَ آيَاتُ أَرَاهَا وَأَنْبِي  
وَقَدْ كَانَ مَجْذَآمًا إِلَى الْحَرْبِ رَكْضُهُ  
وَأَنْبِي مَتْنِي مَا أَدْعُ بِاسْمِكَ لَا تُجِبْ  
وَكَانَ جَنَاحِي إِنْ نَهَضْتُ أَقْلِنِي  
وَعِشْنَا بِخَيْرٍ فِي الْحَيَاةِ وَقَبْلَنَا  
فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكاً  
وَكُنَّا كَنُذْمَانِي جَذِيمَةً حَقْبَةً  
فَلِنْ تَكُنِ الْإِيَّامُ فَرَقْنِ بَيْنَنَا  
شَدِيدٍ نَوَاجِيهِ عَلَى مَنْ تَشَجَّعَا  
وَعَانَ ثَوْنِي فِي الْقِدْحِ حَتَّى تَكْتُمَا<sup>(١)</sup>  
كَفَرِخِ الْحُبَارَى رَأْسُهُ قَدْ تَضَوَّعَا<sup>(٢)</sup>  
لَهُمْ نَارُ أَيْسَارٍ كَفَى مَنْ تَضَجَّعَا<sup>(٣)</sup>  
عَلَى الْفَرْثِ بِخِمِي اللَّحْمِ أَنْ يَنْتَوَزَعَا<sup>(٤)</sup>  
أَرَى كُلَّ حَبَلٍ بَعْدَ حَبْلِكَ أَقْطَعَا  
سَرِينَعًا إِلَى الدَّاعِي إِذَا هُوَ أَفْرَعَا<sup>(٥)</sup>  
وَكُنْتُ جَدِيرًا أَنْ تُجِيبَ وَتُسْمِعَا  
وَيَخْوِي الْجَنَاحُ الرِّيشَ أَنْ يَتَنَزَّعَا  
أَصَابَ الْمَنَائِيَا رَهْطَ كِسْرَى وَتُبَّعَا  
لِطُولِ اجْتِمَاعٍ لَمْ نَبِثْ لَيْلَةً مَعَا  
مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قَبِلَ لَنْ يَتَصَدَّعَا<sup>(٦)</sup>  
فَقَدْ بَانَ مَحْمُودًا أَخِي حِينِ وَدَّعَا

(١) يقال: أتيتك فما أنغى ولا أزرى، أي: لَمْ يُعْطِ شَاءَ وَلَا نَاقَةَ، يقال: تَكْتَعُ الْأَسِيرُ فِي قَدْوِهِ: تَقْبِضُ وَاجْتَمَعَ.

(٢) المحْتَلُّ: السَّيِّئُ الرِّضَاعَةَ أَوْ سَيِّئَ التَّغْذِيَةِ.

(٣) الإيسار: من الميسر، وتضجع الرجل عن الأمر إذا تقعد ولم يقم به.

(٤) فرث اللحم: فتنه.

(٥) رجل مجذام: رجل حاسم في الأمور الصعبة.

(٦) جذيمة: هو الأبرش كان ثالث ملوك تنوخ وأول ملك بالحيرة، وأول من انتعل النعال، واتخذ المنجنيق ووضعه على الحصون وكان أول من أوقدت له الشموع، وكان يربأ بنفسه من أن ينادم أحداً ويقول: أنا أعظم من أن أنادم إلا الفرقدنين، فكان يشرب كأساً ويصب لهما كأسين، وصار مثلاً يضرب في أخوين طال تصاحبهما.

فَتَنَى كَانَ أَحْيَا مِنْ فَنَاءِ حَبِيبِهِ وَأَشْجَعَ مِنْ لَبِثٍ إِذَا مَا تَمَنَّى  
أَقُولُ وَقَدْ طَارَ السَّنَا فِي رَبَابِهِ وَجُونَ يَسُحُ الْمَاءَ حَتَّى تَرِيْعَا<sup>(١)</sup>  
سَقَى اللَّهُ أَرْضاً حَلَّهَا قَبْرُ مَالِكٍ ذَهَابَ الْغَوَادِي الْمُدْجِنَاتِ فَأَمْرَعَا<sup>(٢)</sup>  
وَأَنزَ سُبُلَ الْوَادِيَيْنِ بِدِيَمَةٍ تُرْشِحُ وَشَمِيئًا مِنَ الثَّبَتِ خِرْوَعَا<sup>(٣)</sup>  
فَمُجْتَمِعَ الْأَسْدَامِ مِنْ حَوْلِ شَارِعٍ فَرَوَى جِبَالَ الْقَرِيَتَيْنِ فَضَلَفَعَا<sup>(٤)</sup>  
فَوَاللَّهِ مَا أَسْقَى الْبِلَادَ لِحُبِّهَا وَلَكِنِّي أَسْقَى الْحَبِيبَ الْمُودَعَا  
نَحِيَّتَهُ مِنِّي وَإِنْ كَانَ نَائِبَا وَأَمْسَى تُرَاباً فَوْقَهُ الْأَرْضُ بَلَقَعَا  
تَقُولُ ابْنَةُ الْعَمْرِئِ مَالِكَ بَعْدَمَا أَرَاكَ حَدِيثاً نَاعِمَ الْبَالِ أَفْرَعَا  
فَقُلْتُ لَهَا: طُولُ الْأَسَى إِذْ سَأَلْتَنِي وَلَوْعَةُ حُزْنٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَسْفَعَا<sup>(٥)</sup>  
وَفَقَدْ بَنِي أُمِّ تَدَاعَوْا فَلَمْ أَكُنْ خِلَاقَهُمْ أَنْ أَسْتَكِينَ وَأَضْرَعَا  
وَلَكِنِّي أَمْضِي عَلَى ذَاكَ مُقَدِّمًا إِذَا بَغْضُ مَنْ يَلْقَى الْحُرُوبَ تَكْغَكْعَا<sup>(٦)</sup>  
وَعَبَّرَنِي مَا غَالَ قَيْسًا وَمَالِكَا وَعَمْرًا وَجَزْءًا بِالْمُشْقَرِ أَلْمَعَا<sup>(٧)</sup>  
وَمَا غَالَ نَذْمَانِي يَزِيدَ، وَلَيْتَنِي تَمْلِيئُهُ بِالْأَهْلِ وَالْمَالِ أَجْمَعَا  
وَإِنِّي وَإِنْ هَارَلْتَنِي قَدْ أَصَابَنِي مِنْ الْبَثِّ مَا يُبْكِي الْحَزِينَ الْمُفْجَعَا

(١) الربابُ الجون: السحبُ البيض، وتريع: تراجع.

(٢) الذهاب: اسمٌ للمطر، والمدجنات: الممثلةات بالمطر، وأمرع: صار خضباً.

(٣) الوسمي: مطر الربيع في أوله.

(٤) الاسدام: المياه المتجمعة الراكدة، وضلفع موقع.

(٥) أسفع: داكن يميل إلى السواد.

(٦) تكعكع: أحجم ونكص وتراجع.

(٧) المشقَر: قصر بالبحرين، وألمع: ذهب بهم الموت.

وَلَسْتُ إِذَا مَا الذُّهْرُ أَخَذَتْ نَكْبَةً  
 فَعَيْنُكَ أَلَا تُسْمِعِينِي مَلَامَةً  
 فَقَضْرِكَ إِنِّي قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَجِدْ  
 فَلَا فَرِحًا إِنْ كُنْتُ يَوْمًا بِغَبِطَةٍ  
 فَلَوْ أَنَّ مَا أَلْقَى يُصِيبُ مُتَالِعًا  
 وَمَا وَجَدُ أَظَارِ ثَلَاثِ رَوَائِمِ  
 يُذَكِّرُنْ : ذَا الْبَثِّ الْحَزِينِ بِبَثِّهِ  
 إِذَا شَارِفَ مِنْهُنَّ قَامَتْ فَرَجَعَتْ  
 بِأَوْجَدَ مِنِّي يَوْمَ قَامَ بِمَالِكِ  
 فَلِنْ يَكُ حُزْنٌ أَوْ تَتَابَعُ عَبْرَةٌ  
 تَجَرُّعْتُهَا فِي مَالِكِ وَاحْتَسَيْتُهَا  
 أَلَمْ تَأْتِ أَخْبَارُ الْمُجِلِّ سَرَاتِكُمْ  
 بِمَشْمَتِهِ إِذْ صَادَفَ الْحَتْفُ مَالِكًا  
 أَثَرَتْ هَذَا بِأَلِيًّا وَسَوِيَّةً  
 فَلَا تَفْرَحِنْ يَوْمًا بِنَفْسِكَ إِنِّي  
 وَرُزْءًا بِرُؤَايِ الْقَرَائِبِ أَخْضَعَا<sup>(١)</sup>  
 وَلَا تَنْكَبِي قَرْحَ الْفُؤَادِ فَيَبْجَعَا<sup>(٢)</sup>  
 بِكَفِّي عَنْهُمْ لِلْمَنْبِيَةِ مَذْفَعَا  
 وَلَا جَزْعًا مِنَّمَا أَصَابَ فَأَوْجَعَا  
 أَوْ الرُّكْنِ مِنْ سَلَمَى إِذَا لَتَضَعُضَعَا<sup>(٣)</sup>  
 أَصْبَنَ مَجْرًا مِنْ حُورٍ وَمَضْرَعَا<sup>(٤)</sup>  
 إِذَا حَنَّتِ الْأُولَى سَجَعْنَ لَهَا مَعَا  
 حَيْنًا فَأَبْكِي شَجْوَهَا الْبَرْكَ أَجْمَعَا  
 مُنَادٍ بِصَيْرٍ بِالْفِرَاقِ فَأَسْمَعَا  
 أَذَابَتْ عَيْبُطًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ مُنْقَعَا<sup>(٥)</sup>  
 لِأَعْظَمَ مِنْهَا مَا اخْتَسَى وَتَجَرَّعَا  
 فَيَغْضَبَ مِنْكُمْ كُلُّ مَنْ كَانَ مُوْجَعَا  
 وَمَشْهَدِهِ مَا قَدْ رَأَى ثُمَّ ضَيَّعَا  
 وَجِثْتُ بِهَا تَعْدُو بَرِيدًا مُقَرَّعَا<sup>(٦)</sup>  
 أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا عَلَيَّ مَنْ تَشْجَعَا

(١) القرائب: الأقرباء وتخص النساء تحديدًا.

(٢) يبجع: لغة في يوجع.

(٣) متالع وسلمى: جبلان في البادية.

(٤) الآظار: جمع الظوور وهي الناقة التي تحنو على ولد غيرها، والمجر والحوار والمصرع: من أسماء أولاد الناقة.

(٥) دم عيط: إذا كان طرياً قد خرج من جسم صحيح، لم يمت صاحبه بعلة.

(٦) المقزع: الفرس السريعة وتستخدم عادة للبريد والرسول.

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُبْلِمَ مُلِيمَةً      عَلَيْكَ مِنَ اللَّائِي يَدْعُغْنَكَ أَجْدَعَا  
نَعَيْتَ امْرَأً لَوْ كَانَ لَحْمُكَ عِنْدَهُ      لَأَوَاهُ مَجْمُوعًا لَهُ أَوْ مُمَزَّعًا<sup>(١)</sup>  
فَلَا يُهْنِيهِ الْوَاشِيشِينَ مَقْتُلُ مَا لِكَ      فَقَدْ أَبَ شَانِيهِ إِسَابًا فَوْدَعَا

---

(١) مُمَزَّعًا: مَقْسَمًا وَمَقْطَعًا.

## سُحَيْمُ الْحَبَشِيُّ

### الْغَزَلِيَّةُ الْقَاتِلَةُ

هُوَ سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسَنَاسِ وَقِيلَ اسْمُهُ حَيَّةُ التُّوْبِيِّ، كَمَا فِي خَزَانَةِ  
الْأَدَبِ لِلْبَغْدَادِيِّ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يُولَدْ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
وَتَقَاتِلَهَا، وَكَانَ يَرْتَضِخُ<sup>(١)</sup> لَكِنَّةَ حَبَشِيَّةٍ، إِلَّا أَنَّهُ تَرَكَ لَنَا «وَاحِدَةً» مِنْ أَهَمِّ  
الْغَزَلِيَّاتِ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ قَالَ عَنْهَا الْمُفَضَّلُ: «قَصِيدَةُ الْأَسْوَدِ دِيْبَاجٍ  
خُسْرَوَانِيٍّ»

وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا التُّوْبِيَّ كَانَ أَسْتَاذَ طَرِيقَةٍ فِي الْغَزَلِ الْحِسِّيِّ الْمُبَاشِرِ لِعُمَرَ  
بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بِالذَّاتِ إِذْ تُظْهَرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بِشَكْلِ خَاصٍّ، تَأَثَّرَ ابْنُ أَبِي  
رَبِيعَةَ بِشُعْرِ سُحَيْمٍ، خَاصَّةً وَأَنَّ وَالِدَ عُمَرَ، عَبْدُ اللَّهِ بَنُ أَبِي رَبِيعَةَ هُوَ  
الَّذِي اشْتَرَاهُ، وَلَبِثَ عِنْدَهُ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ.

وَقِيلَ أَنَّ الرَّسُولَ تَمَثَّلَ بِالْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، وَأَنَّ عُمَرَ بَنَ  
الْخَطَّابِ سَمِعَهَا فَقَالَ لِسُحَيْمٍ: «لَوْ قَدَّمْتَ الْإِسْلَامَ عَلَى الشَّيْبِ

---

(١) فلان يَرْتَضِخُ لَكِنَّةَ عجمية: إذا نشأ مع العجم يسيراً ثم صار مع العرب، فهو يَنْزِعُ  
إلى العجم في ألفاظ من ألفاظهم لا يستمر لسانه على غيرها ولو اجتهد.

لَا جَزْرُكَ - وَأَغْلَبُ الظَّنُّ أَنَّ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ مُتَدَاخِلَيْنِ - وَلَمَّا وَصَلَ إِلَى  
الْمَقَاطِعِ الْعَزَلِيَّةِ الْحَسِّيَّةِ مِنْهَا قَالَ لَهُ عُمَرُ: «وَيْلَكَ إِنَّكَ لَمَقْتُولٌ» وَقُتِلَ  
فَعَلَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ مَوَالِيهِ، أَيَّامَ خِلَافَةِ عُثْمَانَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَتَشَبَّبُ  
بِنِسَائِهِمْ.

وَفِي «الْأَغَانِي» أَنَّهُ قَالَ لَمَّا قُدِّمَ لِيُقْتَلَ:

سُلُّوْا وَثَاقَ الْعَبْدِ لَا يُفْلِتْكُمْ إِنْ الْحَيَاةُ مِنَ الْمَمَاتِ قَرِيبٌ  
فَلَقَدْ تَحَدَّرَ مِنْ جَبِينِ فِتَانِكُمْ عَرَقٌ عَلَى مَشْنِ الْفِرَاشِ وَطَنِيبٌ  
ثُمَّ حُفِرَ لَهُ اخْدُودٌ، وَأُلْقِيَ فِيهِ، وَأُلْقِيَ عَلَيْهِ الْحَطَبُ فَأُحْرِقَ.

عَمِيرَةٌ وَدَّعَ إِنْ تَجَهَّزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا  
جُنُونًا بِهَا فَبِمَا اغْتَشَرْنَا عِلَاقَةً عِلَاقَةً حُبٌّ مُسْتَسِرًّا وَبَادِيَا  
لِبَالِي تَضْطَّادُ الْقُلُوبَ بِفَاحِمٍ تَرَاهُ أَثِيثًا نَاعِمَ النَّبْتِ عَافِيَا<sup>(١)</sup>  
وَجَنِيْدٌ كَجَنِيْدِ الرِّيمِ لَيْسَ بِعَاطِلٍ مِنَ الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ وَالشُّدْرِ حَالِيَا<sup>(٢)</sup>  
كَأَنَّ الشُّرْبَا عُلِقَتْ فَوْقَ نَحْرِهَا وَجَمْرَ غَضَى هَبَّتْ لَهُ الرِّيحُ ذَاكِيَا  
إِذَا انْدَفَعَتْ فِي رِنَاطَةٍ وَخَمِيصَةٍ وَلَا تَبْأَعْلَى الرَّدْفِ بُرْدًا يَمَانِيَا<sup>(٣)</sup>  
تُرِيكَ غَدَاةَ الْبَيْنِ كَفَاً وَمَغْصَمًا وَوَجْهًا كَدِيْنَارِ الْهَرَقْلِيِّ صَافِيَا  
فَمَا بِنِصَّةٍ بَاتَ الظِّلِيمُ يَحْفُهَا وَيَرْفَعُ عَنْهَا جُوجُؤًا مُتَجَافِيَا<sup>(٤)</sup>

(١) الْأَثِيْتُ: الْكَثِيفُ وَالْمَلْتَفُ.

(٢) حَالِي: مِنْ الْحُلِيِّ.

(٣) الرِنَاطَةُ: الْمَلَاءَةُ، وَالْخَمِيصَةُ: كِسَاءُ أَسْوَدَ.

(٤) الظِّلِيمُ: فَرَخُ النِّعَامِ، يَحْفُهَا: يَضُمُّهَا، وَالْجُوجُؤُ: الصَّدْرُ وَمُتَجَافِيَا إِذَا بَرَكَ مُتَجَافِيَا  
عَلَى قَوَائِمِهِ وَصَلَرِهِ.

وَيَجْعَلُهَا بَيْنَ الْجَنَاحِ وَدَفِّهِ      وَيُفْرِشُهَا وَخَفَاً مِنَ الرِّفِّ وَأَفْيَا<sup>(١)</sup>  
فَيَرْفَعُ عَنْهَا وَهِيَ بِنِضَاءِ طَلَّةٍ      وَقَدْ وَاجَهَتْ قَرْنًا مِنَ الشَّمْسِ ضَاحِيًا  
بِأَحْسَنِ مِنْهَا يَوْمَ قَالَتْ: أَرَا حِلًّا      مَعَ الرُّكْبِ أَمْ ثَاوٍ لَدَيْنَا لِيَأْلِيَا؟  
فَإِنْ تَثَوٍ لَا تُمَلِّلْ وَإِنْ تُضَحَّ غَادِيًا      تُزَوِّدُ وَتَرْجِعُ عَنْ عُمَيْرَةَ رَاضِيًا  
وَمَنْ يَكُ لَا يَبْقَى عَلَى النَّأْيِ وَدُهُ      فَقَدْ زَوَّدَتْ زَادًا عُمَيْرَةَ بَاقِيًا  
أَلِكُنِي إِلَيْهَا عَمْرَكَ اللَّهُ يَا فَتَى      بَأَيَّةِ مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيًا<sup>(٢)</sup>  
تَهَادِي سَبِيلٍ فِي أَبَاطِحِ سَهْلَةٍ      إِذَا مَا عَلَا صَمْدًا تَفَرَّعَ وَأَدِيَا  
فَفَاءَتْ وَلَمْ تَقْضِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ      وَمِنْ حَاجَةِ الْإِنْسَانِ مَا لَيْسَ لِأَقْبَا  
وَبِثْنَا، وَسَادَانَا إِلَى عَلَجَانَةٍ      وَحَقْفٍ تَهَادَاهُ الرِّيحُ تَهَادِيًا<sup>(٣)</sup>  
تُوسِدُنِي كَفَاً وَتَثْنِي بِمِعْصَمٍ      عَلَيَّ وَتَرْمِي رِجْلَهَا مِنْ وَرَائِيَا  
وَهَبَّتْ لَنَا رِيحُ الشَّمَالِ بِقِرَّةٍ      وَلَا ثَوْبَ إِلَّا بُزْدُهَا وَرِدَائِيَا<sup>(٤)</sup>  
فَمَا زَالَ بُزْدِي طَيِّباً مِنْ ثِيَابِهَا      إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَتَهَجَّ الْبُزْدُ بِأَلْيَا<sup>(٥)</sup>  
أَلَا يَا طَبِيبَ الْجَنِّ بِاللَّهِ دَاوِنِي      فَإِنَّ طَبِيبَ الْإِنْسِ أَغْيَاهُ مَا بِيَا  
فَقَالَ: دَوَاءُ الْحُبِّ أَنْ تُلْصِقَ الْحَشَا      بِأَخْشَاءِ مَنْ تَهْوَى إِذَا كَانَ خَالِيَا  
سَقَتْنِي عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْمَاءِ شَرِبَةً      سَقَاهَا بِهَا اللَّهُ الذَّهَابَ الْغَوَادِيَا  
وَأَشْهَدُ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ قَدْ رَأَيْتُهَا      وَعِشْرِينَ مِنْهَا إِضْبَعًا مِنْ وَرَائِيَا

(١) الوحفُ: الجناح الكثيف الريش أو الشعر الكثيف، والرِّفُّ: ريش النعام.

(٢) الكني: أرسلني، أو أجعلني رسولاً إليها.

(٣) العَلَجُ: شَجَرٌ أَخْضَرٌ مُعْتَمُ الْخُضْرَةِ، وليس فيه ورق، والحقف: الرمل.

(٤) القِرَّةُ: البرد.

(٥) الحَوْلُ: السَّنة.

أَقْلَبُهَا لِلْجَانِبَيْنِ وَأُنْقِي بِهَا الرِّيحَ وَالشُّقَانَ مِنْ عَن شَمَالِيَا<sup>(١)</sup>  
أَلَا أَبُهَا الْوَادِي الَّذِي ضَمَّ سَبِيلَهُ إِلَيْنَا نَوَى الْحَسَنَاءِ حُبَيْتٍ وَأَدِيَا  
فَيَا لَيْتَنِي وَالْعَامِرِيَّةُ نَلْتَقِي نَرُودُ لِأَهْلِينَا الرِّيَاضَ الْخَوَالِيَا  
وَمَا بَرَحْتَ بِالذَّيْرِ مِنْهَا أَثَارَةً وَإِن تُدِيرَنِي أَذْهَبَ إِلَيَّ حَالٍ بِأَلِيَا<sup>(٢)</sup>  
فَإِن تُقْبِلَنِي بِالْوُدِّ أَقْبِلْ بِمِثْلِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ لِّشَيْءٍ مُّوَاتِيَا<sup>(٣)</sup>  
أَلَمْ تَعْلِمَنِي أَنِّي صَرُومٌ مُّوَاصِلٌ إِذَا بَصُرْتُهَا إِلَّا رَجَعْتُ بِدَائِيَا  
وَمَا جِئْتُهَا أَبْنِي الشُّفَاءَ بِنَظَرَةٍ وَلَا طَلَعَ النُّجْمُ الَّذِي يُهْتَدَى بِهِ وَلَا الصُّبْحُ حَتَّى هَيَّجَا ذِكْرَ مَالِيَا  
وَالْأَلْسَانِي الرَّاغِبَاتِ عَشِيَّةً إِلَى الْحَشْرِ اسْتَنْجِي الْحَسَنَاءَ الْغَوَانِيَا<sup>(٤)</sup>  
أَغَالِي أَعْلَى اللَّهِ كَغَبِكَ عَالِيَا وَرَوَى بِرِيَاكَ الْعِظَامَ الْبَوَالِيَا  
أَغَالِي لَوْ أَشْكُو الَّذِي قَدْ أَصَابَنِي إِلَى جَبَلٍ صَغَبِ الذُّرَى لِأُنْحَنَى لِيَا  
أَغَالِي مَا شَمَسُ النَّهَارِ إِذَا بَدَتْ بِأَحْسَنِ مِمَّا بَيْنَ بُرْدَيْكَ غَالِيَا  
أَشُوقًا وَلَمَّا يَمُضْ لِي غَيْرُ لَيْلَةٍ رُوَيْدَ الْهَوَى حَتَّى يَغِيبَ لِيَا<sup>(٥)</sup>  
وَمَا جِئْتُ حَتَّى كُلُّ مَنْ شَاءَ وَابْتَنَى وَقُلْنَ: سَرَفْنَاكُمْ وَكُنَّ عَوَادِيَا<sup>(٦)</sup>  
أَلَا نَادِي فِي آثَارِهِنَّ الْغَوَانِيَا سُقَيْنَ سَمَامًا مَا لَهُنَّ وَمَا لِيَا؟  
وَأَقْبَلْنَ مِنْ أَقْصَى الْبُيُوتِ يَعِذَّنِي إِلَّا إِنَّمَا بَعْضُ الْعَوَائِدِ دَائِيَا

(١) الشُّقَان: الريح الباردة مع المطر.

(٢) أَثَارَة: آثار، وتدمن: تجمع وتكثف.

(٣) الصرُوم: القوي القادر على القطيعة.

(٤) استنجى: قضى حاجته من الأمر بالنجوى.

(٥) رويد الهوى: أي أمهله.

(٦) سرفناكم: اغفلناكم.

فَجَمْعَمَنْ مِنْ شَيْءٍ: ثَلَاثٌ وَأَرْبَعٌ  
سُلَيْمَنْ وَسَلَمَى وَالرَّبَابُ وَتَرْبُهَا  
وَأَقْبَلَنْ مِنْ أَقْصَى الْخِيَامِ يَعْدَنْنِي  
يَعْدَنْ مَرِيضاً هُنَّ هَيْجَنْ دَاءُهُ  
وَرَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْتَنِي  
وَقَائِلَةٌ وَالذَّمْعُ يَخْذُرُ كُخْلَهَا:  
قَلَمَ أَرِ مِثْلِي مُسْتَغْنِيّاً بِشَرْبَةٍ  
وَسِرْبٍ عَذَارَى بِشَنْ جَنْبِي مُوْهِناً  
تَبَصَّرَ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانٍ  
تَأْطَرْنَ حَتَّى قُلْتُ لَسَنْ بَوَارِحاً  
أَخَذَنْ عَلَى الْمِقْرَاءِ أَوْ عَنْ يَمِينِهَا  
أَشَارَتْ بِمِذْرَاهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا  
رَأَتْ رَجُلًا رَثَاً وَسَخَقَ عَبَاءَهُ  
قَلَوْ كُنْتُ وَرَدّاً أَبْيَضاً لَعَشَقْتَنِي  
فَمَا ضَرْنِي أَنْ كَانَتْ أُمِّي وَلَيْدَةً  
وَوَاحِدَةً حَتَّى كَمَلَنْ ثَمَانِيَا  
وَأَزَوْنِي وَرَيْأَ وَالْمُنَى وَقَطَامِيَا  
نَوَاهِدَ لَمْ يَغْرِفَنْ خَلْقاً سِوَانِيَا  
أَلَا إِنَّمَا بَغَضُ الْعَوَائِدِ دَانِيَا  
وَأَحْمَى عَلَى أَكْبَادِهِنَّ الْمَكَوِيَا  
أَهَذَا الَّذِي وَجَدَا يُبْكِي الْعَوَانِيَا؟  
وَلَا مِثْلَ سَاقِينَا الْمُصَرِّدِ سَاقِيَا<sup>(١)</sup>  
مِنْ اللَّيْلِ قَدْ نَارَغَتْهُنَّ رِدَائِيَا  
تَحْمَلَنْ مِنْ جَنْبِي «شُرُورِي» غَوَادِيَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَا لِأَحْقَاتِ الْحَيِّ إِلَّا سَوَارِيَا<sup>(٣)</sup>  
إِذَا قُلْتُ قَدْ وَرَعَنْ أَنْزَلَنْ حَادِيَا<sup>(٤)</sup>  
أَعْبُدْ بَنِي الْحَسْحَاسِ يُزْجِي الْقَوَانِيَا؟<sup>(٥)</sup>  
وَأَسْوَدَ مِمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ عَارِيَا  
وَلَكِنْ رَبِّي شَانِنِي بِسَوَادِيَا  
تَصُرُّ وَتَبْرِي بِاللُّقَاحِ التَّوَادِيَا<sup>(٦)</sup>

(١) السَّاقِي المَصْرَد: السَّاقِي الَّذِي يَسْقِي الْقَلِيلَ، وَيَقْطَعُ الشَّرَابَ.

(٢) شُرُورِي: اسْمُ جَبَلٍ.

(٣) تَأْطَرْنَ: أَقْمَنَ فِي مَكَانِهِنَّ، وَلَمْ يَتَرَخَّهَنَّ.

(٤) الْمِقْرَاءُ: حَوْضٌ يَجْمَعُ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ الْبُتْرِ، وَقِيلَ هُوَ الْآتِيَةُ الضَّخْمَةُ.

(٥) مِدْرَاهَا: مَشْطُهَا الَّذِي تَسْرُحُ بِهِ شَعْرَهَا.

(٦) الصَّرَارُ: الْخِيطُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ «التَّوَادِي» وَهِيَ الْخَشَبَاتُ، عَلَى ضَرْوَعِ النَّاقَةِ الْوَلِيدِ

لثَلَا تَعْطِفُ عَلَى ابْنِهَا فَتَرْضَعُهُ.

فَقُلْ لِلْعَوَانِي مَا لَهُنَّ وَمَا لِيَا  
يُرْجُلُنَ أَقْوَامًا وَيَشْرُكُنَ لُغَمِي  
تَحْدَرُونَ مِنْ تِلْكَ الْهَضَابِ عَشِيَّةً  
دَقَبْنَ بِمَسْوَاكِى وَأَبْقَيْنَ مُذْهَبًا  
وَقُلْنَ الْأَقْلَعَيْنِ مَا لَمْ يَرُدَّنَا  
لَعِبْنِ بِدَكْدَاكِ خَصِيبِ جَنَابُهُ  
وَقُلْنَ لِصُغْرَاهُنَّ أَنْتِ أَحَقُّنَا  
فَقَامَتْ وَالْقَتِّ بِالْخِمَارِ مُدْلَةٌ  
وَمَا رُمْنٌ حَتَّى أَرْسَلَ الْحَيِّ دَاعِيَا  
تَمَارَيْنَ حَتَّى غَابَ نَجْمٌ مُكَبَّدٌ  
وَحَتَّى اسْتَبَانَ الْفَجْرُ أَشْقَرَ سَاطِعًا  
فَأَذْبَرْنَ يَخْفِضْنَ الشُّخُوصَ كَأَنَّمَا  
وَأَصْبَحْنَ صَرَعَى فِي الْبُيُوتِ كَأَنَّمَا  
فَعَزَيْتُ نَفْسِي وَاجْتَنَبْتُ عَوَائِي  
تَسَاقَيْنِ سُمًّا إِذْ رَأَيْنِ خَيَالِيَا  
وَذَاكَ هَوَانٌ ظَاهِرٌ قَدْ بَدَأَ لِيَا<sup>(١)</sup>  
إِلَى الطَّلَعِ يَبْغَيْنِ الْهَوَى وَالتَّصَابِيَا<sup>(٢)</sup>  
مِنْ الصُّوْغِ فِي صُغْرَى بَنَانِ شِمَالِيَا  
نُعَاسٌ وَمَا لَمْ يُرْسِلُوا إِلَيَّ دَاعِيَا  
وَالْقَيْنِ عَنْ أَعْطَافِهِنَّ الْمَرَادِيَا<sup>(٣)</sup>  
بَطْرَحِ الرَّدَاءِ إِنْ أَرَدْتَ التَّبَاهِيَا  
تَفَادَى الْقِصَارُ السُّودُ مِنْهَا تَفَادِيَا<sup>(٤)</sup>  
وَحَتَّى بَدَأَ الصُّبْحُ الَّذِي كَانَ تَالِيَا  
وَحَتَّى بَدَأَ النُّجْمُ الَّذِي كَانَ تَالِيَا<sup>(٥)</sup>  
كَأَنَّ عَلَى أَغْلَاهُ سِبًّا يَمَانِيَا<sup>(٦)</sup>  
قَتَلْنَ قَتِيلًا أَوْ أَصَبْنَ الدَّوَاهِيَا  
شَرِبْنَ مُدَامًا مَا يُجِبُّنَ الْمُنَادِيَا  
وَقَرَّبْتُ حُرْجُوجَ الْعَشِيَّةِ نَاجِيَا<sup>(٧)</sup>

(١) لُغَمِي: مثلي.

(٢) الطَّلَعُ: المنخفض.

(٣) الدَكْدَاكُ: السُّهْلُ، أو ما استوى من الأرض، والأعْطَافُ: الأكتاف، والمرادى: الأردية.

(٤) مُدْلَةٌ: ذات دلالٍ وَغَنَجٍ.

(٥) تَمَارَيْنَ: أَخْلَفْنَ دَعْوَةَ الدَّاعِي، وَشَكَّكْنَ فِيهَا، وَنَجْمٌ مُكَبَّدٌ: النُّجْمُ الَّذِي يَطْلُعُ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ أَوَّلَ اللَّيْلِ.

(٦) السِّبُّ: الْخِمَارُ، وَكَذَلِكَ هُوَ الْعَمَامَةُ.

(٧) الْحَرْجُوجُ: النَّاقَةُ الضَّامِرَةُ.

مَرُوحًا إِذَا صَامَ النَّهَارُ كَأَنَّمَا      كَسَوْتُ قُتُودِي نَاصِعَ اللَّوْنِ، طَاوِنًا<sup>(١)</sup>  
شَبُوبًا تَحَامَاهُ الْكِلَابُ تَحَامِيَا      هُوَ اللَّيْتُ مَعْدُوءًا عَلَيْهِ وَعَادِيَا<sup>(٢)</sup>  
حَمْنُهُ الْعَشَاءُ لَيْلَةٌ ذَاتُ قِرَّةٍ      بَوْعَسَاءٍ رَمَلٍ أَوْ بِحَزْنَانٍ خَالِيَا<sup>(٣)</sup>  
يَثِيرُ وَيُبْدِي عَنْ عُرُوقٍ كَأَنَّهَا      أَعِنَّةُ خِرَازٍ جَدِيدًا وَيَأَلِيَا  
يُنَحِّي ثُرَابًا عَنْ مَبْنِيٍّ وَمَكْنَسٍ      رُكَّامًا كَبَيْتِ الصَّيْدَنَانِي دَانِيَا<sup>(٤)</sup>  
قَصَّبَحَهُ الرَّامِي مِنَ الْغَوِثِ غُدْوَةً      بِأَكْلِهِ يُغْرِي الْكِلَابَ الضَّوَارِيَا  
فَجَالَ عَلَى وَخَشْبِهِ وَتَخَالَهُ      عَلَى مَتْنِهِ سَبًّا جَدِيدًا يَمَانِيَا  
يَذُودُ ذِيَادَ الْخَامِسَاتِ وَقَدْ بَدَتْ      سَوَابِقَهَا مِنَ الْكِلَابِ غَوَاشِيَا<sup>(٥)</sup>  
قَدَحَ ذَا، وَلَكِنْ هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ      يُضِيءُ حَبِيًّا مُنْجِدًا مُتَعَالِيَا<sup>(٦)</sup>  
يُضِيءُ سَنَاهُ الْهَضْبِ هَضْبٌ «مُتَالِعٌ»      وَحُبُّ بِدَاكِ الْهَضْبِ لَوْ كَانَ دَانِيَا<sup>(٧)</sup>  
نَعَمْتُ بِهِ عَيْنًا وَأَيْقَنْتُ أَنَّهُ      يَحْطُ الْوُعُولَ وَالصُّخُورَ الرُّوَاسِيَا  
فَمَا حَرَكْتُهُ الرِّيحُ حَتَّى حَسِبْتُهُ      «بِحَرَّةٍ لَيْلِي» أَوْ «بِنَخْلَةٍ» ثَاوِيَا<sup>(٨)</sup>

(١) المَرُوحُ: من المرح، وقيل هو المغمور بالطيب والعطر، وصام النهار: طال، والقُتُودُ: من أدوات الرُّخْل.

(٢) شَبُوبًا: إذا رفع قوائمه الأمامية، وهنا وصف للناقة أو الفرس.

(٣) لَيْلَةٌ ذَاتُ قِرَّةٍ: ليلة باردة، والوعَسَاءُ: الأرض اللَّيْنَةُ ذات الرَّمْلِ، وَالْحَزْنَانُ: الأرضُ الغليظة، وهو موضعٌ في الجزيرة.

(٤) الْمَكْنَسُ: الموضع الذي تأوي إليه الطُّبَاءُ، وَالصَّيْدَنَانِي: الثعلب.

(٥) الْخَامِسَاتُ: الإبل إذا جاءت الماء بعد المنع لخمسَةِ أيام، فتكون شديدة العطش يصعب منعها وذودها عن الماء.

(٦) الْحَبِيّ: السُّحَابُ المتراكم، ومنجد: ظهر من ناحية نجد، وقيل هو المرتفع.

(٧) مُتَالِعٌ: اسم جبل.

(٨) حَرَّةٌ لَيْلِي: اسم موضع، والحرار في الجزيرة كثيرة، فكلُّ أرض ذات حجارة =

فَمَرَّ عَلَى الْأَنْهَاءِ فَالْتَجَّ مُرْتُهُ      فَعَقَّ طَوِيلًا يَسْكُبُ الْمَاءَ سَاجِيًا<sup>(١)</sup>  
رُكَّامًا يَسُحُّ الْمَاءَ مِنْ كُلِّ فَيْقَةٍ      كَمَا سُفَّتْ مَنَكُوبَ الدَّوَابِرِ حَافِيًا<sup>(٢)</sup>  
وَمَرَّ عَلَى الْأَجْبَالِ أَجْبَالٍ طَبِيٍّ      فَعَادَرَ بِالْقَبِيْعَانِ رَنْقًا وَصَافِيًا<sup>(٣)</sup>  
أَجَشُّ مَزِيْمٍ سَيْلُهُ مَعَ وَذْقِهِ      تَرَى خَشَبَ الْغُلَّانِ فِيهِ طَوَافِيًا<sup>(٤)</sup>  
لَهُ فُرُقٌ مِنْهُ يُنْتَشِجْنَ حَوْلَهُ      يُفَقِّشْنَ بِالْمَيْثِ الدَّمَائِ السَّوَابِيَا<sup>(٥)</sup>  
فَلَمَّا نَدَلَّى لِلْجِبَالِ وَأَهْلِهَا      وَأَهْلِ الْفُرَاتِ قَاطَعَ الْبَحْرَ مَاضِيًا  
أَثَارَ خَنَازِيرِ السَّوَادِ إِزْتِجَارَهُ      وَجَادَتِ أَعَالِيهِ الْعَقِيْقُ الْمُعَالِيَا<sup>(٦)</sup>  
بَكَى شَجْوَهُ وَاعْتَظَ حَتَّى حَسِبْتُهُ      مِنَ الْبُعْدِ لَمَّا جَلَجَلَ الرَّعْدُ حَادِيًا  
فَأَضْبَحَتِ الثَّيْرَانُ عَرْقِي وَأَضْبَحَتْ      نِسَاءُ تَعِيْمٍ يَلْتَقِطْنَ الصَّيَاصِيَا<sup>(٧)</sup>

= سوداء سميت حرّة، ونخلة: موضع بين مكة والطائف.

(١) عَقَّ السَّحَابُ: دفع ماءه، وكلُّ شَقٍّ أو خَرَقٍ هُوَ عَقٌّ، والأنهاء: غدران المياه، وساجيا: فاطر.

(٢) الفَيْقَةُ: كُلُّ مُجْتَمِعٍ لِلْسَّحَابِ، وجمعها أفاريق: وهي ما اجتمع في السَّحَابِ من ماء، فهو يُمْطَرُ فَيْقَةً بعد فَيْقَةٍ، أي ساعة بعد ساعة، ومنكوب الدوابر: الفرس التي تحاول العدول عن طريقها بسبب كثرة الحجر تحت حافرها.

(٣) الرَنْقُ: تراب وشوائب في الماء.

(٤) أَجَشُّ: يقصد به شدة صوت الرعد، وهزيمٌ: متدفقٌ، والودقُ: المطر: والغلان: نوعٌ من الأشجار ينبت في الأودية، وطوافيا: طافيات على السَّيْلِ.

(٥) يَفَقِّشْنَ: يشققن، والمَيْثُ الدَّمَائُ: الرَّمَالُ اللَّيْنَةُ، وهو يَصِفُ السَّحَابَةَ وَيَشَبِّهُهَا بِالنَّاقَةِ الَّتِي يَأْتِيهَا الْمَخَاضُ فَيَتَفَارَقُ أَهْلُهَا لِتَلَدٍّ، ولا يعرف مكانها فهي فارِق.

(٦) الْعَقِيْقُ: ما يشقُّه السَّيْلُ، على الأرض.

(٧) الصَّيَاصِي: صَنَارَةُ الْحَائِكِ وَالنَّسَاجِ، وهي تصنع أساساً من قرون البقر، ويقصد بها هنا أن النساء يلتقطن قرون البقر الميتة في السَّيْلِ ليجعلنها صياصي، وهذا البيت =

وَالْأَفْخُو حِينَ تَنْدَى دِمَائُهُ عَلَى حَرَامٍ حِينَ أَضْبَحَ غَادِيَا<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ تَرْتَجِلْ شَامًا فَشَامًا نُوْدُهُ وَإِنْ يَمَنَا فَالْقَلْبُ صَبٌّ يَمَانِيَا

---

= يَرُدُّ فِي شَعْرِ النَّابِغَةِ .

(١) خَوْ: كَثِيبٌ رَمْلِيٌّ بَنَجْدٌ وَيَوْمُ خَوْ: مِنْ أَيَّامِ الْقِتَالِ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ .

## سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ

### يَتِيْمَةُ الْجَاهِلِيَّةِ

سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ الْيَشْكُرِيُّ، شَاعِرٌ مِنْ شُعَرَاءِ النَّضْرَانِيَّةِ فِي الْعِرَاقِ،  
دَخَلَ الْإِسْلَامَ، سُجِنَ لِهَجَائِهِ قَوْمَهُ. قَصِيدَتُهُ هَذِهِ فَضَّلَهَا الْأَضْمَعِيُّ،  
وَقَالَ: الْعَرَبُ تَفْضُلُهَا وَتُقَدِّمُهَا وَتَعُدُّهَا مِنْ حِكْمِهَا. وَأَضَافَ: كَانَتْ فِي  
الْجَاهِلِيَّةِ تُسَمَّى: «الْيَتِيْمَةُ» وَوَصَفَهَا الْخَالِدِيَّانِ فِي «الْأَشْبَاهِ وَالنِّظَائِرِ»  
بِأَجْرَدِ اشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ، بَلْ قَدَّمَاهَا عَلَى سَائِرِ قَصَائِدِهِمْ. . يُمَكِّنُ الْقَوْلُ  
عَنْ يَتِيْمَةِ سُوَيْدٍ هَذِهِ بِأَنَّهَا «مُعَلَّقَةٌ مُغْفَلَةٌ» فَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ، الَّتِي تَفُوقُ فِي  
عَدَدِ آيَاتِهَا عَدَدَ آيَاتِ الْمُعَلَّقَاتِ الطُّوَالِ كَمُعَلَّقَةِ طَرْفَةٍ، وَالْحَارِثِ بْنِ  
حِلِزَةَ، وَامْرِئِ الْقَيْسِ، وَعَنْتَرَةَ الْعَبْسِيِّ، جَمَعَتْ كُلَّ الْأَغْرَاضِ الشَّعْرِيَّةِ  
تَقْرِيْبًا، مِنْ غَزَلٍ نَادِرٍ، وَوَضْفٍ بَاهِرٍ، وَهَجَاءٍ سَاحِرٍ، وَفَخْرٍ، وَرِحْلَةٍ،  
وَجَسَّدَتْ كُلَّ ذَلِكَ فِي بِنَاءٍ مُحْكَمٍ وَشَاعَرِيَّةٍ عَالِيَةٍ.

بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا فَوَصَلْنَا الْحَبْلَ مِنْهَا مَا اتَّسَعَ  
حُرَّةً نَجْلُو شَتِيئَتَا وَأَضْحَا كَشْعَاعِ الشَّمْسِ فِي الْغَيْمِ سَطَعَ<sup>(١)</sup>

(١) الشَّبِثُ: الثَّغَرُ الْأَفْلَجُ الْأَسْنَانُ، أَيْ بَيْنَ أَسْنَانِهِ مَفْرَقٌ.

صَفَلْتُهُ بِقَضِيبٍ نَاضِرٍ      مِنْ أَرَاكِ طَيِّبٍ حَتَّى نَصَعُ  
أَبْيَضَ اللَّوْنِ لَدِيدًا طَعْمُهُ      طَيِّبَ الرِّيقِ إِذَا الرِّيقُ خَدَعُ  
تَمْنَحُ الْمَرْأَةَ وَجْهًا وَأَضْحَا      مِثْلَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِي الصُّخْرِ إِزْتَفَعُ  
صَافِي اللَّوْنِ وَطَرَفًا سَاجِبًا      أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ مَا فِيهِ قَمْعُ<sup>(١)</sup>  
وَقُرُونًا سَابِغًا أَطْرَافَهَا      غَلَّلَتْهَا رِيحُ مِسْكِ ذِي قَنَعُ<sup>(٢)</sup>  
هَيَّجَ الشُّوقَ خَيَالُ زَائِرٍ      مِنْ حَبِيبٍ خَفِيرٍ فِيهِ قَدَعُ<sup>(٣)</sup>  
شَاحِطٍ جَازٍ إِلَى أَرْحُلِنَا      عُصَبَ الْغَابِ طُرُوقًا لَمْ يَرَعُ<sup>(٤)</sup>  
أَنَسَ كَأَن إِذَا مَا اغْتَادَنِي      حَالَ دُونَ النَّوْمِ مِنِّي فَاغْتَنَعُ  
وَكَذَلِكَ الْحُبُّ مَا أَشْجَعُهُ      يَرْكَبُ الْهَوْلَ وَيَغْصِي مَنْ وَرَعُ<sup>(٥)</sup>  
فَأَبَيْتُ اللَّيْلَ مَا أَرْقُدُهُ      وَبَعَيْنِي إِذَا نَجْمٌ طَلَعُ  
وَإِذَا مَا قُلْتُ لَيْلٌ قَدْ مَضَى      عَطَفَ الْأَوَّلُ مِنْهُ فَرَجَعُ  
يَسْحَبُ اللَّيْلُ نُجُومًا ظُلُمًا      فَتَوَالِيهَا بِطَيْشَاتِ الثَّبَعِ<sup>(٦)</sup>  
وَيُرْجِيهَا عَلَى إِنِّطَائِهَا      مُغْرِبُ اللَّوْنِ إِذَا اللَّوْنُ انْقَشَعُ  
قَدَعَانِي حُبٌ سَلَمَنِي بَعْدَمَا      ذَهَبَ الْجِدَّةُ مِنِّي وَالرَّيْعُ<sup>(٧)</sup>

(١) القمعُ: الشوائب واحمرار العين.

(٢) القنعُ: المسك ذو الرائحة الزكية.

(٣) امرأة قَدَعُ: قليلة الكلام خيبة.

(٤) الشاحطُ: بعيد الدار، وعصب الغاب: أشجار الغابات الكثيفة، أي: اجنازها في

الليل دون خوف.

(٥) الوزعُ: الولع.

(٦) نجومٌ ظلم: نجومٌ في سيرها غمز وعرج واضح، والتبع: التي تتبعها.

(٧) الجِدَّة: الجديد والرَّيْع: من الرِّيعان وهو مقتبل العمر.

خَبَّلْتَنِي ثُمَّ لَمَّا تُشَفِّنِي فَفَوَّادِي كُلُّ أَوْبٍ مَا اجْتَمَعَ  
وَدَعَتَنِي بِرُقَامَا إِنِّهَا تُنْزِلُ الْأَعْصَمَ مِنْ رَأْسِ الْيَفْعِ<sup>(١)</sup>  
تُسْمِعُ الْحَدَاثَ قَوْلًا حَسَنًا لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يُسْتَمَعْ  
كَمْ قَطَعْنَا دُونَ سَلَمَى مَهْمَهَا نَازَحَ الْغَوْرُ إِذَا الْآلُ لَمَعَ<sup>(٢)</sup>  
فِي حَرُورٍ يُنْضِجُ اللَّحْمَ بِهَا يَأْخُذُ السَّائِرَ فِيهَا كَالصَّقْعِ<sup>(٣)</sup>  
وَتَخْطُبُ إِلَيْهَا مِنْ عُدَى بِزِمَاعِ الْأَمْرِ وَالْهَمِّ الْكَنْعِ<sup>(٤)</sup>  
وَقَلَاةٍ وَأَضْحَ أَقْرَابَهَا بِأَلْيَاتٍ مِثْلَ مُرْفَتِ الْقَرْعِ<sup>(٥)</sup>  
يَسْبَحُ الْآلُ عَلَى أَغْلَامِهَا وَعَلَى الْبَيْدِ إِذَا الْيَوْمُ مَتَعَ<sup>(٦)</sup>  
فَرَكِبْنَاهَا عَلَى مَجْهُولِهَا بِصِلَابِ الْأَرْضِ فِيهِنَّ شَجَعِ<sup>(٧)</sup>  
كَالْمَغَالِي عَارِفَاتٍ لِلسُّرَى مُسْنَفَاتٍ لَمْ تُوشَمَ بِالنَّسْعِ<sup>(٨)</sup>

(١) الأعصم: الغراب الذي يكون في جناحه ريش أبيض، وقيل هو الوغل الذي ذراعه بيضاء وكلاهما من النواذر، واليفع: الأعالي.

(٢) المهمة: القفار، والآل: السراب.

(٣) الحرور: من الحرارة وهو جمعها، والصَّقْع: الضرب على الرأس، وهو مجازٌ هنا أي ضربه الحر على رأسه لشدة.

(٤) الزِمَاع: العزم على الأمر والهم الكنع: بمعنى الهم الدائم والمتجمع.

(٥) المرفت: من الرفات وهو الحطام: والقَرْع من الصوف: ما تناتف في الربيع نسفت، والقَرْع أيضاً: قطع متفرقة من السحاب.

(٦) متع: ارتفع وطال.

(٧) الشجع في الخيل والإبل: سرعة القوائم.

(٨) المغالي: المرامي الذي يباري برمي السهام وهنا يصف سرعة الخيول، ومُسْنَفَات: الخيول حين توضع الأسنفة «الأحزمة» على بطنها إذا ضمرت، والنسع: زمام الخيول حين يُضَفَّرُ على صدرها.

فَتَرَاهَا غُصْفًا مُنْعَلَةً      يَنْعَالِ الْقَيْنِ يَكْفِيهَا الْوَقْعُ <sup>(١)</sup>  
يَذْرِغْنَ اللَّيْلَ يَهْوِينَ بِنَا      كَهَوَى الْكَذْرِ صَبَّحْنَ الشَّرْعَ <sup>(٢)</sup>  
فَتَنَاوَلْنَ غَشَاشًا مِنْهَا لَا      ثُمَّ وَجَّهْنَ لَأَرْضٍ تُنْتَجَعُ <sup>(٣)</sup>  
مِنْ بَنِي بَكْرِ بِهَا مَمْلَكَةٌ      مَنْظَرٌ فِيهِمْ وَفِيهِمْ مُسْتَمَعُ  
بُسْطُ الْأَيْدِي إِذَا مَا سُئِلُوا      نُفْعُ النَّائِلِ إِنْ شَيْءٌ نَفَعُ <sup>(٤)</sup>  
مِنْ أَنْاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ      عَاجِلُ الْفُخْشِ وَلَا سُوءُ الْجَزَعِ  
عُرِفَ لِلْحَقِّ مَا نَعِيَ بِهِ      عِنْدَ مُرِّ الْأَمْرِ مَا فِينَا خَرَعُ <sup>(٥)</sup>  
وَإِذَا هَبَّتْ شِمَالًا أَطْعَمُوا      فِي قُدُورٍ مُشْبَعَاتٍ لَمْ تُجَعِ  
وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ مُلِئَتْ      مِنْ سَمِينَاتِ الذُّرَى فِيهَا تَرَعُ <sup>(٦)</sup>  
لَا يَخَافُ الْغَدْرَ مَنْ جَاوَرَهُمْ      أَبَدًا مِنْهُمْ وَلَا يَخْشَى الطَّبْعُ <sup>(٧)</sup>  
وَمَسَامِيحُ بِمَا ضُنُّ بِهِ      حَاسِرُوا الْأَنْفُسِ عَنْ سُوءِ الطَّمَعِ

(١) القَيْنُ: الحداد، ونعال القين الحدوات.

(٢) الكدرُ: القطا، والشرع: موارد الماء، أراد تشبيه مشيهم أو مشي الخيول بهم، كلفظة القَطَا التي تأتي في الصباح إلى مناهل الماء لتشرب.

(٣) غشاشاً على عجل: يقصد أن القطا تأتي المنهل وتشرب بسرعة ثم تطير لأرض ملأى بالعشب.

(٤) النائلُ: السخي في العطاء، الجواد.

(٥) الخرعُ: الضعف.

(٦) الجِفَانُ: جَمْعُ جَفْنَةٍ: وعاء كبير للطعام، والجوابي: حوض كبير والمعنى: أوعية للطعام كالبحر في سعته، جاء في القرآن في الآية ١٣ من سورة سبأ ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾.

(٧) الطبعُ: الدنس والتلطيخ في العرض.

حَسَنُوا الْأَوْجُهَ بِبِضْ سَادَّةٍ وَمَرَّاجِيحُ إِذَا جَدَّ الْقَرْعُ<sup>(١)</sup>  
 وَزُنُ الْأَخْلَامِ إِنْ هُمْ وَارْتُوا صَادِقُوا الْبَاسِ إِذَا الْبَاسُ نَصَغَ  
 وَلِبُوثُ تُنْقَى عُرْتُهَا سَاكِنُوا الرِّيحَ إِذَا طَارَ الْقَرْعُ<sup>(٢)</sup>  
 فَبِهِمْ يُنْكَنُ عَدُوٌّ وَبِهِمْ يُزَابُ الشَّغْبُ إِذَا الشَّغْبُ انْصَدَغَ  
 عَادَةٌ كَانَتْ لَهُمْ مَغْلُومَةٌ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ لَيْسَتْ بِالْبِدَعِ  
 وَإِذَا مَا حُمِلُوا لَمْ يَظْلَعُوا وَإِذَا حُمِلَتْ ذَا الشَّقِّ ظَلَعُ<sup>(٣)</sup>  
 صَالِحُوا أَكْفَائُهُمْ خُلَانُهُمْ وَسَرَاةُ الْأَضَلِّ وَالنَّاسُ شَيْعُ  
 أَرْقُ الْعَيْنِ خَيَالٌ لَمْ يَدْعُ مِنْ سُلَيْمَى قَفْوَادِي مُنْتَرِغُ  
 حَلْ أَفْلِي حَيْثُ لَا أَطْلُبُهَا جَانِبَ الْحَضَرِ وَحَلَّتْ بِالْقَرْعِ<sup>(٤)</sup>  
 لَا الْأَقْبِيهَا وَقَلْبِي عِنْدَهَا غَيْرَ الْمَامِ إِذَا الطَّرْفُ هَجَعُ  
 كَالْتَّوَامِيَةِ إِنْ بَأْشَرْتُهَا قَرَّتْ الْعَيْنُ وَطَابَ الْمُضْطَجَعُ<sup>(٥)</sup>  
 بَكَرَتْ مُزْمِعَةً نِيَّتُهَا وَحَدَا الْحَادِي بِهَا ثُمَّ انْدَفَعُ  
 وَكَرِينُ عِنْدَهَا مُكْتَبِلٌ غَلِقَ إِثْرَ الْقَطِينِ الْمُتَّبَعِ<sup>(٦)</sup>

(١) مراجيح: قوم مراجيح: يرجحون الحلم عند الغضب.

(٢) عُرْتُهَا: صوتها إذا استشاط بها الغضب. القرع: السحاب المتفرق، كلطخة في السماء تشبه الظل.

(٣) لَمْ يَظْلَعُوا: لم ينوءوا بحملهم، وذو الشق، الجبل.

(٤) الْحَضَرُ: مدينة عربية قديمة تقع على بعد ٨٠ كيلومترا جنوب الموصل الحالية، والفرع: تقع بين الكوفة والبصرة.

(٥) التَّوَامِيَةُ: قصبة على ساحل عمان، ولها ينسب الدر والصدف واللؤلؤ، وهو اسم للؤلؤ أساساً.

(٦) مكتبل: مقيد بالأكبال للمعجاز، غلق: ملازم لا يفارق: يقال لكل شيء نَشِبَ في شيء فلزمه قد غَلِقَ، غَلِقَ في الباطل، وغَلِقَ في البيع، القطين: القاطن في الدار.

فَكَأَنِّي إِذْ جَرَى الْأَلُ ضُحَى فَوْقَ ذِيَالٍ بِحَدِيثِهِ سَفَعٌ<sup>(١)</sup>  
كَفَّ خَدَاهُ عَلَى دِيْبَاجَةٍ وَعَلَى الْمَتْنَيْنِ لَوْنٌ قَدْ سَطَعَ  
يَبْسُطُ الْمَشْيَ إِذَا هَيَّجَتْهُ مِثْلَ مَا يَبْسُطُ فِي الْخَطْوِ الذَّرْعُ  
رَاعَهُ مِنْ طَبِيعِي ذُو أَسْهَمٍ وَضِرَاءٌ كُنَّ يُبْلِيْنِ الشَّرْعُ<sup>(٢)</sup>  
فَرَأَاهُنَّ وَلَمَّا يَسْتَبِينُ وَكِلَابُ الصَّيْدِ فِيهِنَّ جَشَعُ  
ثُمَّ وَلَّى وَجَنَائِبَانِ لَهُ مِنْ غُبَارِ الْكَدَرِيِّ وَأَتَدَعُ<sup>(٣)</sup>  
فَتَرَاهُنَّ عَلَى مُهَلَّتِهِ يَخْتَلِنِ الْأَرْضَ وَالشَّاءُ يَلْعُ<sup>(٤)</sup>  
دَانِيَاتٍ مَا تَلْبَسُنَ بِهِ وَائِقَاتٍ بِدِمَاءٍ إِنْ رَجَعُ  
يُرْهِبُ الشَّدَّ إِذَا أَرْهَقْنَهُ وَإِذَا بَرَزَ مِنْهُنَّ رَبَعُ<sup>(٥)</sup>  
سَاكِنُ الْقَفْرِ أَخُو دَوِيَّةٍ فَإِذَا مَا آتَسَ الصُّوتَ إِمْصَعُ<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

كَتَبَ الرَّحْمَنُ وَالْحَمْدُ لَهُ سَعَةُ الْأَخْلَاقِ فِينَا وَالضَّلْعُ<sup>(٧)</sup>  
وَإِبَاءٌ لِلدَّنِيَّاتِ إِذَا أُعْطِيَ الْمَكْتُورُ ضَيْمًا فَكَنَغُ<sup>(٨)</sup>

(١) ذِيَالٌ: طويل الذنب، والسَفَعُ: السَّوَادُ، وقيل هو سوادٌ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ، وهو هنا يصف الثَّوْرَ الْوَحْشِيَّ.

(٢) الضِرَاءُ: من الضراوة، وهي الكلاب التي اعتادت الصيد، والشَّرْعُ: التمزيق والسلخ.

(٣) الاكدرِيّ: ذُو كَدَرَةٍ غير صافٍ: واتدع: مشى بدعة وراحة.

(٤) يلع: لا يعدو بجد، فكأنه يلعب.

(٥) رَبَعٌ: لَبِثٌ في مكانه ووقف خائفاً.

(٦) الدَّوِيَّةُ: الفلاة، وامصع: انسحب بسرعة.

(٧) الضَّلْعُ: القوة واحتمال الثقل.

(٨): رجلٌ مَكْتُورٌ عليه: إذا كُتِرَتْ عليه الحقوق والمطالبات، عنده جمع من الناس يسألونه

عن أشياء فكأن لهم عليها حقوقاً فهم يطلبونها، وفي حديث مقتل الإمام الحسين: «ما=

وَبِنَاءٍ لِلْمَعَالِي إِنْ مَاءَ      يَرْفَعُ اللَّهُ وَمَنْ شَاءَ وَضَعُ  
بِعَمِّ لِلَّهِ فَبِنَاءُ رَيْهَا      وَصَنِيْعُ اللَّهِ وَاللَّهُ صَنَعُ<sup>(١)</sup>  
كَيْفَ بِاسْتِقْرَارِ حُرِّ شَاحِطِ      بِبِلَادِ لَبَسَ فِيهَا مُتَسَعُ<sup>(٢)</sup>  
لَا يُزِيدُ الدَّفَرَ عَنْهَا حَوْلًا      جُرْعَ الْمَوْتِ وَلِلْمَوْتِ جُرْعُ  
رَبِّ مَنْ أَنْضَجْتُ غَيْظًا قَلْبُهُ      قَدْ تَمَنَّى لِي مَوْتًا لَمْ يُطْعِ  
وَيَرَانِي كَالشُّجَا فِي حَلْقِهِ      فَسِرًّا مَخْرَجُهُ مَا يُشْتَرَعُ  
مُزِيدٌ بِخَطَرٍ مَا لَمْ يَرْنِي      فَإِذَا أَسْمَعْتُهُ صَوْتِي أَنْقَمَعُ  
قَدْ كَفَانِي اللَّهُ مَا فِي نَفْسِهِ      وَمَتَى مَا يَكْفِ شَيْئًا لَا يُضِغُ  
بِشْنٍ مَا يَجْمَعُ أَنْ يَغْتَابِنِي      مَطْعَمٌ وَخَمٌّ وَدَاءٌ يُدْرَعُ  
لَمْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي      فَهَوَ يَزُقُّو مِثْلَ مَا يَزُقُّو الضُّوْعُ<sup>(٣)</sup>  
وَيَحْيِيَنِي إِذَا لَأَقِيْتُهُ      وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ  
مُسْتَسِيرُ الشَّنْءِ لَوْ يَفْقِدُنِي      لَبَدَا مِنْهُ ذُبَابٌ فَتَبَعُ<sup>(٤)</sup>  
سَاءَ مَا ظَنُّوْا وَقَدْ أَبْلَيْتُهُمْ      عِنْدَ غَايَاتِ الْمَدَى كَيْفَ أَقْعُ  
صَاحِبُ الْمِثْرَةِ لَا يَسْأَمُهَا      يُوقِدُ النَّارَ إِذَا الشَّرُّ سَطَعَ<sup>(٥)</sup>

= رأينا مكثوراً أجراً مقدماً منه، والمكثور: المغلوب، وهو الذي تكاثر عليه الناس

ففهروا، أي: ما رأينا مهوراً أجراً إقداماً منه، وكثع: بمعنى ضَعَفَ ولان.

(١) رَيْهَا: أصلها وأتمها.

(٢) الشَّاحِطُ: البعيد والمضطرب وهي هنا بالمعنى الثاني.

(٣) يَزُقُّو: يصيح ويصدق، والضُّوْع: طائر أصغر من البومة من طيور الليل إذا أَحْرَسَ بالصباح صَدَحَ.

(٤) الشَّنْءُ: البغض، أي يخفي لي الكراهية.

(٥) المِثْرَةُ: العداوة.

أَضَقَّ النَّاسَ بِرَجْمِ صَائِبٍ      لَيْسَ بِالطَّيِّسِ وَلَا بِالْمُرْتَجِعِ  
فَارَغُ السُّوْطِ فَمَا يَجْهَدُنِي      ثَلِبُ عَوْذٍ وَلَا شَخْتُ ضَرَعٍ<sup>(١)</sup>  
كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا      لَاحَ فِي الرَّأْسِ بَيَاضٌ وَصَلَعٌ<sup>(٢)</sup>  
وَرِثَ الْبِغْضَةَ عَنْ آبَائِهِ      حَافِظُ الْعَقْلِ لَمَّا كَانَ اسْتَمَعٌ<sup>(٣)</sup>  
فَسَعَى مَسْعَاتِهِمْ فِي قَوْمِهِ      ثُمَّ لَمْ يَظْفَرْ وَلَا عَجَزًا وَدَعٌ<sup>(٤)</sup>  
زَرَعَ الدَّاءَ وَلَمْ يُذْرِكْ بِهِ      تِرَةً قَاتَتْ وَلَا وَهِيًا رَقَعٌ<sup>(٥)</sup>  
مُفْعِيًا يَزِمُنِي صَفَاةً لَمْ تُرَمِ      فِي ذُرْنِي أَغِيطٌ وَغَرِ الْمُطَّلَعُ<sup>(٦)</sup>  
مَغْقِلٌ يَأْمَنُ مَنْ كَانَ بِهِ      غَلَبْتُ مَنْ قَبْلَهُ أَنْ تُقْتَلَعُ  
غَلَبْتُ عَادًا وَمَنْ بَعْدَهُمْ      قَابَتْ بَعْدُ فَلَيْسَتْ تُتَضَعُ<sup>(٧)</sup>  
لَا يَرَاهَا النَّاسُ إِلَّا فَوْقَهُمْ      فَهِيَ تَأْنِي كَيْفَ شَاءَتْ وَتَدَعُ  
وَهُوَ يَزِمُهَا وَلَنْ يَبْلُغَهَا      رِعَةُ الْجَاهِلِ يَرْضَى مَا صَنَعَ<sup>(٨)</sup>  
كَمِهَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى انْبِضْنَا      فَهُوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نَزَعٌ<sup>(٩)</sup>

(١) ثَلِبٌ: خائرٌ، والعَوْدُ: المُسُّ الهَرَمُ من الإبل، وشَخْتُ: هَزِيلٌ.

(٢) السَّقَاطُ: العثرة والزَّلَّةُ.

(٣) الْبِغْضَةُ: شِدَّةُ الْبَغْضِ.

(٤) وَدَعٌ: تَرَكَ.

(٥) التِّرَةُ: مِنَ الْوَثْرِ، وَهُوَ الشَّارُ: وَالْوَهْيُ: الشَّقُّ فِي الشَّيْءِ.

(٦) الْإِقْعَاءُ: أَنْ يَلْصُقَ الرَّجُلُ إِلَيْتِيهِ بِالْأَرْضِ، وَيَنْصَبُ سَاقِيهِ، وَيَضَعُ يَدَيْهِ

بِالْأَرْضِ. وَالصَّفَاةُ: الْحِصَاةُ، وَالْأَغِيطُ: الْعَالِي وَالطَّوِيلُ، وَيُرِيدُ بِهِ هُنَا سَوْراً قَصِيراً مَنِيفاً.

(٧) تُتَضَعُ: تَهْبِطُ وَتَنْخَفِضُ.

(٨) رِعَةُ الْجَاهِلِ: حَالَتُهُ.

(٩) الْأَكْمَةُ: الَّذِي يُولَدُ أَعْمَى، وَقَدْ اسْتَعَارَ سَوِيدُ اللَّفْظِ فَجَعَلَ الْعَمَى عَارِضاً.

إِذْ رَأَى أَنْ لَمْ يَضِرْهَا جَهْدُهُ      وَرَأَى خَلْقَاءَ مَا فِيهَا طَمَعٌ<sup>(١)</sup>  
 تَغَضِبُ الْقَرْنَ إِذَا نَاطَحَهَا      وَإِذَا صَابَ بِهَا الْمِرْدَىٰ أَنْجَزَعُ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَإِذَا مَا رَأَاهَا أَضْيَا بِهِ      قِلَّةُ الْعُدَّةِ قَدَمًا وَالْجَدْعُ<sup>(٣)</sup>  
 وَعَدُوُّ جَاهِدٍ نَاضِلُهُ      فِي تَرَاجِي الدَّهْرِ عَنْكُمْ وَالْجُمُعُ  
 نَسَاقِبُنَا بِمُرْتَأَقِع      فِي مَقَامٍ لَيْسَ يَثْنِيهِ الْوَرَعُ  
 وَارْتَمَيْنَا وَالْأَعَادِي شُهُدُ      بِنِبَالِ ذَاتِ سُمْ قَدْ نَقَعُ  
 بِنِبَالِ كُلِّهَا مَذْرُوبَةٌ      لَمْ يُطِقْ صَنْعَتَهَا إِلَّا صَنَعُ<sup>(٤)</sup>  
 خَرَجَتْ عَنْ بَغْضَةِ بَيْنَةٍ      فِي شَبَابِ الدَّهْرِ وَالْدَّهْرُ جَدْعُ<sup>(٥)</sup>  
 وَتَحَارَضْنَا وَقَالُوا إِنَّمَا      يَنْصُرُ الْأَقْوَامُ مَنْ كَانَ ضَرَعُ<sup>(٦)</sup>  
 نُمُ وَلَّى وَهُوَ لَا يَحْمِي اسْتَهُ      طَائِرُ الْإِثْرَافِ عَنْهُ قَدْ وَقَعُ<sup>(٧)</sup>  
 سَاجِدُ الْمَنْخَرِ لَا يَرْفَعُهُ      خَاشِعَ الطَّرْفِ أَصَمُّ الْمُسْتَمِعِ  
 فَرُمْنِي هَارِبًا شَيْطَانُهُ      حَيْثُ لَا يُعْطِي وَلَا شَيْئًا مَنَعِ  
 فَرُمْنِي حِينَ لَا يَنْفَعُهُ      مُوقِرَ الظَّهْرِ ذَلِيلَ الْمُتَضَعِ<sup>(٨)</sup>

(١) الخلقاء: الملساء.

(٢) تغضب: تكسر والمِرْدَى: حجر يُرمَى به، ومنه قيل للرجل الشجاع: إنه لِمِرْدَى حروب، وهم مرادى الحروب، وأنجزع: أنكسر من وسطه، تقول أنجزع الرمح: إذا انكسر نصفين.

(٣) الجدع: قلة الغذاء وسوؤه.

(٤) ملذوبة: حادة.

(٥) الجدع: الصغير السن، أو مقبل العمر، وهو هنا استعارة للدَّهْرِ.

(٦) وتحارضنا: حض بعضنا بعضاً، على القتال والاشتباك، وضرع: ضَعَفَ وَخَضِعَ.

(٧) استه: عجزته ومؤخرته، والإثراف: أثْرَفَ فلانٌ: أَصْرَ عَلَى الْبَقْيِ.

(٨) موقر الظهر: ثَقِيلَ الظهر يمشي بصعوبة، والمتضع: مِنْ اتَضَعَ، وهو نقيضُ

وَرَأَى مِنِّي مَقَامًا صَادِقًا ثَابِتَ الْمَوْطِنِ كَتَامَ الْوَجَعِ  
 وَلِسَانًا صَبِيرَفِيًّا صَارِمًا كَحَسَامِ السَّيْفِ - مَا مَسَّ - قَطَعَ<sup>(١)</sup>  
 وَأَتَانِي صَاحِبُ دُوْعَيْبٍ زَفِيَانٌ عِنْدَ إِنْفَادِ الْقُرْعِ<sup>(٢)</sup>  
 قَالَ لَبَّيْكَ وَمَا اسْتَضْرَخْتُهُ حَاقِرًا لِلنَّاسِ قَوْلَ الْقَذَعِ<sup>(٣)</sup>  
 دُوْعَبَابٍ زَيْدٌ آذِيٌّ خَمِطُ الثَّيَارِ يَزِمِي بِالْقَلْعِ<sup>(٤)</sup>  
 زَغْرِبِي مُسْتَعِزٌّ بِخَرَّةٍ لَيْسَ لِلْمَآهِرِ فِيهِ مُطْلَعٌ<sup>(٥)</sup>  
 هَلْ سَوَيْدٌ غَيْرُ لَيْثٍ خَادِرٍ ثَبُثَتْ أَرْضٌ عَلَيْهِ فَاثْتَجَعُ<sup>(٦)</sup>

الارتفاع، أي ذليل في جلوسه.

(١) الصَّيْرَفِيُّ المحتال المتقلب في أموره الْمُتَصَرِّفُ في الأمور الْمُجَرَّبُ لها.

(٢) زَفِيَانٌ: سريع استعاره من «زفيان الرياح» وهو شدة هبوبها، وإِنْفَادٌ: من نفذ الشيء:

فني وانتهى، والقُرْعُ: جَمْعُ قُرْعَةٍ، وهي قرية الماء.

(٣) حَاقِرٌ لِلنَّاسِ: محتقراً لهم، والقَذَعُ: الكلام الفاحش السيئ.

(٤) الْآذِيُّ: الموج: وخمط: ملتطم، ويحر خمط الموج: ملتطمها، والقَلْعُ:

الصخور.

(٥) الزَغْرِبُ: الماء الكثير، وياء النسبة في زغربي للمبالغة، ومستعز: من العزة

والقوة، أي بحر عصي على العبور، ومُطْلَعٌ: مخرج.

(٦) أَرْضٌ ثَلْدَةٌ: أرض رطبة وندية.

## مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ

### خَيَالُ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ

كَانَ مَالِكُ بْنُ الرَّيْبِ لِيصًا فَاتِكَا، عَاشَ فِي بَدَايَةِ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، وَلَمَّا  
وَلَّى مُعَاوِيَةُ سَعِيدَ بْنَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ خُرَاسَانَ، لَقِيَ فِي طَرِيقِهِ ابْنَ  
الرَّيْبِ، فَأَقْنَعَهُ بِتَرْكِ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَالذَّهَابِ مَعَهُ إِلَى خُرَاسَانَ بَعْدَ أَنْ أَغْرَاهُ  
بِالْمَالِ.

وَتَمَّةٌ رَوَايَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ تُسَاقُ عَنْ طَرِيقَةِ مَوْتِهِ، إِذْ ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ أَنَّ  
حَيَّةً لَدَغَتْهُ وَهُوَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى خُرَاسَانَ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِدُنُو مَوْتِهِ قَالَ هَذِهِ  
الْقَصِيدَةُ، وَتَمَّةٌ مَنْ قَالَ: بَلْ أَنَّهُ قُتِلَ بِغَزْوِ سَعِيدِ نَفْسِهِ، إِذْ طُعِنَ بِرُمَحٍ  
وَقَالَ قَصِيدَتُهُ هَذِهِ وَهُوَ يُنَازِعُ الْمَوْتَ. لَكِنَّ أَغْرَبَ تِلْكَ الرُّوَايَاتِ مَا  
أُورِدَهُ الْبَغْدَادِيُّ فِي الْخِزَانَةِ عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّ الْجِنَّ هِيَ الَّتِي رَأَتْهُ لَمَّا رَأَتْ  
مِنْ غُرْبَتِهِ وَوَحْدَتِهِ، وَوَضَعَتْ الْجِنَّ الصَّحِيفَةَ الَّتِي فِيهَا الْقَصِيدَةُ تَحْتَ  
رَأْسِهِ وَوَجَدَهَا النَّاسُ بَعْدَ مَوْتِهِ!

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لَيْسَتْ الْأُولَى فِي رِثَاءِ النَّفْسِ، إِذْ  
يَعُودُ مَوْضُوعُ رِثَاءِ النَّفْسِ إِلَى الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ، حَيْثُ يُشِيرُ أَبُو هِلَالٍ  
الْعَسْكَرِيُّ فِي «الْأَوَائِلِ»، إِلَى أَنَّ الْمُمَزَّقَ الْعَبْدِيَّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ رَأَى نَفْسَهُ

فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، إِلَّا أَنَّ قَصِيدَةَ مَالِكِ بْنِ الرَّيْبِ اشْتَهَرَتْ فِي هَذَا  
الْمَوْضُوعِ النَّادِرِ حَتَّى نَسَبَ صَاحِبُ الْأَغَانِي لِأَبِي عُبَيْدَةَ قَوْلَهُ إِنَّ مُجَمَّلَ  
مَا قَالَهُ ابْنُ الرَّيْبِ فِي قَصِيدَتِهِ هُوَ ثَلَاثَةُ عَشَرَ بَيْتًا لَكِنَّ إِعْجَابَ النَّاسِ بِهَا  
جَعَلَهُمْ يُضَيِّقُونَ لَهَا مِنْ عِنْدِهِمْ وَوَلَدُوا لَهَا أَيْتَاتًا وَمَعَانِي حَتَّى بَلَغَتْ هَذَا  
الْحَجْمَ، وَفِي كُلِّ الْأَحْوَالِ فَإِنَّ قَصِيدَةَ ابْنِ الرَّيْبِ هَذِهِ تُعَدُّ مِنْ عُيُونِ  
الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ، وَأُضْحَتْ «وَاحِدَةً» نَادِرَةً فِي تَارِيخِ الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ.

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنُ لَيْلَةً      بِجَنْبِ الْغَضَا أَرْجِي الْقَلَاصَ التَّوَاجِبَا  
فَلَيْتَ الْغَضَا لَمْ يَقْطَعْ الرُّكْبَ عَرْضَهُ      وَلَيْتَ الْغَضَا مَا شَى الرُّكَابَ لِيَالِيَا  
وَلَيْتَ الْغَضَا يَوْمَ ارْتَحَلْنَا تَقَاصَرَتْ      بِطُولِ الْغَضَا حَتَّى أَرَى مَنْ وَرَائِيَا  
لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الْغَضَا لَوْ دَنَا الْغَضَا      مَرَارًا وَلَكِنَّ الْغَضَا لَيْسَ دَانِيَا  
أَلَمْ تَرْنِي بِغَتِ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى      وَأَضْبَحْتُ فِي جَيْشِ إِبْنِ عَفَّانَ غَارِيَا  
وَأَضْبَحْتُ فِي أَرْضِ الْأَعَادِي بَعْدَمَا      أَرَانِي عَنْ أَرْضِ الْأَعَادِي نَائِيَا  
دَعَانِي الْهَوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصُحْبَتِي      بِذِي الطَّبَسِينَ فَالْتَفْتُ وَرَائِيَا<sup>(١)</sup>  
أَجَبْتُ الْهَوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ      تَقْنَعْتُ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِيَا  
أَقُولُ وَقَدْ حَالَتْ قُرَى الْكُرْدِ بَيْنَنَا      جَرَى اللَّهُ عَمْرًا خَيْرَ مَا كَانَ جَارِيَا  
إِنَّ اللَّهَ يُزْجِنِي مِنَ الْغَزْوِ لَا أَكُنْ      وَإِنْ قُلُ مَالِي - طَالِبًا مَا وَرَائِيَا  
تَقُولُ إِنِّي لَمَّا رَأْتُ وَشَكَ رِخْلَتِي      سِفَارَكَ هَذَا تَارِكِي لَا أَبَا لِيَا  
لَعَمْرِي لَيْتَ خَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي      لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا  
فَإِنْ أُنْجُ مِنْ بَابِي خُرَاسَانَ لَا أَعُدْ      إِلَيْهَا وَإِنْ مَنِيْتُ مُؤْنِي الْأَمَانِيَا

(١) الطَّبَسَان: مدينتان من مدن خراسان، تقعان بين نيسابور وأصفهان، حسب معجم البلدان.

فَلِلَّهِ دَرِّي يَوْمَ أَتَرَكُ طَائِعاً      وَدَرُ الطُّبَّاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَةً  
وَدَرُ كَبِيرِي الَّذِينَ كَلَامُهَا      وَدَرُ الرُّجَالِ الشَّاهِدِينَ تَفْثُكِي  
وَدَرُ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ يَدْعُو صَحَابَتِي      تَذَكَّرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجِدْ  
وَأَشْقَرُ مَحْبُوكٍ يَجْرُ عَنَانُهُ      يُقَادُ دَلِيلًا بَعْدَ مَا مَاتَ رَبُّهُ  
وَلَكِنْ بِأَكْنَافِ السُّمَيْنَةِ نِسْوَةٌ      صَرِنَعَ عَلَى أَيْدِي الرُّجَالِ بِقَفْرَةٍ  
وَلَمَّا تَرَأَتْ عِنْدَ مَرَوْ مَنِيَّتِي      أَقُولُ لِأَصْحَابِي إِرْفَعُونِي فَإِنَّهُ  
فَيَا صَاحِبِي رَحِلِي دَنَا الْمَوْتُ فَإِنْ لَا      أَقْبِمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ  
وَقُومَا إِذَا مَا اسْتُلَّ رُوحِي فَهَيْئَا      وَخُطَا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي  
وَلَا تَحْسُدَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا      خُذَانِي فَجُرَّانِي بِثَوْبِي إِلَيْكُمَا  
وَقَدْ كُنْتُ عَطَافاً إِذَا الْخَيْلُ أَذْبَرَتْ      وَقَدْ كُنْتُ صَبَّاراً عَلَى الْقُرْنِ فِي الْوَعْنِ

(١) حُم: قضي ما هو كائن.

وَقَدْ كُنْتُ مَحْمُودًا لَدَى الزَّادِ وَالْقَرَى  
فَطُورًا تَرَانِي فِي ظِلَالٍ وَنِعْمَةٍ  
وَيَوْمًا تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ  
وَقَوْمًا عَلَى بَشْرِ السَّمِينَةِ أَسْمَعَا  
بِأَنْكُمَا خَلَفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ  
وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي خَلِيلِي بَعْدَمَا  
وَلَنْ يَغْدَمَ الْوَالِدُونَ بَنًا يُصِيبُهُمْ  
يَقُولُونَ لَا تَبْعُدْ وَهُمْ يَذْفِقُونََنِي  
عِدَاةَ عَدِي يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى عَدِي  
وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ  
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتِ الرِّحَا  
إِذَا الْحَيُّ حَلَّوْهَا جَمِيعًا وَأَنْزَلُوا  
رَعِينَ وَقَدْ كَادَ الظَّلَامُ يُجْنِئُهَا  
وَهَلْ أَتْرَكَ الْعَيْسَ الْعَوَالِي بِالضُّحَى  
إِذَا عُصَبُ الرُّكْبَانِ بَيْنَ عُنْبِرَةٍ  
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ  
إِذَا مِتَ فَاغْتَادِي الْقُبُورَ وَسَلَمِي  
عَلَى جَدِّ قَدْ جَرَّتِ الرِّيحُ فَوْقَهُ  
رَهِينَةُ أَخْجَارٍ وَتُرْبٍ تَضُمُنْتُ

وَعَنْ شُعْبِي إِنَّ الْعَمَّ وَالْجَارَ وَإِنِّي<sup>(١)</sup>  
وَطُورًا تَرَانِي وَالْعِثَاقُ رِكَابِيَا  
تُخْرِقُ أَطْرَافَ الرُّمَاحِ ثِيَابِيَا  
بِهَا الثُّرَى وَالْبَيْضَ الْحِسَانَ الرَّوَانِيَا  
تُهْبِلُ عَلَيَّ الرِّيحُ فِيهَا السَّوَابِيَا  
تَقْطَعُ أَوْصَالِي وَتَبْلِي عِظَامِيَا  
وَلَنْ يَغْدَمَ الْمِيرَاتُ مِنِّي الْمَوَالِيَا  
وَأَيْنَ مَكَانُ الْبُعْدِ إِلَّا مَكَانِيَا!  
إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي وَأَصْبَحْتُ ثَاوِيَا  
لِغَيْرِي وَكَانَ الْمَالُ بِالْأَمْسِ مَالِيَا  
رَحَا الْمُثَلِّ أَوْ أَمَسْتُ بِفُلْجٍ كَمَا هِيَا  
بِهَا بَقْرًا حُمُّ الْعُيُونِ سَوَاجِيَا  
يَسْفُرُ الْخُرَازِمِي مَرَّةً وَالْأَقَاجِيَا  
بِرُكْبَانِهَا تَعْلُو الْمِثَانَ الْفَيَافِيَا  
وَبُولَانٍ عَاجُوا الْمُبْقِيَاتِ النَّوَاجِيَا  
كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالُوا نَعِيكَ بَاكِبَا  
عَلَى الرُّمَسِ أَسْقَيْتِ السَّحَابَ الْعَوَادِيَا  
تُرَابًا كَسَحَقِ الْمَرْتَبَانِي هَابِيَا<sup>(٢)</sup>  
قَرَارُتُهَا مِنِّي الْعِظَامُ الْبَوَالِيَا

(١) القِرَى: الإحسان.

(٢) مرتباني: كلون الأرنب، وهابياً: من الهباء وهو: التراب الناعم.

فَبَا صَاحِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْتُ      بَنِي مَازِنَ وَالرَّيْبَ أَنْ لَا تَلَاقِيَا  
وَعَطَّلَ قُلُوصِي فِي الرُّكَابِ فَإِنَّهَا      سَتَفْلِقُ أَكْبَادًا وَتَبْكِي بَوَاكِيًا  
وَأَبْصَرْتُ نَارَ الْمَازِنِيَّاتِ مُوهِنًا      بَعْلِيَاءَ يُشْنِي دُونَهَا الطَّرْفُ رَانِيَا  
يَعُودُ النُّجُوجُ أَضَاءً وَقُودُهَا      مَهًا فِي ظِلَالِ السُّدْرِ حُورًا جَوَازِيَا<sup>(١)</sup>  
غَرِيبَ بَعِيدِ الدَّارِ ثَاوٍ بِقَفْرَةٍ      يَدَ الدَّهْرِ مَغْرُوفًا بِأَنْ لَا تَدَانِيَا  
نَحْمِلُ أَصْحَابِي عِشَاءً وَغَادَرُوا      أَخَا ثِقَةٍ فِي عَرَصَةِ الدَّارِ ثَاوِيَا  
أَقْلَبُ طَرْفِي فِي الرِّفَاقِ فَلَا أَرَى      بِهِ مِنْ عُيُونِ الْمُؤَنَسَاتِ مُرَاعِيَا  
وَبِالرَّمْلِ مَنَّا نِسْوَةً لَوْ شَهِدْتَنِي      بَكِينَ وَقَدَّيْنِ الطَّبِيبِ الْمُدَاوِيَا  
وَمَا كَانَ هَذَا الرَّمْلُ حِنْدِي وَأَهْلِي      دَمِيمًا وَلَا وَدَّعْتُ بِالرَّمْلِ قَالِيَا  
فَمِنْهُمْ أُمِّي وَإِسْتَنَائِي وَخَالَتِي      وَبَاكِيَةً أُخْرَى تُهَيِّجُ الْبَوَاكِِيَا

(١) النجوج: البخور.

## أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِيّ

### قَصِيدَةُ الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ

شَاعِرُ إِسْلَامِيٍّ أُمَوِيٌّ كَانَ مُوَالِيًّا لِلأُمَوِيِّينَ وَلَهُ شِعْرٌ بِمَدْحِهِمْ، وَمَعَ هَذَا  
كَانَتْ قَصِيدَتُهُ هَذِهِ أَمِيرَةَ الْغِنَاءِ فِي مَجَالِسِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ، كَمَا انْتَحَلَ  
النَّاسُ أَبْيَاتًا مِنْ شِعْرِهِ وَنَسَبُوهَا لِعَدَدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْعُشَّاقِ كَمَجْنُونٍ لَيْلَى  
وغيره.

يَقُولُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي «الْأَغَانِي»: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِيَّ عَنَى  
هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أَمَامَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ مُوسَى الْهَادِي فَكَانَ يَشُقُّ جُزْءًا مِنْ  
رِدَائِهِ مَعَ كُلِّ مَقْطَعٍ مِنَ الْقَصِيدَةِ حَتَّى مَرَّقَ رِدَاءَهُ كُلَّهُ لِشِدَّةِ الطَّرَبِ»  
وَيَسْتَشْهَدُ الثَّعَالِبِيُّ بِأَبْيَاتٍ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَيَقُولُ «إِنَّ النَّاسَ اتَّفَقُوا عَلَى  
أَنَّهَا أَغْزَلُ شِعْرِ قَالَتِهِ الْعَرَبُ» وَلَمَّا سَمِعَ أَحَدُهُمْ بَعْضَ أَبْيَاتِهَا قَالَ: هُوَ  
«الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ، وَاللَّهُ مَا دُونَهُ شَيْءٌ» كَمَا وَرَدَ فِي «أَمَالِي الْقَالِي»

لِللَّيْلِ بِذَاتِ الْجَيْشِ دَارٌ عَرَفْتُهَا وَأُخْرَى بِذَاتِ الْبَيْنِ آيَاتُهَا سَطُرُ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّهُمَا مِلَاحٌ لَمْ يَتَغَيَّرَا وَقَدْ مَرَّ لِلدَّارَيْنِ مِنْ عَهْدِنَا عَصْرُ

---

(١) ذات الجيش وذات البين: موضعان قرب يثرب «المدينة»

وَقَفْتُ بِرَسَمِهَا فَلَمَّا تَنَكَّرَا  
 إِلَّا أَيُّهَا الرُّكْبُ الْمُخْبُونَ هَلْ لَكُمْ  
 فَقَالُوا: طَوْنُنَا ذَاكَ لَيْلًا، وَإِنْ يَكُنْ  
 خَلِيلِي هَلْ يُسْتَخْبِرُ «الرُّمْتُ وَالْغَضَا»  
 وَلَبِسْتُ عَشِيئَاتِ الْجَمْنِ بِرَوَاجِعِ  
 وَلَا عَائِدُ ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى  
 وَفِي الدُّمْعِ إِنْ كَذَّبْتُ بِالْحُبِّ شَاهِدُ  
 صَبَرْتُ فَلَمَّا غَالَ نَفْسِي وَشَفَّهَا  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْخَلِيلَيْنِ رِدَّةُ  
 إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَسْلُو يَهِينُجْنِي  
 أَمَّا وَالَّذِي أَبْكَنِي وَأَضْحَكَ وَالَّذِي  
 لَقَدْ كُنْتُ آتِيهَا وَفِي النَّفْسِ هَجْرُهَا  
 فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً  
 وَأَنْسَى الَّذِي قَدْ كُنْتُ فِيهِ هَجْرَتُهَا  
 وَمَا تَرَكْتُ لِي مِنْ شِدَى أَهْتَدِي بِهِ

صَدَفْتُ - وَعَيْنِي دَمَعُهَا سَرِبَ هَمْرُ<sup>(١)</sup>  
 بِسَاكِنِ أَجْزَاعِ الْجَمَى بَعْدَنَا خُبْرُ<sup>(٢)</sup>  
 بِهِ بَغْضُ مَنْ تَهَوَّى فَمَا شَعَرَ السُّفْرُ  
 وَاطْلُعُ الْكَذَا مِنْ بَطْنِ مَرَّانَ وَالسُّدْرُ<sup>(٣)</sup>  
 لَنَا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ السَّلْمُ النُّضْرُ<sup>(٤)</sup>  
 تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرُ يَقَعُ وَلَكَ الشُّكْرُ  
 يُبَيِّنُ مَا أَخْفَيْ كَمَا بَيَّنَّ الْبَذْرُ  
 عَجَارِيفُ نَائِي دُونَهَا غَلَبَ الصَّبْرُ<sup>(٥)</sup>  
 سِوَى ذِكْرِ شَيْءٍ قَدْ مَضَى دَرَسَ الذِّكْرُ  
 نَسِيمُ الصَّبَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ الْفَجْرُ  
 أَمَاتُ وَأَخْبَا وَالَّذِي أَمَرَهُ الْأَمْرُ  
 بَنَاتًا لِأُخْرَى الدَّهْرِ مَا طَلَعَ الْفَجْرُ  
 فَأَبْهَتْ لَا عُرْفَ لَدَيَّ وَلَا تُكْرُ  
 كَمَا قَدْ تُنْسِي لُبَّ شَارِبِهَا الْخَمْرُ  
 وَلَا ضِلَعُ إِلَّا وَفِي عَظْمِهَا كَسْرُ<sup>(٦)</sup>

(١) صدفت: أعرضت، وأشحت بنظري.

(٢) المخبون: المسرعون، وأجزاء: جمع جزع وهو الوادي.

(٣) الرُّمْتُ: مرعى للإبل وهو اسم وادي، والغضا: شجر، وهو اسم لموضع يكثر فيه هذا النوع من الشجر، ومرَّان والسدر: موضعان.

(٤) السلم: نوع من الشجر.

(٥) العجارييف: حوادث الدهر.

(٦) الشدَى: الشدة والقوة.

وَقَدْ تَرَكْتَنِي أَغْبِطُ الْوَحْشَ أَنْ أَرَى  
وَيَمْنَعُنِي مِنْ بَغْضِ انْكَارِ ظَلَمِهَا  
مَخَافَةُ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ لَيْثَ بَدَا  
وَأَنِّي لَا أَذِرِي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ  
أَبَى الْقَلْبُ إِلَّا حُبَّهَا عَامِرِيَّةً  
وَوَجْهَ لَهُ دِيْبَاجَةٌ قُرَشِيَّةً  
تَكَادُ يَدَيَّ تَنْدِي إِذَا مَا لَمَسْتُهَا  
وَإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لِذِكْرَاكِ هَزَّةً  
هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ قَلْبِي لَوْ دَنَا  
تَمَنَيْتُ مِنْ حُبِّي عُلْيَةَ أَنَا  
عَلَى دَائِمٍ لَا يَغْبِرُ الْفُلُكُ مَوْجَهُ  
فَتَقْضِي هُمُومَ النَّفْسِ فِي غَيْرِ رَقَبَةٍ  
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
فَيَا حُبَّ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِي الْمَدَى  
وَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ  
هَجَرْتُكَ حَتَّى قِيلَ : مَا يَعْرِفُ الْهَوَى  
صَدَقْتَ أَنَا الصَّبُّ الْمَصَابُ الَّذِي بِهِ  
فَيَا حَبِذَا الْأَحْيَاءُ مَا دُمْتَ حَيَّةً

(١) الرَّمَتْ : بفتح الراء خشب يُشَدُّ إِلَى بَعْضِهِ وَيَعْبَرُ بِهِ الْمَاءُ .

(٢) مَا دَائِمٌ : سَاكِنٌ وَهَادِئٌ .

(٣) مِنْ غَيْرِ رَقَبَةٍ : دُونَ مِرَاقَبَةٍ مِنْ أَحَدٍ .

## العوام بن عتبة

### زيارة ليلي

شاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْحِجَازِ، عَاشَ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، وَهُوَ شَاعِرٌ تَلَخَّصَتْهُ  
عِبَارَةٌ «مُفْلِقٌ مُغْرِقٌ» فَهُوَ مُفْلِقٌ: أَي يَأْتِي بِالْعَجِيبِ مِنَ الشَّعْرِ، عَلَى الرَّغْمِ  
مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ فُحُولِهِ - وَهُوَ مُغْرِقٌ لِأَنَّهُ سَلِيلُ عَائِلَةٍ شِعْرِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ فَأَبُوهُ  
هُوَ عُقْبَةُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ، فَأَبُوهُ وَجَدُهُ الْأَوَّلُ وَجَدُهُ الثَّانِي  
كُلُّهُمُ شُعْرَاءُ، وَإِذَا كَانَ جَدُّاهُ قَدْ اشْتَهَرَا بِقَصِيدَتَيْنِ: «الْمُعَلَّقَةُ» لَزُهَيْرِ  
و«الْبُرْدَةُ» لِكَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ، فَإِنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ جَعَلَتْ مِنَ الْعَوَامِ بْنِ عُقْبَةَ  
أَحَدَ «أَصْحَابِ الْوَاحِدَةِ»

قَالَ الْخَالِدِيُّ أَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ قَصِيدَةِ الْعَوَامِ هَذِهِ تَنَاحَرَ عَلَيْهِ  
الشُّعْرَاءُ. وَتُوصَفُ قَصِيدَتُهُ هَذِهِ بِكَثْرَةِ مَحَاسِنِهَا.

وُخْبِرْتُ سَوْدَاءَ «الْغَمِيمِ» مَرِيضَةً  
فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودُهَا<sup>(١)</sup>

---

(١) الغميم: موضع بين مكة والمدينة، وهو أقرب إلى المدينة.

فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا  
أَأَبْرِئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَرْزِيْدُهَا<sup>(١)</sup>  
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغْيِرُ بَعْدَنَا  
مَلَاَحَةُ عَيْنِي أَمْ يَخْبِي وَجِيْدُهَا؟  
وَهَلْ أَخْلَقْتَ أَثْوَابَهَا بَعْدَ جِدَّةِ  
الْأَحْبِّ إِذَا إِخْلَاقُهَا وَجَدِيْدُهَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ يَبْقَ يَا سَوْدَاءُ شَيْءٌ أَحْبُّهُ  
وَإِنْ بَقِيَْتَ أَغْلَامُ أَرْضٍ وَيَبِيْدُهَا<sup>(٣)</sup>  
خَلِيْلِي قَوْمًا بِالْعَمَامَةِ وَاعْصِبًا  
عَلَى كَبِيْدٍ لَمْ يَبْقَ إِلَّا عَمِيْدُهَا  
وَلَمْ يَلْبَثِ الْوَأَشُونَ أَنْ يَضْدَعُوا الْعَصَا  
إِذَا لَمْ يَكُنْ صُلْبًا عَلَى الْبَرْزِ عُوْدُهَا  
لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ يُوقَدَ النَّوَى  
عَلَى كَبِيْدِي نَارًا بِطِيئًا خُمُوْدُهَا  
وَلَوْ تَرَكْتُ نَارَ الْهَوَى لَتَضَرَّمَتْ  
وَلَكِنْ شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ يَرْزِيْدُهَا  
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي  
إِذَا قَدُمْتَ آيَاتُهَا وَعُھُوْدُهَا

(١) أبرئها: أشفئها

(٢) خلقت: قدمت وأصبحت بالية.

(٣) الأغلام: الجبال.

فَقَدْ جَعَلْتُ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا  
عَهَادَ الْهَوَى ثَوْلِي بِشَوْقٍ يَزِيدُهَا  
فُسُودَ نَوَاصِيهَا وَحُمُرَ أَكْفُهَا  
وَصَفَرَ تَرَاقِيضِهَا وَبَيَضَ خُدُودَهَا<sup>(١)</sup>  
وَكُنْتُ إِذَا مَا جِثْتُ لَيْلَى أَرْوَرُهَا  
أَرَى الْأَرْضَ تُطَوِّي لِي وَيَذْنُو بَعِيدَهَا  
مِنَ الْخَفِرَاتِ الْبَيْضِ وَدَّ جَلِينُهَا  
إِذَا مَا قَضَتْ أَخْذُوثَةً لَوْ تُعِيدُهَا<sup>(٢)</sup>  
مُخْصِرَةَ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا  
بِأَخْسَنِ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودَهَا  
بِمُتَيْنِنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا  
رَفِيفَ الْخُرَازِمِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا<sup>(٣)</sup>  
خَلِيلِي إِنِّي الْيَوْمَ شَاكٍ إِلَيْكَمَا  
وَهَلْ تَنْفَعُ الشَّكْوَى إِلَيَّ مَنْ يَزِيدُهَا  
حَزَازَاتٍ شَوْقٍ فِي الْفُؤَادِ وَعَبْرَةٍ  
أَظْلُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ أَذُودَهَا<sup>(٤)</sup>

(١) النواصي: جَمْعُ نَاصِيَةٍ: وهي قِصَاصُ الشَّعْرِ عَلَى جِهَةِ الرَّأْسِ أَوْ «الغرة» والتراقي

جَمْعُ تَرْقُوعَةٍ: وهي عَظْمٌ وَصَلَ بَيْنَ ثَغْرَةِ النَّحْرِ وَالْكَتِفِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

(٢) امرأة خفيرة: حَيَّةٌ وَخَجُولَةٌ.

(٣) الْخُرَازِمِيُّ: عُشْبَةٌ طَوِيلَةُ السَّاقِ، صَغِيرَةُ الْوَرَقِ، حَمْرَاءُ الزَّهْرَةِ، طَيِّبَةُ الرَّائِحَةِ، لَهَا نَوْرٌ كَنُورِ الْبَهْجِ.

(٤) الْحَزَازَةُ: أَوْجَاعٌ فِي الْقَلْبِ مِنَ الشَّوْقِ.

وَنَحْتِ مَجَالِ الدَّمْعِ حَرُ بَلَابِلِ  
مِنَ الشُّوقِ لَا يُدْعَى لِخَطْبٍ وَلَيْدَهَا <sup>(١)</sup>  
نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا يَسُرُّنِي  
بِهَا حُمْرُ أَنْعَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا  
إِذَا جِثَّتْهَا وَسَطَ النِّسَاءِ مَنَحْنُهَا  
صُدُودًا كَأَنَّ النَّفْسَ لَيْسَ تُرِيدُهَا  
وَلِي نَظْرَةً بَعْدَ الصُّدُودِ مِنَ الْجَوَى  
كَنَظْرَةٍ تَكَلَّنِي قَدْ أَصِيبَ وَجِيدُهَا  
رَفَعْتُ عَنِ الدُّنْيَا الْمُنَى غَيْرَ وَجْهِهَا  
فَلَا أَسْأَلُ الدُّنْيَا وَلَا أَشْتَرِي دُهَا  
وَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي مُعَلَّقُ  
بِعُودِ ثَمَامٍ مَا تَأَوَّدَ عُودُهَا <sup>(٢)</sup>

---

(١) البَلَابِلُ: مِنَ الْبَلْبَلَةِ: وَهِيَ وَسْوَاسُ الْهُمُومِ فِي الصَّدْرِ.  
(٢) الثَّمَامُ: نَبَاتٌ ضَعِيفٌ، وَتَأَوَّدَ انْتَشَى، قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ وَكَذَلِكَ عَبْدُ الْقَهَّارِ الْبَغْدَادِي:  
«هَذَا إِفْرَاطٌ فِي وَصْفِ النِّحُولِ».

## أبو النشاش اللص

### خريطة الصغلوك

شاعرٌ صغلوك، لصٌ مجهولُ الاسم، كان يقطع طرق القوافل بين الحجاز والشام أيام عبد الملك بن مروان الأموي، وكان مسجوناً فهرب من السجن، فمرَّ بغراب على شجرة ينتف ريشه ويتعب، فجزع من ذلك. ثم مرَّ في طريقه بأحد الأحياء فخطب أهله بقوله: رَجُلٌ كَانَ فِي بَلَاءٍ وَشَرٍّ وَحَسْبٍ وَضِيقٍ فَتَجَا مِنْ ذَلِكَ؟ ثُمَّ نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ فَلَمْ يَرْ شَيْئاً وَنَظَرَ عَنْ يَسَارِهِ فَرَأَى غُرَاباً عَلَى شَجَرَةٍ يَنْتِفُ رِيشُهُ وَيَتَعَبُ. فَقَالَ لَهُ أَحَدُ رِجَالِ الْحَيِّ: إِنَّ صَدَقْتَ الطَيْرُ يُعَادُ إِلَى حَبْسِهِ وَقَيْدِهِ، وَيَطُولُ ذَلِكَ بِهِ، وَيُقْتَلُ وَيُصَلَّبُ. فَقَالَ لَهُ أَبُو النشاش: بِفِيكَ الْحَجَرُ. وَأَنْشَدَ قَصِيدَتَهُ.

وَقَدْ أَنْشَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ فَلَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُ: «وَلَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِيَهُ. . .» قَالَ: لِصٌّ وَرَبُّ الْكُغْبَةِ، وَأَمَرَ بِطَلْبِهِ، وَلَأنَّهُ مَجْهُولُ الاسْمِ وَالْمَكَانِ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ، لَكِنْ قَصِيدَتُهُ هَذِهِ وَجَدَتْ طَرِيقَهَا إِلَى كُتُبِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ.

وسائلة ابن الرجيل وسائل  
ومن يسأل الصغلوك أين مذهبُه

مَذَاهِبُهُ أَنَّ الْفِجَاجَ عَرِيضَةٌ  
 إِذَا ضَنَّ عَنْهُ بِالسُّوَالِ أَقَارِبُهُ  
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَسْرَحْ سَوَامًا وَلَمْ يُرَخ  
 سَوَامًا وَلَمْ يَبْسُطْ لَهُ الْوَجْهَ صَاحِبُهُ  
 فَلِلْمَوْتِ خَيْرٌ لِلْفَتْنِ مِنْ حَيَاتِهِ  
 فَقِيرًا وَمِنْ مَوْلَى تَدِبُ عَقَارِبُهُ  
 وَدَاوِيَّةٌ بِهَمَاءٍ يُخْشَى بِهَا الرَّدَى  
 سَرَتْ بِأَبِي النَّشْنَشِ فِيهَا رَكَائِبُهُ<sup>(١)</sup>  
 لِيُذِرَكَ ثَارًا أَوْ لِيُذِرَكَ مَغْنَمًا  
 جَزِيلًا وَهَذَا الدَّهْرُ جَمُّ عَجَائِبِهِ  
 وَدَغَ عَنْكَ مَوْلَى السُّوءِ وَالْدَّهْرَ إِنَّهُ  
 سَتَكُفِيكَ أَيْامُهُ وَتَجَارِبُهُ  
 وَتَلْقَى عَدُوًّا مِنْ سِوَاكَ تَرُدُّهُ  
 إِلَيْكَ فَتَلْقَاهُ وَقَدْ لَانَ جَانِبُهُ  
 وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَقْرِ ضَاجِعَهُ الْفَتْنِ  
 وَلَا كَسَوَادِ اللَّيْلِ أَخْفَقَ طَالِبُهُ  
 فَعِشْ مُغْلِبًا أَوْ مُتَّ كَرِيمًا فَإِنِّي  
 أَرَى الْمَوْتَ لَا يَنْجُو مِنَ الْمَوْتِ هَارِبُهُ

---

(١) الدَاوِيَّةُ: الأرض الواسعة البعيدة، والبَهْمَاءُ: مفازة لا ماء فيها ولا يُسمع فيها صوت ولا يُهتدى لطريقها.

عَلَىٰ أَيْ شَيْءٍ يَضْعُبُ الْأَمْرُ قَدْ تَرَى  
بِعَيْنَيْكَ أَنْ لَا بُدَّ أَنَّكَ رَاكِبُهُ  
وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ نَّاجِياً مِنْ مَنِيَّةٍ  
لَكَانَ أَثِيرُ يَوْمٍ جَاءَتْ كَتَائِبُهُ

## توبة بن الحمير

### نار ليلى

تُلخَصُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ قِصَّةَ الْحُبِّ الشَّاعِرِيَّةِ بَيْنَ شَاعِرٍ وَشَاعِرَةٍ عَرَبِيَّيْنِ مِنَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ الْهَجْرِيِّ: تَوْبَةُ بْنُ الْحَمِيرِ وَلَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ، فِي وَاحِدَةٍ مِنْ قَصَصِ الْحُبِّ الْمَشْهُورَةِ فِي التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ. قِصَّةٌ انْتَهَتْ نِهَآيَةً مَآسَوِيَّةً بِزَوَاجِ لَيْلَى مِنْ غَيْرِهِ، وَمَقْتَلِ تَوْبَةَ، وَظَلَّتْ لَيْلَى تَرْثِيهِ بِأَجْمَلِ الْمَرَاثِي، وَكَانَ الْخُلَفَاءُ وَالْوَلَاةُ يَطْلُبُونَ مِنْهَا أَنْ تُنْشِدَهُمْ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ حِينَمَا يُرِيدُونَ مِنْهَا قِرَاءَةَ شَيْءٍ مِنْ شِعْرِ تَوْبَةَ بَعْدَ مَقْتَلِهِ. حَتَّى اخْتَلَطَتْ آيَاتٌ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِبَعْضِ شِعْرِ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةِ نَفْسَهَا.

وَيَزُونِي صَاحِبُ الْأَغَانِي هَذِهِ الْقِصَّةَ الْمُثِيرَةَ عَنْ مَصِيرِ لَيْلَى مِنْ بَعْدِهِ إِذْ يَقُولُ: إِنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ مَرَّتْ يَوْمًا بِقَبْرِ تَوْبَةَ وَمَعَهَا زَوْجُهَا وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ.

فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَسْلَمَ عَلَى تَوْبَةَ، وَلَمَّا سَلِمَتْ عَلَيْهِ حَوَّلَتْ وَجْهَهَا إِلَى الْقَوْمِ وَقَالَتْ: مَا عَرَفْتُ لَهُ كِذْبَةً قَطُّ قَبْلَ هَذَا. قَالُوا: وَكَيْفَ؟ قَالَتْ: أَلَيْسَ الْقَائِلُ:

وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخِيلِيَّةَ سَلِمَتْ عَلَيَّ وَدُونِي تُرْبَةُ وَصَفَائِحُ

لَسَلَّمْتُ نَسْلِيْمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ رَقَا إِلَيْهَا صَدَيِّ مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَائِحُ  
فَمَا بَالُهُ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَيَّ كَمَا قَالَ! وَكَانَتْ إِلَيَّ جَانِبِ الْقَبْرِ بَوْمَةً كَامِنَةً،  
فَلَمَّا رَأَتْ الْهُودَجَ وَاضْطِرَابَهُ فَرَعَتْ وَطَارَتْ فِي وَجْهِ الْجَمَلِ، فَفَرَّ فَرَمَنُ  
بِلَيْلَى عَلَى رَأْسِهَا، فَمَاتَتْ مِنْ وَفْتِهَا، وَدُفِنَتْ إِلَى جَنْبِهِ.

نَاتِكَ بِلَيْلَى دَارَهَا لَا تَرْوُرُهَا وَشَطَطَتْ نَوَاهَا وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُهَا  
وَحَفَّتْ نَوَاهَا مِنْ جَنُوبِ عُنْبِرَةٍ كَمَا خَفَّ مِنْ نَيْلِ الْمَرَامِي جَفِيرُهَا  
وَقَالَ رَجَالُ: لَا يَضِيرُكَ نَائِبُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النُّفُوسَ يَضِيرُهَا  
أَلَيْسَ يَضِيرُ الْعَيْنَ أَنْ تُكْثِرَ الْبُكَاءُ وَتَمْنَعَ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا  
أَرَى الْيَوْمَ بِأَيْنِي دُونَ لَيْلَى كَأَنَّمَا أَتَى دُونَ لَيْلَى حِجَّةً وَشُهُورُهَا  
لِكُلِّ لِقَاءٍ نَلْتَقِيهِ بِشَاشَةٍ وَإِنْ كَانَ حَوْلًا كُلُّ يَوْمٍ أَزُورُهَا  
خَلِيلِي رُوحًا رَاشِدِينَ فَقَدْ أَتَتْ ضَرِيَّةً مِنْ دُونَ الْحَبِيبِ فَنِيرُهَا<sup>(١)</sup>  
خَلِيلِي مَا مِنْ سَاعَةٍ تَقِفَانِهَا مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا مِثْلَ أُخْرَى نَسِيرُهَا  
وَقَدْ تَذَهَبُ الْحَاجَاتُ يَطْلُبُهَا الْفَتَى شَعَاعًا وَتَخْشَى النَّفْسُ مَا لَا يَضِيرُهَا<sup>(٢)</sup>  
وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى تَبَرَّقَعَتْ فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا الْغَدَاةَ سُفُورُهَا<sup>(٣)</sup>

(١) ضرية: بئر وهي أيضاً أرض ذات نبات كثير، وفنيرها: النير جبل قريب من ضرية.

(٢) شعاها: متفرقات.

(٣) يشير صاحب الأغاني إلى توبة بن الحمير كان إذا أتى ليلي الأخيلية خرجت إليه في برقع، فلما شهر أمره شكوه إلى السلطان، فأباحهم دمه إن أتاهم، فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه، فلما علمت به خرجت سافرة حتى جلست في طريقه، فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد، وأنها أسفرت لذلك تحلذه، فركضت فرسه فنجأ، وذلك قوله: وَكُنْتُ إِذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى تَبَرَّقَعَتْ..... البيت.

خَلِيلِي قَدْ عَمَّ الْأَسَى وَتَقَاسَمْتُ      فَنُونُ الْبَلَى عُشَاقُ لَيْلَى وَدُورُهَا  
وَقَدْ رَأَيْتَنِي مِنْهَا صُدُودَ رَأَيْتُهُ      وَإِعْرَاضُهَا عَنْ حَاجَتِي وَبُسُورُهَا<sup>(١)</sup>  
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى فِي ذُرَى مُتَمَنِّعٍ      بِنَجْرَانَ لَأَلْتَفْتُ عَلَيَّ قُصُورُهَا  
يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَرَى الْعَيْسَ تَعْتَلِي      بِنَا نَحْوَ لَيْلَى وَهِيَ تَجْرِي ضُفُورُهَا<sup>(٢)</sup>  
وَمَا لِحِقَّتْ حَتَّى تَقْلُقَ غُرُضُهَا      وَسَامَحَ مِنْ بَعْدِ الْمَرَّاحِ عَسِيرُهَا<sup>(٣)</sup>  
وَأَشْرَفُ بِالْأَرْضِ الْيَفَاعِ لَعَلَّنِي      أَرَى نَارَ لَيْلَى أَوْ يَرَانِي بِصِيرُهَا<sup>(٤)</sup>  
فَنَادَيْتُ: لَيْلَى وَالْحُمُولُ كَأَنَّهَا      مَوَاقِيرُ نَخْلٍ زَعَزَعَتْهَا دُبُورُهَا<sup>(٥)</sup>  
فَقَالَتْ أَرَى أَنْ لَا تُفِيدَكَ صُحْبَتِي      لِهَيْبَةِ أَعْدَاءِ تَلْظِي صُدُورُهَا  
فَمَدَّتْ لِي الْأَسْبَابَ حَتَّى بَلَغَتْهَا      بِرَفْقِي وَقَدْ كَادَ ارْتِقَائِي يَصُورُهَا<sup>(٦)</sup>  
فَلَمَّا دَخَلْتُ الْخَدَرَ أَطْتُ نُسُوعَهُ      وَأَطْرَافُ عِيدَانٍ شَدِيدِ أُسُورُهَا<sup>(٧)</sup>  
فَارْخَتْ لِنَضَّاحِ الْقَفَا ذِي مِنْصَةِ      وَذِي سِيرَةٍ قَدْ كَانَ قِدَمًا يَسِيرُهَا<sup>(٨)</sup>

(١) البسور: العبوس.

(٢) ضفورها: اتساعها.

(٣) الغرض: الرّحال.

(٤) أرض يفاع: أرض مرتفعة.

(٥) المواقير: أحمال النخيل من الرطب، والدبور: ريح تهب بشدة فتكاد تقلع البيوت وتأتي على الزروع، والعرب تكره الدبور، وفي الحديث أن الرسول قال: «نصرت بالصبا، وأهلكك عاد بالدبور».

(٦) يصور: يميل.

(٧) أطت: من الأطيع: وهو صوت الرّحل من شدة الأثقال، والنسوع: حبال يربط بها الرّحل، والمعنى أن الرّحل مأل وأصدرت حباله أصواتاً لما دخل الخدر على حبيته.

(٨) النضخ: الرش، أو تعرق جلد البعير، وهو أقل من النضح، وقيل إن النضخ ما كان دون قصد، والنضح بقصد.

وَأَنِّي لَيْسَ فِينِي مِنَ الشَّوْقِ أَنْ أَرَى  
وَأَنْ أَتْرَكَ الْعَنْسَ الْحَسِيرَ بِأَرْضِهَا  
إِلَّا إِنْ لَيْلَى قَدْ أَجَدْتُ بُكُورَهَا  
فَمَا أُمُّ سَوْدَاءِ الْمَحَاجِرِ مُطْفِلُ  
أَرْتَنَا جِيَاضَ الْمَوْتِ لَيْلَى وَرَأَقْنَا  
أَلَا يَا صَفِيَّ النَّفْسِ كَيْفَ تَتَوَلَّاهَا  
تُجِيرُ وَإِنْ شَطُتْ بِهَا غُرْبَةُ النَّوَى  
وَقَالَتْ أَرَأَاكَ الْيَوْمَ أَسْوَدَ شَاحِبًا  
وَإِنْ كَانَ يَوْمٌ ذُو سَمُومٍ أَسِيرُهُ  
وَعَبِيرَتِي إِنْ كُنْتُ لَمَّا تَغْيِرُنِي  
حَمَامَةٌ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ إِلَّا انْعَمِي  
أَبِينِي لَنَا لَا زَالَ رِيْشِكَ نَاصِمًا  
فَإِنْ سَجَعْتَ هَاجَتْ لِعَيْنَيْكَ حَبْرَةٌ  
وَقَدْ زَعَمْتُ لَيْلَى بِأَنِّي فَأَجِرُ  
فَقُلْ لِعَقِيلٍ مَا حَدِيثُ عَصَابَةٍ  
فَالَا تَنَاهَوْا تَرْكُوبَ الْخَيْلِ بَيْنَنَا  
لَعَلَّكَ يَا تَيْسًا نَرَا فِي مَرِيرَةٍ  
عَلَيَّ دِمَاءُ الْبُذْنِ إِنْ كَانَ زَوْجُهَا

عَلَى الشَّرَفِ الثَّانِي الْمَخُوفِ أَرْوَرُهَا  
يَطِيفُ بِهَا عُقْبَانُهَا وَتُسَوِّرُهَا<sup>(١)</sup>  
وَزَمْتُ غَدَاةَ السَّبْتِ لِلْبَيْنِ عِيرُهَا  
بِأَخْسَنِ مِنْهَا مُقْلَتَيْنِ تُدِيرُهَا  
عُيُونُ نَقِيَّاتِ الْحَوَاشِي تُدِيرُهَا  
لَوْ أَنَّ طَرِيدًا خَائِفًا يَسْتَجِيرُهَا  
سَتُنْعِمُ يَوْمًا أَوْ يُفَادِي أَسِيرُهَا  
وَأَيُّ بَيَاضِ الْوَجْهِ حَرَّتْ حُرُورُهَا  
وَتَقْصُرُ مِنْ دُونِ السَّمُومِ سُتُورُهَا  
هَوَاجِرُ تَكْتَنِئُهَا وَأَسِيرُهَا<sup>(٢)</sup>  
سَقَاكَ مِنَ الْغُرِّ الْغَوَادِي مَطِيرُهَا  
وَلَا زِلْتُ فِي خَضِرَاءَ غَضٍ نَضِيرُهَا  
وَإِنْ زَفَرْتُ هَاجَ الْهَوَى قَرُّ قَرِيرُهَا  
لِنَفْسِي ثَقَاها أَوْ عَلَيَّهَا فُجُورُهَا  
تَكْتَفُّهَا الْأَعْدَاءُ أَنِّي تَضِيرُهَا  
وَرَكْضُ بَرَجَلٍ أَوْ جَنَاحٍ يُطِيرُهَا  
مُعَاقِبُ لَيْلَى أَنْ تَرَانِي أَرْوَرُهَا  
يَرَى لِي ذَنْبًا غَيْرَ أَنِّي أَرْوَرُهَا<sup>(٣)</sup>

(١) العنس: الناقة الصلبة، والحسير: المكشوفة بلا رحل.

(٢) تكتنيئها: تتحاشينها بالتستر عنها بالظل.

(٣) البُذْنُ: النوق السمينات، وعليّ دماء البُذْنِ: قسم معروف لدى العرب.

وَأِنِّي إِذَا مَا زُرْتُهَا قُلْتُ يَا اسْلَمِي  
 مِنَ النَّاعِبَاتِ الْمِشِي نَعْبًا كَأَنَّمَا  
 مِنَ الْعَرَكَانِيَّاتِ حُرْفٌ كَأَنَّهَا  
 قَطَعْتُ بِهَا أَجَوَّازَ كُلِّ تَنُوفَةٍ  
 تَرَى ضَعْفَاءَ الْقَوْمِ فِيهَا كَأَنَّهُمْ  
 وَقَسُورَةُ اللَّيْلِ الَّذِي بَيْنَ نِصْفِهِ  
 أَبَتْ كَثْرَةُ الْأَعْدَاءِ أَنْ يَتَجَنَّبُوا  
 وَمَا يُشْتَكَى جَهْلِي وَلَكِنْ غَرَّتِي  
 أُمُخْتَرِمِي رَبِّ الْمَثُونِ وَلَمْ أَرْزُ  
 يَتُونُ بِأَعْجَازِ ثَمَالٍ وَأَسْوِقِ  
 فَهَلْ كَانَ فِي قَوْلِي «اسْلَمِي» مَا يَضِيرُهَا؟  
 يُنَاطُ بِجَدِّعٍ مِنْ أَوَالٍ جَرِيرُهَا<sup>(١)</sup>  
 مَرِيرَةٌ لِيَفِ شُدَّ شَرُّهَا مَرِيرُهَا<sup>(٢)</sup>  
 مَخُوفٌ رَدَّاهَا حِينَ يُسْتَنُّ مُورُهَا<sup>(٣)</sup>  
 دَعَامِيصُ مَاءٍ نَشَّ عَنْهَا غَدِيرُهَا<sup>(٤)</sup>  
 وَبَيْنَ الْعِشَاءِ قَدْ رَيْبَ مِنْهَا أُسِيرُهَا<sup>(٥)</sup>  
 كِلَابِي حَتَّى يُسْتَنَّازَ عَقُورُهَا<sup>(٦)</sup>  
 تَرَاهَا بِأَعْدَائِي بِطَيْئًا طُرُورُهَا<sup>(٧)</sup>  
 عَذَارَايَ مِنْ هَمْدَانَ بِنَضًا نُحُورُهَا<sup>(٨)</sup>  
 خِدَالٍ وَأَقْدَامٍ لَطَافٍ خُصُورُهَا<sup>(٩)</sup>

- 
- (١) أوال: جزيرة بالبحرين مشهورة بالنخيل، وصنع الحبال القوية، والجريز: الحبل المفتول الذي يستخدم زمماً.
- (٢) الناعبات: سريعات العدو، والعركانيات: العاليات السنام الصعبات والحرف: الهزيلات، ومريرة الليف: ذات الحبل الطويل المفتول.
- (٣) التنوفة الأرض البعيدة، والمور: الغبار مع شدة الريح.
- (٤) الدعاميص: حشرات تكثر في المياه الراكدة حين تسح الغدران.
- (٥) قسورة الليل: المعنى هنا شدته.
- (٦) كلب عقور: مفترس يهاجم الناس.
- (٧) غرّتي، حدائتي، وطُرورها: اكتمال هيبتها.
- (٨) تخرّمه، توعدّه.
- (٩) أسوق خدال: مبيقان مُستديران.

## الصِّمَّةُ الْقُشَيْرِي

### وَدَاعُ نَجْدٍ

يَرَى كَثِيرٌ مِنَ النُّقَادِ الْعَرَبِ الْقَدَامَى أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ أَفْضَلُ مَا قِيلَ فِي  
الْغَزَلِ، سِوَاءَ فِي الشُّعْرِ الْجَاهِلِيِّ أَوِ الْإِسْلَامِيِّ، وَبِرَغْمِ أَنَّ لِلصِّمَّةِ  
الْقُشَيْرِيِّ قَصَائِدَ أُخْرَى قَلِيلَةً إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ طَعَتْ عَلَى مَا سِوَاهَا مِنْ  
قَصَائِدِ هَذَا الْعَاشِقِ الْبَدَوِيِّ الَّذِي قَادَهُ الْحُبُّ إِلَى الْمَنَفَى «فَقَدْ وُلِدَ وَنَشَأَ  
فِي نَجْدٍ فِي الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ وَمَاتَ غَرِيبًا فِي طَبْرِسْتَانَ» لِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ  
مِنْ صُورٍ مُوَلَّدَةٍ وَتَغْيِيرَاتٍ حَارَّةٍ فِي تَجَرِبَةِ رُوحِيَّةٍ أَخَاذَةٍ تُلَخِّصُ حِكَايَةَ  
هَذَا الْعَاشِقِ الْبَدَوِيِّ الْمَنَفِيِّ.

خَلِيلِي عُوْجَا مِنْكُمْ الْيَوْمَ أَوْ دَعَا نَحْيِي رُسُومًا بِالْقُبَيْبَةِ بَلَقَعَا  
أَرَيْتَ بِهَا الْأَرْوَاحَ حَتَّى تَنْسِفَتْ مَعَارِفُهَا إِلَّا الصَّفِيحَ الْمَوْضِعَا<sup>(١)</sup>  
وَعَبْرَ ثَلَاثٍ فِي الدُّبَارِ كَأَنَّهَا ثَلَاثُ حَمَامَاتٍ تَقَابِلُنَّ وَقَعَا  
أَمِنْ أَجْلِ دَارٍ بِالرُّقَاشِينَ أَصْفَتْ عَلَيْهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ بُدْءًا وَرُجْعَا

(١) أريت: لازمه وأولعت به.

بَكَتْ عَيْنُكَ الْيَسْرَى فَلَمَّا رَجَزَتْهَا  
وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْعَامِرِيَّةِ قَبْلَهَا  
تُرِيكَ عِدَاةَ الْبَيْنِ مُقْلَةً شَادِنِ  
وَمَا أُمُّ أَخَوَى الْجُدَّتَيْنِ خَلَالَهَا  
عَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْغُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا  
بِأَخْسَنِ مِنْ أُمِّ الْمُحَيَّا فُجَاءَةً  
وَلَمَّا تَنَاهَبْنَا سِقَاطَ حَدِيثِهَا  
فَرَشْتُ بِقَوْلٍ كَأَدِّ يُشْفَى مِنَ الْجَوَى  
كَمَا رَشَفَ الصَّادِي وَقَائِعَ مُزْنَةٍ  
شَكُوتُ إِلَيْهَا مَا أَلَاقِي مِنَ الْهَوَى  
فَمَا كَلَّمْتَنِي غَيْرَ رَجْعٍ وَإِنَّمَا  
كَأَنَّكَ بِذِعْ لَمْ تَرَ الْبَيْنَ قَبْلَهَا  
فَلَيْتَ جَمَالَ الْحَيِّ يَوْمَ تَرَحَّلُوا  
فَيُضْبِخُنْ لَا يُخْسِنُ مَشْيَا بِرَأَكِبِ  
أَتَجَزُّعُ وَالْحَبَّانِ لَمْ يَتَفَرَّقَا  
فَرُخْتُ وَلَوْ أَسْمَعْتُ مَا بَيْنِي مِنَ الْجَوَى  
عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْجِلْمِ أَسْبَلْنَا مَعَا  
وَلَا بَعْدَهَا يَوْمَ إِرْتَحَلْنَا مُودَعَا  
وَجِيدَ غَزَالٍ فِي الْقَلَائِدِ أَتْلَعَا<sup>(١)</sup>  
أَرَأَيْكَ مِنَ الْأَعْرَافِ أَجْنَى وَأَيْنَعَا<sup>(٢)</sup>  
رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْتَوَى وَتَرَفَعَا<sup>(٣)</sup>  
إِذَا جِيدُهَا مِنْ كِفَّةِ السُّنْبُرِ أَطْلَعَا  
غَشَّاشًا وَلَآنَ الطَّرْفُ بِنَهَا فَأُطْمَعَا<sup>(٤)</sup>  
تَلُمُ بِهِ أَكْبَادُنَا أَنْ تَصَدَّعَا  
رَشَاشٍ تَوَلَّى صَوْبُهَا حِينَ أَقْلَعَا  
وَحَشِيَّةَ شَعْبِ الْحَيِّ أَنْ يَتَوَزَّعَا  
تَرَفَّرَتِ الْعَيْنَانِ مِنْهَا لِتَذْمَعَا  
وَلَمْ تَكْ بِأَلَاافٍ قَبْلُ مُفْجَعَا  
بِذِي سَلَمٍ أَمَسْتُ مَزَاحِيْفَ ظُلَعَا  
وَلَا السَّيْرِ فِي نَجْدٍ وَإِنْ كَانَ مَهْيَعَا<sup>(٥)</sup>  
فَكَيْفَ إِذَا دَاعَى التَّفَرُّقِ أَسْمَعَا؟  
رَذِي قِطَارٍ حَنَّ شَوْقًا وَرَجَّعَا<sup>(٦)</sup>

(١) الأتلع: العنق الطويل.

(٢) أحوى الجدتين: سمرة الشفة، والأراك: شجر يُستعملُ عودُه للسَّواك،

والأعراف: نوع من النخل.

(٣) تنغض: تحرك بارتجاع.

(٤) غشاشاً: على عجل.

(٥) المهيع: الطريق الواسع.

(٦) الرذِي: الجمل الهزيل الذي لا يقوى على السير، والقطار: قطيع الإبل.

أَلَا يَا غُرَابِي بَيْتِيهَا لَا تَرْفَعَا  
خَشِيتُ إِلَى رِيَا وَنَفْسِكَ بَاعَدْتُ  
فَمَا حَسَنُ أَنْ تَأْتِي الْأَمْرَ طَائِعَا  
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ وَدَاعَ مُفَارِقِ  
تَحْمِلَ أَهْلِي مِنْ قَيْنٍ وَغَادِرُوا  
أَلَا يَا خَلِيلِي اللَّذِينَ تَوَاصِيَا  
فَإِنِّي وَجَدْتُ اللَّوْمَ لَا يُذْهِبُ الْهَوَى  
قِفَا إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ رَجْعِ نَظَرَةٍ  
لِمُتَّصِبٍ قَدْ عَزَّاهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ  
تَهَيَّجْ لَهُ الْأَخْرَازُ وَالذُّكُرُ كُلُّمَا  
قِفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْجَمَى  
بِنَفْسِي بِلَكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا  
وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْجَمَى ثُمَّ أَنْثَيْنِ  
فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتِ الْجَمَى بِرَوَاجِعِ  
مَعِي كُلُّ غُرْقٍ عَصَى عَادِلَاتِهِ  
إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرَّدَاءِ بِنِ اسْرَعَتْ  
وَسِرْبٌ بَدَتْ لِي فِيهِ بَيْضُ نَوَاهِدُ  
مَشِينَ أَطْرَادَ السَّبِيلِ هَوْنًا كَأَنَّمَا  
فَقُلْتُ: سَقَى اللَّهُ الْجَمَى دِيمَ الْحَيَا

وَطَيْرًا جَمِيعًا بِالْهَوَى وَقَعَا مَعَا  
مَرَّارَكَ مِنْ رِيَا وَشَغْبَا كَمَا مَعَا  
وَتَجَزَّعَ إِنْ دَأْبِي الصُّبَابَةُ أَسْمَعَا  
وَلَمْ تَرَ شَغْبِي صَاحِبِينَ تَقْطَعَا  
بِهِ أَهْلَ لَيْلَى حِينَ جِنْدَ وَأَمْرَعَا  
بِلَوْمِي إِلَّا أَنْ أَطِيعَ وَأَضْرَعَا  
وَلَكِنْ وَجَدْتُ الْيَأْسَ أَجْدَى وَأَنْفَعَا  
مُصْعَدَةً شَتَّى بِهَا الْقَوْمُ أَوْ مَعَا  
يُسِرُّ حَيَاءَ عِبْرَةٍ أَنْ تَطْلُعَا  
تَرْنَمَ أَوْ أَوْفَى مِنَ الْأَرْضِ مَيْفَعَا<sup>(١)</sup>  
وَقُلْ لِنَجْدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَّعَا  
وَمَا أَحْسَنَ الْمُضْطَافَ وَالْمُتَرَبِّعَا  
عَلَى كَبِيدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَّعَا  
عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَذَمَّعَا  
يَوْضِلُ الْغَوَانِي مِنْ لَدُنْ أَنْ تَرَعَرَّعَا<sup>(٢)</sup>  
إِلَيْهِ الْعُيُونُ النَّاطِرَاتُ التَّطْلُعَا  
إِذَا سُمْتُهِنَّ الْوَضِلَ أَمْسِينَ قُطَّعَا  
تَرَاهُنَّ بِالْأَقْدَامِ إِذْ مِسْنُ ظُلُّعَا  
فَقُلْنَ: سَقَاكَ اللَّهُ بِالسُّمِّ مُنْقَعَا

(١) الميفع: ما ارتفع من الأرض واشرف على ما حوله.

(٢) الغرقد: شجر كان يكثر في مقابر البقيع.

وَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّلَامُ فَلَا أَرَى  
فَقُلْنِ: أَرَأَاكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا  
وَلَمَّا رَأَيْتَ الْبَشَرَ أَغْرَضَ دُونَنَا  
تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتِنِي  
فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ يَذْهَبَ الْهَوَى  
فَرُدُّوا هُبُوبَ الرِّيحِ أَوْ غَيِّرُوا الْجَوَى  
أَمَّا وَجَلَالُ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي  
فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ  
فَمَا وَجَدُ عَلَوِيَّ الْهَوَى حَرٌّ وَاجْتَوَى  
تَشْوَقَ لَمَّا عَضَّهُ الْقَيْدُ وَاجْتَوَى  
وَرَأَى بِعَيْنَيْهِ جَبَالًا مُنِيفَةً  
إِذَا رَأَى مِنْهَا مَطْلِعًا رَدَّ شَاوَهُ  
بِأَكْبَرَ مَنْ وَجَدَ بِرِّيًّا وَجَدْتُهُ  
وَلَا بَكْرَةً بِكُرَّرَاتٍ مِنْ حُوَارِهَا  
إِذَا رَجَعْتُ فِي آخِرِ اللَّيْلِ حَتَّةً  
لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا تَقْنَعَ النَّفْسُ بَعْدَهُ  
وَأَعْدَلُ فِيهِ النَّفْسُ إِذْ حِيلَ دُونَهُ
لِنَفْسِي مِنْ دُونِ الْحِمَى الْيَوْمَ مَفْنَعًا  
بَنَانُكَ مِنْ يُمْنِي ذِرَاعِيكَ أَقْطَعًا  
وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَحِينُ نُرْعَا  
وَجِغْتُ مِنَ الْإِضْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْذَعَا<sup>(١)</sup>  
يَقِينًا وَنُرُونِي بِالشَّرَابِ فَتَنَقَعَا  
إِذَا حَلَّ الْوَاذُ الْحَشَا فَتَمَنَعَا  
كَذَكْرِيكَ مَا كَفَفْتُ لِلْعَيْنِ أَذْمَعَا  
يُضِبُّ عَلَى الصُّخْرِ الْأَصَمِّ تَصَدَّعَا  
بِوَادِي الشَّرَى وَالْعُورِ مَاءً وَمَرْتَعَا  
مَرَاتِعُهُ مِنْ بَيْنِ قُفٍّ وَأَجْرَعَا<sup>(٢)</sup>  
وَمَا لَا يَرَى فِيهِ أَخُو الْقَيْدِ مَطْمَعَا  
أَمِينُ الْقَوَى عَضُّ الْيَدَيْنِ فَأَوْجَعَا  
عَدَاةً دَعَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَسْمَعَا  
مَجْرًا حَدِيثًا مُسْتَبِينًا وَمَضْرَعَا<sup>(٣)</sup>  
لِذِكْرِ حَدِيثِ أَنْكَتِ الْبُزْلَ أَجْمَعَا<sup>(٤)</sup>  
بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مُقْنَعَا  
وَتَأْبَى إِلَيْهِ النَّفْسُ إِلَّا تَطْلَعَا

(١) اللَّيْتُ وَالْأَخْذَعُ: مِنْ غُرُوقِ الْعَنْقِ، وَقَدْ أَوْجَعَاهُ لَكثْرَةُ التَّلَفُّتِ.

(٢) الْقُفُّ: الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ، وَالْأَجْرَعُ: الْكُثْبُ.

(٣) الْحُوَارُ: ابْنُ النَّاقَةِ، وَالْمَجْرُ: حَمْلُ النَّاقَةِ الْهَزِيلَةِ.

(٤) الْبُزْلُ: الْإِبِلُ الْمُسَنَّةُ.

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَمَا هِيَ رَاحَةٌ    إِذَا لَمْ يَكُنْ شَمْلِي وَشَمْلُكُمْ مَعًا  
وَلَا مَرْحَبًا بِالرَّبِّعِ لَسْتُمْ حُلُولُهُ    وَلَوْ كَانَ مُخْضَلُّ الْجَوَائِبِ مُمْرِعًا  
فَمَاءٌ بِلا مَرْعَى وَمَرْعَى بِغَيْرِ مَا    وَحَيْثُ أَرَى مَاءً وَمَرْعَى فَمُسْبَعًا  
لَعَمْرِي لَقَدْ نَادَى مُنَادِي فِرَاقِنَا    بِتَشْتِيَتِنَا فِي كُلِّ وَادٍ فَأَسْمَعًا  
كَأَنَّا خَلَقْنَا لِلنُّوَى وَكَأَنَّمَا    حَرَامٌ عَلَى الْإِيَامِ أَنْ نَتَجَمَّعًا

## سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ السَّعْدِي

### تَلَوْنَ بِي زَمَانِي

شَاعِرٌ أَسْلَمِيٌّ مَعْمُورٌ مِمَّنْ هَرَبُوا مِنْ بَطْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ الثَّقَفِيِّ  
وَقَسَوْتِهِ، لَهُ شِعْرٌ قَلِيلٌ، وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِمَّا أُوْرَدَتْهُ الْأَضْمَعِيُّ فِي  
مُخْتَارَاتِهِ، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ. وَلَا يُعْرَفُ  
لِشَاعِرِهَا سِوَى بَضْعَةِ آيَاتٍ أُخْرَى، بَيْنَهَا أَرْبَعَةُ آيَاتٍ قَالَهَا سَوَّارُ بْنُ  
الْمُضَرَّبِ، عِنْدَ فِرَارِهِ مِنَ الْحَجَّاجِ.

أَلَمْ تَرَنِي وَإِنْ أَنْبَأْتُ أَنِّي طَوَيْتُ الْكَشْحَ عَنْ طَلَبِ الْغَوَانِي  
أَحِبُّ عُمَانَ مِنْ حُبِّي سُلَيْمَى وَمَا طَيْبِي بِحُبِّ قُرَى عُمَانِ  
عَلَاقَةٌ عَاشِقٍ وَهَوًى مُتَاحَا فَمَا أَنَا وَالْهَوَى مُتَدَانِيَانِ  
تَذَكَّرْ مَا تَذَكَّرُ مِنْ سُلَيْمَى وَلَكِنَّ الْمَرَارَ بِهَا نَائِي  
فَلَا أَنْسَى لِبَالِي بِالْكَلْدَانِ فَنِينَ وَكُلُّ هَذَا الْعَيْشِ فَإِنْ<sup>(١)</sup>  
وَيَوْمًا بِالْمَجَازَةِ يَوْمَ صِدْقٍ وَيَوْمًا بَيْنَ ضَنْكَ وَصَوْمَحَانَ<sup>(٢)</sup>

(١) الْكَلْدَانِ: الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ مِنْ غَيْرِ حَصَى.

(٢) الْمَجَازَةُ وَضَنْكَ وَصَوْمَحَانَ: أَمَاكِنُ فِي الْجَزِيرَةِ.

أَلَا يَا سَلَمَ سَيِّدَةَ التَّوَانِي      أَمَا يُفْدَى بِأَرْضِكَ تِلْكَ حَانَ  
 وَمَا حَانِيكَ يَا ابْنَةَ آلِ قَيْسٍ      بِمَفْحُوشٍ عَلَيْهِ وَلَا مُهَانَ  
 أَمْرُ أَهْلِ الثَّقَا طَرَقَتْ سُلَيْمَى      طَرِيدًا بَيْنَ شَنْطَبٍ وَالثَّمَانِ <sup>(١)</sup>  
 سَرَى مِنْ لَيْلِهِ حَتَّى إِذَا مَا      تَذَلَّى النُّجْمُ كَالْأَدَمِ الْهَجَانِ  
 رَمَى بَلَدَ بِهِ بَلَدًا فَأَضْحَى      بِظَمَائِ الرِّيحِ خَاشِعَةِ الْقِنَانِ  
 تَمُوتُ بَنَاتُ نَيْسَبِهَا وَيَغْبَى      عَلَى رُكْبَانِهَا شَرَكُ الْمِثَّانِ <sup>(٢)</sup>  
 يُطَوِّي عِنْدَ رُكْبَةٍ أَرْحَبِي      بَعِيدِ الْعَجَبِ مِنْ طَرَفِ الْجِرَانِ <sup>(٣)</sup>  
 مَطِيَّةٌ خَائِفٌ وَرَجَبٌ حَاجٍ      شُمُوزُ الذَّيْلِ مُنْطَلِقِ اللَّبَانِ <sup>(٤)</sup>  
 قَلْبِي تَنَائِفٌ غُبِرَ وَحَاجٍ      تَقْحَمُ خَائِفًا قَحَمَ الْجَبَانِ <sup>(٥)</sup>  
 كَانَ بَدْنِهِ حِينَ يُقَالُ سِيرُوا      عَلَى مَثْنِ التَّنُوفَةِ غَضِبَتَانِ  
 بِقَيْسَانَ الْفَلَاةِ كَمَا تَفَالَى      خَلِيعًا غَايَةً يَتَّبَعَانِ  
 كَانَهُمَا إِذَا حُكَّ الْمَطَايَا      يَدَا يَسْرِ الْمُتَاحَةِ مُشْتَعَانِ  
 مَبُوتَا الرُّجْعِ مَا بَرَّتَا الْأَعَالِي      إِذَا كَلَّ الْمَطِي سَفِيهَتَانِ <sup>(٦)</sup>  
 وَمَا دِ شَغَشَعٍ هَجَمَتْ عَلَيْهِ      تَوَالٍ مَا يُرَى فِيهَا تَوَانِ

(١) شَنْطَبُ وَالثَّمَانُ: أماكن أخرى في الجزيرة.

(٢) النَيْسَبُ: الطريق المستقيم الواضح، وقيل هو طريق النمل، يَغْبَى: يخفى،  
وَالْمِثَّانُ: الأرض الغليظة الصلبة.

(٣) الْجِرَانُ: نَحْرُ البعير.

(٤) شُمُوزُ الذَّيْلِ: رافعة ذيلها.

(٥) التَّنَائِفُ: الأراضي الواسعة البعيدة.

(٦) السُّبُوتُ: نوع من سير الإبل، ومائرة: تحمل المؤبزة أي الطعام وسائر حاجات  
الطريق.

أَعَاذَلْتَنِي فِي سَلَمِي دَعَانِي      فَلَانِي لَا أَطَاوُعُ مَنْ نَهَانِي  
وَلَوْ أَنِّي أَطِيعُكُمْ مَا بَسَلَمِي      لَكُنْتُ كَبَغَضٍ مَنْ لَا تُرْشِدَانِ  
دَعَانِي مِنْ أَذَاتِكُمْ مَا وَلَكِنْ      بِذِكْرِ الْمَذْحِجَةِ عَلَّلَانِي  
فَإِنَّ هَوَايَ مَا عَلِمْتُ سُلَيْمِي      يَمَانٍ إِنَّ مَنَزِلَهَا يَمَانٍ  
تَكِلُ الرِّيحُ دُونَ بِلَادِ سَلَمِي      وَسِرَاتُ الْمُتَوَقِّةِ الْهَجَانِ  
بِكُلِّ تَنُوقَةٍ لِلرِّيحِ فِيهَا      خَفِيفٌ لَا يَرُوعُ الثَّرْبُ وَأَنْ  
إِذَا مَا الْمُسْتَفَاتُ عَلَوْنَ مِنْهَا      رِقَاقًا أَوْ سَمَاوَةً صَخَصَحَانِ<sup>(١)</sup>  
يَخِذْنَ كَأَنَّهُنَّ بِكُلِّ خَرْقٍ      وَإِغْسَاءَ الظَّلَامِ عَلَى رَهَانِ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنْ عَوَزْنَ هَاجِرَةً بِفَيْفٍ      كَأَنَّ سَرَابَهَا قَطَعَ الدُّخَانِ<sup>(٣)</sup>  
وَضَعْنَ بِهِ أَجِنَّةَ مُجْهَضَاتٍ      وَضَعْنَ لِثَالِثٍ عَلَقًا وَثَانٍ  
وَلَيْلٍ فِيهِ تَحْسَبُ كُلُّ نَجْمٍ      بَدَا لَكَ مِنْ خَصَاصَةِ طَيْلَسَانٍ  
نَعَشْتُ بِهِ أَرْمَةَ طَاوِيَاتٍ      نَوَاجٍ لَا تَبِينُ عَلَى ائْتِنَانٍ  
تُشِيرُ عَوَازِبَ الْكُذْرِيِّ وَهَنًا      كَأَنَّ فِرَاقَهَا قَمَرُ الْأَنَانِي  
يَطَّانُ خُدُودَهُ مُتَشَمِّمَاتٍ      عَلَى سُمْرٍ تَقْضُ حَصَى الْمِثْنَانِ  
سَرِينَ جَمِيعَهُ حَتَّى تَوَلَّى      كَمَا ائْتَكَبَ الْمُعْبِدُ لِلْجِرَانِ<sup>(٤)</sup>  
وَشَقَّ الصُّبْحُ أُخْرَى اللَّيْلِ شَقًّا      جِمَاحَ أَغْرَ مُنْقَطِعِ الْعِثَانِ  
وَمَا سَلَمِي بِسَيِّئَةِ الْمُحْيَا      وَلَا عَسْرَاءَ عَاسِيَةِ الْبَنَانِ<sup>(٥)</sup>

(١) الْمُتَقَدِّمَاتُ: الْمُتَقَدِّمَاتُ فِي السَّيْرِ، وَسَمَاوَةٌ: مَاءٌ فِي الْبَادِيَةِ.

(٢) أَغْسَى اللَّيْلُ: أَظْلَمَ.

(٣) الْفَيْفُ: مُفْرَدُ جَمْعِهِ الْفَيَافِي، وَهِيَ الْأَرْضُ الْمُسْتَوِيَّةُ الْوَاسِعَةُ.

(٤) الْجِرَانُ: مُقَدِّمَةُ عُنُقِ الْبَعِيرِ، فَإِذَا بَرَكَ الْبَعِيرُ، قِيلَ أَلْقَى جِرَانَهُ بِالْأَرْضِ.

(٥) يَدٌ عَاسِيَةٌ: غَلِيظَةٌ خَشَنَةٌ.

أَلَا قَدْ هَاجَنِي فَازْدَدْتُ شَوْقًا  
تَنَادَى الطَّائِرَانِ بِصَرْمٍ سَلَمَى  
بُكَاءُ حَمَامَتَيْنِ تَجَاوَبَانِ  
فَكَانَ الْبَانُ أَنْ بَأَثْتُ سَلِيمَى  
عَلَى غُضْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانِ  
وَلَوْ سَأَلْتُ سِرَاءَ الْحَيِّ عَنِّي  
وَبِالْغَرْبِ اغْتِرَابُ غَيْرُ دَانِ  
لَخَبَّرَهَا ذُوؤُ أَحْسَابِ قَوْمِي  
عَلَى أَنِّي تَلَوْتُ بَيْنَ زَمَانِي  
يُدْفَعُ الدَّمُّ عَنْ حَسْبِي بِمَالِي  
وَأَعْدَائِي فَكُلُّ قَدْ بَلَانِي  
وَأَنسِي لَا أزالُ أَخَا حُرُوبٍ  
وَزُبُونَاتِ أَشْوَسَ تَيْجَانِ<sup>(١)</sup>  
إِذَا لَمْ أَجِنِ كُنْتُ مِجَنُّ جَانِ

(١) الزبونات: من الزين: وهو الدَّفْعُ، والتَّيْجَان: العريض المقدام.

## صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ

### الْقَصِيدَةُ الزَّيْنِيَّةُ

تُسَبُّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، لَكَنَّا فِي كُتُبِ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ تُنَبِّئُ لِصَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ بِالاسْمِ نَفْسِهِ: «الْقَصِيدَةُ الزَّيْنِيَّةُ» كَمَا فِي مُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ لِیَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ وَأَثْبَتَهَا الْيُوسُفِيُّ فِي «الْمُحَاضَرَاتِ فِي الْأَدَبِ وَاللُّغَةِ» كَامِلَةً، كَمَا أوردَهَا الْأَثَلِيدِيُّ وَنَسَبَهَا لِصَالِحِ بْنِ عَبْدِ الْقُدُّوسِ الَّذِي قُتِلَ لِتُهْمَةِ الزُّنْدَقَةِ فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ الْمَهْدِيِّ، الْقَصِيدَةُ بَيَانٌ فِي الْحِكْمَةِ، وَخُلَاصَةٌ لِتَجْرِبَةٍ شُعُورِيَّةٍ / ذَهْنِيَّةٍ عَمِيقَةٍ.

صَرَمَتْ حَبَالِكَ بَعْدَ وَضَلِكَ زَيْنَبُ  
وَالدَّفَرُ فِيهِ تَغِيرُ وَتَقْلُبُ  
نَشَرْتُ ذَوَائِبَهَا الَّتِي تَزْهَوُ بِهَا  
سُودًا وَرَأْسُكَ كَالثَّغَامَةِ أَشْيَبُ<sup>(١)</sup>  
وَاسْتَنْفَرْتُ لِمَا رَأَيْتُكَ وَطَالَمَا  
كَأَنْتَ تَجِرُّ إِلَيَّ لِقَاكَ وَتَرْغَبُ

(١) الثَّغَامَةُ: شَجَرَةٌ بَيْضَاءُ الزَّهْرِ وَالشَّعَرُ وَمِنَ الْمَجَازِ: أَنْغَمَ رَأْسَ الرَّجُلِ إِذَا ابْيَضَّ.

وَمَكَدَاكَ وَضَلُ الْغَائِبَاتِ فَإِنَّهُ  
أَلْ بِبَلَقْمَةٍ وَيَرْقُ خَلْبٌ<sup>(١)</sup>  
فَدَعِ الصُّبَا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ  
وَإِذَا هَذَا فَعُمُرُكَ مِرْمَنُهُ الْأَطْيَبُ  
ذَهَبَ الشُّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ  
وَأَتَى الْمَشِيبُ فَأَيْنَ مِنْهُ الْمَهْرَبُ  
دَعِ عَنْكَ مَا قَدْ كَانَ فِي زَمَنِ الصُّبَا  
وَإِذْ كُرْ ذُنُوبُكَ وَإِنْ كَهَا يَا مُذْنِبُ  
وَإِذْ كُرْ مُنَاقَشَةَ الْجِسَابِ فَإِنَّهُ  
لَا بُدَّ يُخْصِنِي مَا جَنَنْتُ وَيُكْثِبُ  
لَمْ يُنْسِهِ الْمَلَكُانِ حِينَ نَسِيْتُهُ  
بَلْ أَتَبَتَاهُ وَأَنْتَ لَا إِلَهَ تَلْعَبُ  
وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِينُهُ أَوْدَغَتْهَا  
سَتَرْدَهَا بِالرُّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلِّبُ  
وَعُرُوزُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا  
ذَا رَحِيقَتِهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ  
وَاللَّيْلُ فَاغْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا  
أَنْفَاسُنَا فِيهَا تُعَدُّ وَتُخْسَبُ  
وَجَمِيعُ مَا خَلَقْتَهُ وَجَمَعْتَهُ  
حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ

(١) البلقُ: الأرض الخالية، والآل: السراب.

تَبَّاءُ لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا  
وَمُشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَخْرُبُ  
فَاسْمَعْ هُدَيْتَ نَصِيحَةً أَوْلَاكَهَا  
بِرُّ نَضُوحٍ لِلْأَيَّامِ مُجْرِبُ  
صَحْبَ الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ مُسْتَبْصِرُ  
وَرَأَى الْأُمُورَ بِمَا تَوُوبُ وَتَغْفِبُ  
لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوُوزَ فَإِنَّهُ  
مَا زَالَ قَدْ مَالَ لِلرِّجَالِ يُودَّبُ  
وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غَضَائِهَا  
مَضَضٌ يُذَلُّ لَهُ الْأَعْرُ الْأَنْجَبُ  
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالزَّمْهَا تَفُزْ  
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَهِيُّ الْأَفْيَبُ  
وَاعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنْلُ مِنْهُ الرِّضَا  
إِنَّ الْمُطِيعَ لَهُ لَدَيْهِ مُقَرَّبُ  
وَاقْنَعْ فِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً  
وَالْيَأْسُ مِمَّا فَاتَ فَهُوَ الْمَطْلَبُ  
فَإِذَا طَمَعْتَ كُسَيْتَ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ  
فَلَقَدْ كُسِيَ ثَوْبَ الْمَذَلَّةِ أَشْعَبُ  
وَتَوَقَّ مِنْ غَدْرِ النِّسَاءِ خِيَانَةً  
فَجَمِيعُهُنَّ مَكَايِدُكَ تَنْصَبُ  
لَا تَأْمَنِ الْأُنْثَى حَيَاتِكَ إِنَّهَا  
كَالْأَفْعُوانِ يُرَاعَ مِنْهُ الْأَنْيَبُ

لَا تُؤْمِنِ الْإِنْسَى زَمَانِكَ كُلَّهُ  
بِؤْمَا وَلَوْ خَلَفْتَ يَمِينًا تَكْذِبُ  
تُعْرِئِي بِلِينِ حَدِيثِهَا وَكَلَامِهَا  
وَإِذَا سَطَطْتَ فَهِيَ الصَّقِيلُ الْأَشْطَبُ  
وَإِذَا عَدُوكَ بِالتَّجِيَّةِ وَلِتَكُنْ  
مِنْهُ زَمَانُكَ خَائِفًا تَتَرَقَّبُ  
وَإِخْذَرُهُ إِنْ لَأَقِيْتَهُ مُتَبَسِّمًا  
فَاللَّيْتُ يَبْدُو نَابَهُ إِذْ يَغْضَبُ  
إِنْ الْعَدُوُّ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ  
فَالْجَفْدُ بَاقٍ فِي الصُّدُورِ مُغَيَّبُ  
وَإِذَا الصُّدَيْقُ لَقِيْتَهُ مُتَمَلِّقًا  
فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يُتَجَنَّبُ  
لَا تُخْبِرْ فِي وَدْءِ امْرِئٍ مُتَمَلِّقٍ  
حُلُوَ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَتَلَهَّبُ  
بَلَقَاكَ يَخْلِفُ إِنَّهُ بِكَ وَائِقُ  
وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعَقْرَبُ  
يُغْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةٌ  
وَيَرُوعُ مِنْكَ كَمَا يَرُوعُ الثُّغْلَبُ  
وَصِلِ الْكِرَامَ وَإِنْ رَمَوْكَ بِجَفْوَةٍ  
فَالصَّفْحُ عَنْهُمْ بِالتَّجَاوُزِ أَضَوْبُ  
وَإِخْزَ قَرِينِكَ (وَاضْطَفِيهِ) تَفَاخُرًا  
إِنَّ الْقَرِينََّ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ

إِنَّ الْعَنُيَّ مِنَ الرُّجَالِ مُكْرَمٌ  
 وَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُزْهَبُ  
 وَيَبُشُّ بِالشَّرْحِيبِ عِنْدَ قُدُومِهِ  
 وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيَقْرَبُ  
 وَالْفَقْرُ شَيْنٌ لِلرُّجَالِ فَإِنَّهُ  
 حَقًّا يَهُونُ بِهِ الشَّرِيفُ الْأَنْسَبُ  
 وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقَارِبِ كُلِّهِمْ  
 بِتَذَلُّلٍ وَاسْمَخْ لَهُمْ إِنْ أَذْنُبُوا  
 وَدَعْ الْكَذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا  
 إِنَّ الْكَذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَضْحَبُ  
 وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ  
 ثَرْثَارَةً فِي كُلِّ نَادٍ تَخْطُبُ  
 وَاخْفِظْ لِسَانَكَ وَاخْتَرِزْ مِنْ لَفْظِهِ  
 قَالِمَرٌّ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيُغْطِبُ  
 وَالسُّرُفُ فَكَيْمَةٌ وَلَا تَنْطُقْ بِهِ  
 إِنَّ الرُّجَا جَعَةً كَسَرُهَا لَا يُشْعَبُ  
 وَكَذَلِكَ سِرُّ الْمَرْءِ إِنْ لَمْ يَطْوِهِ  
 نَشَرَتْهُ أَلْسِنَةُ تَزِيدُ وَتَكْذِبُ  
 لَا تَحْرِصَنَّ عَلَى حِرْصٍ لَيْسَ بِزَائِدٍ  
 فِي الرُّزْقِ بَلْ يَشْقَى الْحَرِيفُ وَيَنْعَبُ  
 وَيُظَلُّ مَلْهُوفًا يَرُومُ تَحِيلاً  
 وَالرُّزْقُ لَيْسَ بِحِيلَةٍ يُسْتَجْلَبُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ بِأُتَى رِزْقُهُ  
رَغَدًا وَيُحْرَمُ كَيْسٌ وَيُخَيَّبُ  
وَارِعَ الْأَمَانَةَ وَالْخِيَانَةَ فَاجْتَنِبْ  
وَاعْدِلْ وَلَا تَظْلِمَ يَطِبَ لَكَ مَكْسَبُ  
وَإِذَا أَصَابَكَ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا  
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكَبُ  
وَإِذَا رُمِيتَ مِنَ الزَّمَانِ بِرِيْبَةٍ  
أَوْ نَالَكَ الْأَمْرُ الْأَشَقُّ الْأَضْعَبُ  
فَاضْرَعْ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَذْنَى لِمَنْ  
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ  
كُنْ مَا اسْتَطَعْتَ مِنَ الْأَنَامِ بِمَغْرَلٍ  
إِنَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَرَى لَا يُضَحَّبُ  
وَاحْذَرْ مُصَاحَبَةَ اللَّئِيمِ فَإِنَّهُ  
يُعْذِي كَمَا يُعْذِي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ  
وَاحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا  
وَاعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُخَجَّبُ  
وَإِذَا رَأَيْتَ الرُّزْقَ عِزًّا بِبَلَدَةٍ  
وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ  
فَارْخُلْ، فَارْضُ اللَّهُ وَأَسْعِ الْقَضَا  
طُولًا وَعَرْضًا، شَرْقُهَا وَالْمَغْرِبُ  
فَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي  
فَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوَهَّبُ

## الأحيمر السعدي

### القصيدة الوحشية

شَاعِرٌ لِيْصُ عَاشَ بَيْنَ الْعَهْدَيْنِ الْأَمَوِيِّ وَالْعَبَّاسِيِّ، كَانَ يَقْرَأُ شِعْرَهُ  
لِلْوُحُوشِ وَالرِّيحِ وَالصَّخَرَاءِ الْبَعِيدَةِ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَصِلْنَا مِنْ أَشْعَارِهِ إِلَّا  
بَعْضُ الْآيَاتِ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ الْمُعَبَّرَةُ عَنْ عَزَلَةِ الْبَشَرِ وَأَلْفَةِ الْوُحُوشِ،  
وَلِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَحْشِيَّةً فِي بَيْتِهَا، فَإِنَّهَا أَكْثَرُ الْأَشْعَارِ أَلْفَةً فِي  
لُغَتِهَا وَمَعَانِيهَا. . قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ فِي «الشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ»: «كَانَ الْأَحِيمَرُ  
لِصًّا كَثِيرَ الْجَنَابَاتِ، فَخَلَعَهُ قَوْمُهُ، وَخَافَ السُّلْطَانُ، فَخَرَجَ فِي الْفَلَوَاتِ  
وَقَفَّارِ الْأَرْضِ. . قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنِّي قَدْ جِزْتَ نَخْلَ وَبَار<sup>(١)</sup>، أَوْ قَدْ قَرَّبْتُ  
مِنْهَا، وَذَلِكَ لِأَنِّي كُنْتُ أَرَى النَّوَى فِي رَجِيعِ الظُّبَاءِ<sup>(٢)</sup>، وَصِرْتُ إِلَى  
مَوَاضِعَ لَمْ يَصِلْ أَحَدٌ إِلَيْهَا قَطُّ قَبْلِي. وَكُنْتُ أَغْشَى الظُّبَاءَ وَغَيْرَهَا مِنْ

---

(١) أَرْضُ وَبَار: أَرْضُ سَكْنَهَا قَوْمُ عَادٍ، تَزْعُمُ الْعَرَبُ أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ هَلَكَ قَوْمُ عَادَ سَكْنَهَا  
الْجَنُّ.

(٢) النَّوَى: نَوَاةُ التَّمْرِ، وَالرَّجِيعُ: مَا تَخْلُفُهُ الظُّبَاءُ مِنْ فَضَلَاتٍ، يُرِيدُ أَنْ مَرَاعِي الظُّبَاءِ  
كَانَتْ فِي تِلْكَ الْأَشْجَارِ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِي فَضَلَاتِ الظُّبَاءِ نَوَى مِنْ تَمَرِ أَشْجَارِ تِلْكَ  
النَّخِيلِ: «نَخِيلَ وَبَار»

بِهَاتِمِ الْوَحْشِ فَلَا تَنْفِرْ مِنِّي، لَأَنهَا لَمْ تَرَ غَيْرِي قَطُّ وَكُنْتُ أَخْذُ مِنْهَا  
لِطَعَامِي مَا شِئْتُ، إِلَّا النَّعَامَ، فَإِنِّي لَمْ أَرَهُ قَطُّ إِلَّا شَارِدًا فَرِعَاءً.

عَوَى الذُّئْبُ فَاسْتَأْنَسْتُ بِالذُّئْبِ إِذْ عَوَى  
وَصَوْتُ إِنْسَانٍ فَكِدْتُ أَطِيرُ  
يَرَى اللَّهُ إِنِّي لِلْإِنْسِ لَكَارِهِ  
وَتُبِغْضُهُمْ لِي مُقْلَةٌ وَضَمِيرُ  
فَلَيْلٍ إِنْ وَارَانِي اللَّيْلُ حُكْمُهُ  
وَالشَّمْسُ إِنْ غَابَتْ عَلَيَّ تُدَوِّرُ  
وَإِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى  
أَجْرُ حَبْلًا لَيْسَ فِيهِ بَعِيرُ  
وَأَنْ أَسْأَلَ الْوَعْدَ اللَّئِيمَ بَعِيرُهُ  
وَيَغْرَأُنْ رَبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرُ  
لَيْلٍ طَالَ لَيْلِي بِالْعِرَاقِ لَرُبَّمَا  
أَتَى لِي لَيْلٌ بِالشَّامِ قَصِيرُ  
مَعِيَ فِتْنَةٌ بِنِضِّ الْوُجُوهِ كَأَنَّهُمْ  
عَلَى الرَّخْلِ فَوْقَ النَّاعِجَاتِ بُدُورُ  
أَيَّا نَخْلَاتِ الْكَرْمِ لَا زَالَ رَأَيْحًا  
عَلَيْكُنَّ مِنْهُلُ الْغَمَامِ مَطِيرُ  
سُقْبَيْنُ مَا دَامَتْ بِكَرْمَانِ نَخْلَةٌ  
عَوَامِرُ تَجْرِي بَيْنَكُنَّ بُحُورُ  
سُقْبَيْنُ مَا دَامَتْ بِنَجْدٍ وَشَيْبَةٍ  
وَلَا زَالَ يَسْعَى بَيْنَكُنَّ غَدِيرُ

أَلَا حَبِذَا الْمَاءِ الَّذِي قَابَلَ الْجَمْنَ  
 وَمُرْتَبِعَ مَنْ أَهْلِنَا وَمَصِيرُ  
 وَأَيَّامِنَا بِالْمَالِ كَيْفَ إِنِّي  
 لَهُنَّ عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ ذُكُورُ  
 وَيَا نَخْلَاتِ الْكَرْخِ لَا زَالَ مَا طُرُ  
 عَلَى كُنْ مُسْتَنُّ الرِّيحِ ذُرُورُ  
 وَمَا زَالَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى رَأَيْتُنِي  
 بِدُورَقٍ مُلْقَى بَيْنَهُنَّ أَدُورُ  
 تُذَكِّرُنِي أَظْلَالُكُمْ إِذَا دَجَتْ  
 عَلَيَّ ظِلَالُ الدَّوْمِ وَهِيَ هَجِيرُ  
 وَقَدْ كُنْتُ رَمَلِيًّا فَأَضْبَحْتُ ثَاوِيًّا  
 بِدُورَقٍ مُلْقَى بَيْنَهُنَّ أَدُورُ  
 وَقَدْ كُنْتُ ذَا قُرْبٍ فَأَضْبَحْتُ نَارِحًا  
 بِكَرْمَانَ مُلْقَى بَيْنَهُنَّ أَدُورُ  
 وَنُبِّئْتُ أَنَّ الْحَيَّ سَعْدًا تَخَاذَلُوا  
 حَمَاهُمْ وَهُمْ لَوْ يَغْصِبُونَ كَثِيرُ  
 أَطَاعُوا الْفِتْيَانَ الصَّبَاحَ لِقَاءَهُمْ  
 فَذُوقُوا هَوَانَ الْحَرْبِ حَيْثُ تَدُورُ  
 خِلا الْجَوَفِ مِنْ قِتَالِ سَعْدٍ فَمَا بِهَا  
 لِمُسْتَصْرِخٍ يَدْعُو الثُّبُورَ نَصِيرُ  
 نَظَرْتُ بِقَضْرِ الْأَبْرَشِيَّةِ نَظْرَةً  
 وَطَرَفِي وَرَاءَ النَّاطِرِينَ بِصِيرُ

فَرَدُّ عَلَيَّ الْعَيْنِ أَنْ أُنْظَرَ الْقُرَى  
 قُرَى الْجَوَابِ نَحْلُ مُغْرِضٍ وَبُحُورُ  
 وَتَبْهَاءُ يَزُورُ الْقَطَا عَنْ قَلَابِهَا  
 إِذَا عَسَبَلْتُ فَوْقَ الْمِثْنَانِ حُرُورُ  
 كَفَى حَرْنًا أَنْ الْجِمَارَ بِنَ بَحْدَلِ  
 عَلَيَّ بِأَكْنَافِ السُّتَارِ أَمِيرُ  
 وَأَنْ إِسْنَ مُوسَى بِأَيْعَ الْبَقْلِ بِالنُّوَى  
 لَهُ بَيْنَ بَابٍ وَالسِّتَارِ خَطِيرُ  
 وَإِنِّي أَرَى وَجْهَ الْبُنَاءِ مُقَانِلًا  
 أَذِيرَةَ يَسْدِي أَمَرْنَا وَيُنِيرُ  
 هَبِئْنَا لِمَخْفُوظٍ عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا  
 وَلَا يَنْ لَرَّازٍ مَفْنَمٌ وَسُرُورُ  
 أَنَاعِيمُ بِخَوْنِهِنَّ بِالْجَرَعِ الْغَضَا  
 جَعَابِيبُ فِيهَا رِلَّةٌ وَدُّنُورُ<sup>(١)</sup>

---

(١) الْأَنَاعِيمُ: جَمْعُ الْجَمْعِ لِلْأَنْعَامِ وَهِيَ الْإِبِلُ، وَجَعَابِيبُ: جَمْعُ جَعْبُوبٍ وَهُوَ الدَّمِيمُ  
 الْقَصِيرُ، وَقِيلَ هُوَ الدَّنِيءُ مِنَ الرِّجَالِ.

## الفارعة الخارجية

### بكائية على الخابور

لَا يَكَادُ يَخْلُو كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الْحِمَاسَاتِ أَوْ سَائِرِ الْمُخْتَارَاتِ الشُّعْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ أَوْ كُتُبِ الْبَلَاغَةِ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْفَرِيدَةِ أَوْ بَعْضِ أَيْاتِهَا، وَلَعَلَّهَا أَجْمَلُ مَرْثِيَةٍ قَالَتْهَا امْرَأَةٌ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، تُصَاهِي بِهَا مَرَاثِي الْخُنَسَاءِ لِأَخِيهَا صَخْرٍ.

قَالَتْهَا الْفَارَعَةُ الْخَارِجِيَّةُ، وَفِي بَعْضِ الْكُتُبِ اسْمُهَا: لَيْلَى الشَّيْبَانِيَّةُ، فِي أَخِيهَا الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفِ الشَّارِيِّ قَائِدِ الْخَوَارِجِ الشُّرَاةِ فِي عَهْدِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، الَّذِي قَتَلَهُ يَزِيدُ بْنُ مَزِيدِ الشَّيْبَانِيِّ عَلَى أَطْرَافِ الْمَوْصِلِ وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا قَرَابَةٌ، تَقُولُ كُتُبُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ سَارَتْ بَيْنَ الرُّكْبَانِ، وَلِذَلِكَ اثْبَتَهَا ابْنُ خَلِّكَانَ كَامِلَةً فِي وَفَيَاتِهِ، لَمَّا تَتَمَتَّعُ بِهِ مِنْ غَرَابَةِ وَحُسْنِ، مِنْ شَاعِرَةٍ أَجَادَتْ «وَهْيَ قَلَمًا تَجُودُ»

بِتَلْ نُبَاتَى رَسْمُ قَبْرِ كَأَنَّهُ عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُنِيفٍ<sup>(١)</sup>

(١) تَلْ نُبَاتَى: تَلُّ فِي نَوَاحِي الْمَوْصِلِ وَقِيلَ فِي نَصِيبِينَ.

نَضْمُنْ جُوداً حَاتِئِياً وَنَائِلاً      وَسُورَةً مِقْدَامَ وَرَأْيِ حَصِيفِ  
أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْجُنَّ كَيْفَ أَضْمَرْتُ      فَتَى كَأَنَّ لِلْمَعْرُوفِ غَيْرَ عَيُوفِ <sup>(١)</sup>  
فَبِلَا تُجِيبُنِي دِمْنَةً هِيَ دُونُهُ      فَقَدْ طَالَ تَسْلِيمِي وَطَالَ وَقُوفِي  
وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَأَضْعِيفاً تَضْمَنْتُ      إِذَا عَظُمَ الْمَرْزَى وَلَا ابْنَ ضَعِيفِ  
خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا      وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفِ  
فَتَى لَا يَلُومُ السَّيْفَ حِينَ يَهْرُهُ      عَلَى مَا اخْتَلَى مِنْ مَغْصَمٍ وَصَلِيفِ <sup>(٢)</sup>  
فَتَى لَا يُجِبُ الرِّزَادَ إِلَّا مِنَ الثَّقَى      وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَاءٍ وَسُيُوفِ  
وَلَا الْخَيْلَ إِلَّا كُلَّ جَرْدَاءٍ شَطْبَةٍ      وَكُلَّ حِصَانٍ بِالْيَدَيْنِ غُرُوفِ <sup>(٣)</sup>  
وَلَا الدُّخْرَ إِلَّا كُلَّ جَرْدَاءٍ صَلْدَمٍ      مَعَاوِدَةٍ لِلْكَرْبَيْنِ صُفُوفِ <sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ هُنَاكَ وَلَمْ تَقُمْ      مَقَاماً عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ خَفِيفِ  
وَلَمْ تَسْتَلِمِ يَوْماً لِرَدِّ كَرِيهَةٍ      مِنْ السَّرْدِ فِي خَضِرَاءَ ذَاتِ رَفِيفِ  
وَلَمْ تَسْعَ يَوْمَ الْحَرْبِ، وَالْحَرْبُ لَاقِحٌ      وَسُمِرُ الْقَنَاءِ يَنْكَرُ نَهَا بِأَنْوُوفِ <sup>(٥)</sup>  
وَمَا زَالَ حَتَّى أَزْهَقَ الْمَوْتُ نَفْسَهُ      شَجّاً لِعَدُوٍّ أَوْ لَجّاً لِضَعِيفِ  
فَإِنْ بِكَ أَرْدَاهُ يَزِيدُ بَنُ مَزِيدٍ      فَيَأْرُبُ خَيْلٍ فَضْهًا وَصُفُوفِ  
فَبِأَشَجَرِ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقاً      كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ  
حَلِيفِ النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى      فَإِنْ مَاتَ لَا يَرْضَى النَّدَى بِحَلِيفِ

(١) الجناء: التراب المتجمع مشكلاً هيئة القبر.

(٢) الصليف: جانب العنق.

(٣) الأجرء من الخيول: الذي لا شعر على جسده، وفرس شطبة: طويلة حسنة.

(٤) الصلدم: الجواد القوي الشديد الحافر.

(٥) النكر: الغرز واللسع.

فَقَدْنَاكَ فُقْدَانِ الرَّبِيعِ وَلَيْثُنَا  
 أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلْجَمَامِ وَلِلْبَلَى  
 أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلنَّوَائِبِ وَالرَّدَى  
 وَلِلْبَذْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ إِذْ هَوَى  
 وَلِلْيَتِّ فَوْقَ النَّعْشِ إِذْ يَحْمِلُونَهُ  
 بَكَتْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ يَوْمَ وَقَاتِهِ  
 يَقْلَنَ وَقَدْ أَبْرَزْنَ بَعْدَكَ لِلوَرَى  
 كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ مِصَاعًا وَلَمْ تَقُمْ  
 وَلَمْ تَشْتَمِلْ يَوْمَ الْوَعْنِ بِكِتِيبَةٍ  
 دِلَاصٍ تَرَى فِيهَا كُدُوحًا مِنَ الْقَنَاءِ  
 وَطَعْنَةٍ خَلَسَ قَدْ طَعِنْتَ مُرْشَةَ  
 وَمَائِدَةٍ مَحْمُودَةٍ قَدْ عَلَوْتَهَا  
 قَدَيْنَاكَ مِنْ سَادَاتِنَا بِأَلُوفٍ  
 وَلِلْأَرْضِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِرُجُوفٍ  
 وَدَهْرٍ مُلِحٍ بِالْكَرَامِ عَفِيفٍ  
 وَلِلشَّمْسِ هَمَّتْ بَعْدَهُ بِكُسُوفٍ  
 إِلَى حُفْرَةٍ مَلْحُودَةٍ وَسُقُوفٍ  
 وَأَبْرَزَ مِنْهَا كُلُّ ذَاتٍ نَصِيفٍ  
 مَعَاقِدَ حُلِيِّ مِنْ بَرَى وَشَنُوفٍ<sup>(١)</sup>  
 مَقَامًا عَنِ الْأَعْدَاءِ غَيْرِ خَفِيفٍ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَمْ تَبْدُ فِي خَضِرَاءِ ذَاتِ رَفِيفٍ  
 وَمِنْ ذَلِكَ يَنْجُمْنَهَا بِحُرُوفٍ<sup>(٣)</sup>  
 عَلَى بَزْنِي كَالشُّهَابِ رَعُوفٍ<sup>(٤)</sup>  
 بِأَوْصَالِ بَخْتِي أَحَدٌ عَنِيفٍ<sup>(٥)</sup>

(١) البري: قرط في الأنف والشنوف: القرط في الإذن.

(٢) المصاع: المبارزة بالسيوف.

(٣) الدلاص: الدرع الملساء اللينة، والكدوخ: الخدوش، والدلق: السيوف، دلالة على حدتها.

(٤) طعنة خلّس: طعنة مخاتلة وحذرة، وطعنة مُرْشَة: لها رِشاش من الدّم.

(٥) البختي: نوع من الإبل الخراسانية، والأحد: السّريع.

## ابن أبي السُّعَلَات

### القَصِيدَةُ الْمَنَسِيَّةُ

هَذِهِ شَهَادَةُ شِعْرِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ لِشَاعِرٍ كُوفِيٍّ، عَنْ عَضْرِ قَالَ الْمُؤَرِّخُونَ إِنَّهُ زَاهِرٌ. لَكِنَّ ابْنَ أَبِي السُّعَلَاتِ يَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ آخَرَ لِذَلِكَ الْعَضْرِ حَيْثُ يَفْضَحُ الْفَسَادَ الْإِدَارِيَّ فِي الْكُوفَةِ خِلَالَ فِتْرَةِ الْمَأْمُونِ، وَاسْتِنْدَادِ الْإِقْطَاعِ وَالْوَلَاةِ وَالْقَضَاةِ وَأَصْحَابِ الْخَرَاجِ، فِي لَفْتَةٍ نَادِرَةٍ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ خِلَالَ ذَلِكَ الْعَضْرِ.

هُوَ شَاعِرٌ مَعْمُورٌ حَقًّا، لَمْ تُؤرِّخْ لَهُ الْمَصَادِرُ، وَلَوْلَا مَا أَرَّخَهُ هُوَ عَنْ عَضْرِهِ لَمَا عَرَفْنَا إِلَى أَيِّ عَضْرِ يَتَّصِلُ، فَقَدْ أَغْفَلَتْهُ جَمِيعُ الْمَصَادِرِ الْأَدَبِيَّةِ تَقْرِيبًا، وَلَمْ يَذْكُرْهُ إِلَّا طَبَفُورٌ فِي الْمَثُورِ وَالْمَنْظُومِ: ضَمَّنَ الْقَصَائِدِ الْمَفْرَدَاتِ الَّتِي لَا مَثِيلَ لَهَا<sup>(١)</sup> وَيَبْدُو أَنَّهُ الْمَصْدَرُ الْوَحِيدُ عَنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي لَا مَثِيلَ لَهَا حَقًّا خَاصَّةً فِي مَوْضُوعِهَا، وَجُزْأَتِهَا.

---

(١) «المثور والمنظوم - القصائد المفردات التي لا مثيل لها تأليف أبي الفضل طيفور، تحقيق محسن غياض وعنه نقل إبراهيم النجار في الجزء الرابع من كتابه: «شعراء عباسيون منسيون»

قَصِيدَةُ مَنْسِيَّةٍ نَادِرَةٌ تُعْبَرُ عَنْ غُرْبَةٍ مُرَكَّبَةٍ: غُرْبَةِ الرُّوحِ وَانْحِسَارِ  
التَّوَاصُلِ، وَغُرْبَةِ لُغَوِيَّةٍ ثَقَافِيَّةٍ عَمِيقَةٍ.

أَلَمْ تَرَ أَنِّي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ  
لَهُنَّ صُرُوفٌ بِالْفَتَى تَنْصَرِفُ  
تَبَدَّلْتُ بِالْمِضَرِّ السَّوَادِ فَلَمْ يَكُنْ  
بِهِ بَدَلًا أَغْتَاضُ عَنْهُ وَأُخْلَفُ  
يُرَاطِنُنِي أَنْبَاطُهُ مِنْ كَلَامِهَا  
بِمَا لَيْسَ مِنْهُ مَا أَبِينُ وَأَعْرِفُ  
وَلَا يَغْرِفُونَ الْقَوْلَ مِنِّي كَأَنَّنِي  
أُحَاوِلُ أَغْيَارَ السُّيُوفِ وَتَكْرِفُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا شِئْتُ أَنْ تَلْقَى امْرَأَةً نَاكَ أُمَّةٌ  
سَيَزْعُمُ جَهْلًا أَنَّ ذَلِكَ أَشْرَفُ  
وَمُغْتَصِمٌ لَمْ يَغْرِفِ اللَّهَ قَلْبُهُ  
وَيُظْهِرُ قَوْمٌ أَنَّهُ مُتَحَنِّنٌ  
تَعَرَّوْا مِنَ الْأَخْلَاقِ إِلَّا سَعَايَةَ  
فَكُلُّهُمْ فِيهَا يَخْبُ وَيُوجِفُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَصْدَقُهُمْ فِي الْقَوْلِ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ  
وَأَوْفَاهُمْ بِالْوَعْدِ مَنْ هُوَ مُخْلِفٌ

---

(١) أعيارُ السيوف: أي السيوف التي تكون بها نتوءات من وسطها، وتكرف: تشم ولا تستطيب فتبتعد.

(٢) السَّعَايَةُ: أن يسعى أحدهم للإيقاع بصاحبه، لدى أولي الأمر، وهي الوشاية لدى السلطة.

فَلَا قُدُسَ اللَّهُ الزَّمَانِ مَحَلُّهُ  
 وَلَا زَالَ عَنْهُ نَافِعُ الْغَيْثِ يُضَرَفُ  
 بِلَادٍ يُضَرُّ الْحَرُّ فِيهَا بِنَفْسِهِ  
 وَيُغْتَبُ فِيهَا الْمُسْلِمُ الْمُتَعَفِّفُ  
 فَمِنْهَا النُّجَاتُ النُّجَاتُ نَحْوُ بَلَدَةٍ  
 تُكْرَمُ فِيهَا مَا أَتَيْتَ وَتُشْحَفُ  
 بِهَا مِنْ مَوَالِيكَ الْأَقَارِبِ عُصْبَةٌ  
 تُحَدِّبُهَا قُرْبَى عَلَيْكَ وَتَغْطِفُ  
 إِذَا سَامَكَ الْمَرْءُ الْعَزِيزُ ظِلَامَةً  
 أَبَتْ ذَاكَ أَشْيَافٌ وَسُمُرٌ تُثَقِّفُ  
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا لَنَا مِنْ ظِلَامَةٍ  
 وَفِي اللَّهِ لِلْمَظْلُومِ كَافٍ وَمُنْصِيفُ  
 نَحْيِفْنَا الْعُمَالُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
 وَلَا يُسْتَطَاعُ الْعَامِلُ الْمُتَحَيِّفُ<sup>(١)</sup>  
 بِكُوفَتِنَا وَإِلَى عَلَيَّ صَلَوَاتِنَا  
 ظُلُومٌ غَشُومٌ ظَاهِرُ الْفِسْقِ مُثْرَفُ  
 وَقَاضٍ ضَعِيفُ الْجِلْمِ وَالْعَقْلِ جَاهِلُ  
 يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَيَجْنَفُ<sup>(٢)</sup>

(١) نَحْيِفْنَا: أحاطوا بنا من كل جانب، والعامل: الوالي، والمتحيف من الحيف: الجور والظلم.

(٢) الْجَنْفُ، الْمَيْلُ وَالْجَوْرُ وَالْعُدُولُ، ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةُ ١٨٢: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسَى جَنَفًا﴾.

يُغَيِّرُ عَلَى أَمْوَالِنَا وَضِيَاعِنَا  
فَيُسْعِدُهُ الْقَاضِي عَلَيْهَا وَيَكْنُفُ<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ لَفَّ الْوَالِي عَلَيْنَا شُهُودَهُ  
زَكَا عِنْدَ قَاضِينَا الشَّهِيدُ الْمُلَفَّفُ<sup>(٢)</sup>  
وَحُجَّتُنَا لَا تُقْبَلُ الدَّهْرَ عِنْدَهُ  
وَشَاهِدُنَا عَنْ عَمْدٍ عَيْنٍ مُوقَفُ  
فَرَرْنَا إِلَى الْقَاضِي مَخَافَةَ غَيْرِهِ  
فَكَانَ مِنَ الْقَاضِي الَّتِي هِيَ أَخْوَفُ  
وَأَضْحَى عَلَيْنَا عَامِلَانِ بِبَابِلِ  
أَخُو ذَنْبٍ لَا خَيْرَ فِيهِ وَأَقْلَفُ  
فَمَا فِيهِمْ إِلَّا مُوَارٍ خَزَائِنُهُ  
هِيَ السُّوَاءُ السُّوَاءُ إِنْ لَمْ يُكْشَفُوا<sup>(٣)</sup>  
يَسِيرَانِ فِينَا سِيرَةً مَا أَتَى بِهَا  
رَسُولٌ وَلَا وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ يُعْرِفُ  
وَلَمْ يَكْ فِي عَهْدِ الْأَمِيرِ إِلَيْهِمَا  
أَمِيرُكَ أَتَقَى لِلَّهِ وَأَنْصَفُ

(١) يَكْنُفُهُ، يَرْعَاهُ.

(٢) لَفَّفَ: لَفَّقَ وَزَوَّرَ: وَالْمُلَفَّفُ: الْمُزَوَّرُ، وَهِيَ مُجَازٌ مِنَ الرَّجُلِ الْمُلَفَّفِ: أَيِ الْمَتَدَثِّرِ.

(٣) الْخَزَائِنُ: مِنَ الْخِزْيِ، وَهِيَ اسْتِيحَاءُ الْإِنْسَانِ مِنْ شَيْءٍ أَوْ فَعَلَ قَبِيحَ أُنْأَاهُ، وَقَدْ تَصَرَّفْنَا بِقَافِيَةِ الْبَيْتِ، لِأَنَّهَا وَرَدَتْ «لَمْ يَكْشَفُ» بِالضَّمِّ، لَدَى كُلِّ مَنْ طَيَّفُورٍ وَالنَّجَارِ، وَلَيْسَ بِوَاوِ الْجَمَاعَةِ، وَهَذَا خَطَأٌ، كَمَا أَنَّ الْمَعْنَى لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا إِذَا أَخَذْنَا بِهَذَا التَّعْدِيلِ الْمَذْكُورِ.

وَلَا امْتَثَلَا فِينَا سِوَى «بُخْتَنْصَرٍ»  
 فَإِنَّهُمَا مِنْهُ لِأَعْتَى وَأَغْسَفُ<sup>(١)</sup>  
 فَظَاظَةً هَذَا نَشْتَكِيهَا وَغُنْفَهُ  
 وَمَا ذَاكَ مِنْ هَذَا أَفْظُ وَأَعْنَفُ  
 أَتَعْجَبُ مِنْ عَمْرٍو لَأَنْ كَانَ وَالْيَا  
 وَذَلِكَ مِنْ ابْنِ النَّبِيْطَةِ أَطْرَفُ  
 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا ارْتَدَى لُؤْمُ أَضْلِهِ  
 وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا بِهِ مُتْلَحَفُ<sup>(٢)</sup>  
 فَمَنْ مُبْلَغُ عَنِّي الْأَمِيرِ رِسَالَةً  
 كَأَحْسَنِ مَا يُبْنَى الْكَلَامُ وَيُرْصَفُ  
 بِأَنْ قَدْ أَتَى الْعِلْجَانُ مَا لَوْ عَلِمْتَهُ  
 لَنُكِّلَ بِالْعِلْجَيْنِ عِنْدَكَ مَوْقِفُ<sup>(٣)</sup>  
 لَقَدْ أَلَزَمَا أَهْلَ الضُّيَاعِ مَوْوَنَةً  
 تُحْبِطُ بِغِلَاتِ الضُّيَاعِ وَتُجْحِفُ  
 نَوَاصِبُ سُوءِ أَلْفِ السُّوءِ بَيْنَهَا  
 كَمَا ضَمَّ بِالشَّعْبِ الْإِنَاءُ الْمُؤَلَّفُ<sup>(٤)</sup>

(١) بختنصر: هو نبوخذ نصر الثاني أو بختنصر الكلداني أشهر ملوك بابل، اجتاحت منطقة بلاد الشام، ودمر أورشليم «القدس» وسبى عشرات الآلاف من سكان منطقة بلاد الشام إلى بابل، ووضع الشاعر هنا رمزاً للطغيان والعسف.

(٢) في الأصل: وردت «متحلف» ولعله خطأ في التصحيف، والأصح: متلحف، وما يزيد هذا التخريج، كلمة «ارتدى» في صدر البيت.

(٣) العليج: الرجل الغليظ الشديد. وقيل: هو الكافر من العجم.

(٤) الشعب: من الأضداد وتعني التقسيم والتجمع، وهي هنا بالمعنى الثاني: الجمع.

إِذَا نَزَلَا فِي قَرْيَةٍ غَابَ سَعْدُهُمَا  
 وَيَوْمُهُمَا بِأَدْيِ الْكَوَكِبِ أَكْشَفُ  
 وَدَّبَابَةٍ لَا أَحْسَنَ اللَّهُ حِفْظَهَا  
 تَظَلُّ عَلَى غَلَاتِنَا تَطَوُّفُ  
 إِذَا مَا اسْتَشَارَتْ دِرْهَمًا مِنْ مَكَانِهِ  
 تَضْمَنَتْ سَيْرَ عَلَى الْعَصْدِ أَجْوَفُ<sup>(١)</sup>  
 وَمُسْتَخْلِفٍ قَدْ عَاشَ مِنْ قَبْلِ حَقِّهِ  
 يُدَانُ عَلَى أَمْوَالِنَا وَيُسَلَفُ  
 إِذَا حَاوَلَ الْأَرْزَاقُ مِنْهَا رَأْيَنَهُ  
 يُضْرَبُ أَبْشَارَ الْعُلُوجِ وَيَكْشِفُ<sup>(٢)</sup>  
 وَيُغْضِبُ عَمْدًا نَفْسَهُ كَتَى نَخَافُهُ  
 فَتُخَنُّ حَوَالِيهِ نُفْدَى وَتُلَطِّفُ  
 وَلَنْ يَنْفَعِ الْإِلْطَافُ إِلَّا بِصُرَّةٍ  
 تُدَافِعُ عَنَّا بَعْضَ مَا نَتَخَلَّفُ  
 فَأَرْزَاقُ عَمَّالِ الرِّسَاتِيْقِ سُئِنُهُ  
 عَلَيْنَا شُهُورَ الْحَوْلِ مَا نَتَخَوُّ<sup>(٣)</sup>  
 فَإِنْ نَزَلُوا يَوْمًا بِنَا فَجِدَاؤُنَا  
 تُعَاجِلُ ذُبْحًا وَالدَّجَاجُ الْمُعَلَّفُ

(١) السَّيْرُ: قطعة من الجلد تستعمل قيلاً ووثاقاً.

(٢) أبشار: جمع بشرة، بمعنى: يضرب وجوههم.

(٣) الرساتيْق: النواحي والأرياف عند أطراف المدن.

وَيُخْرِجُ مِنَّا «الْأَشْتِيَامُونَ» سُخْرَةً  
وَيَغْرِفُ ظُلُمًا دِرْهَمِيهِ الْمُحَلْفُ<sup>(١)</sup>  
وَلِلْحَازِرِ الْخُرَاصِ فِي الْحَزْرِ عِفَّةٌ  
فَلَا تَهْنُ لِلْحَزَارِ مَا يَتَعَفَّفُ<sup>(٢)</sup>  
وَفِي فَتْحِ أَبْوَابِ الْبَيَادِرِ مُثْلَةٌ  
يُكَلِّفُهَا وَالظُّلُمُ مِمَّا يُكَلِّفُ<sup>(٣)</sup>  
وَمَا قَارَقْنَا فِي الدِّيَاسِ عِصَابَةٌ  
تَلْجُ عَلَيْنَا بِالْعَذَابِ وَتَغْنُفُ<sup>(٤)</sup>

(١) الاشتيامون: الملاحون، وهي مفرد «اشتيام» وهو رئيس الركاب على السفينة كما جاء في لسان العرب، ويبدو أن اللفظة أعجمية مولدة وقد وردت في شعر البحري على هذا النحو:

إِذَا زَمَجَرَ الثَّوِيَّ فَوْقَ عِلَاجِهِ      رَأَيْتُ خَطِيْبًا فِي ذَوَابَةِ مِنْبَرٍ  
يَنْغَضُونَ دُونَ الْإِشْتِيَامِ حُبُولُهُمْ      وَفَوْقَ السَّمَاءِ لِلْعَظِيمِ الْمُؤَمَّرِ  
إِذَا عَصَفَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ إِمْتَلَى لَهَا      جَنَاحَا عَقَابٍ فِي السَّمَاءِ مُهَجَّرِ

(٢) الحازر الخراص: الذي يخمن ما على النخل من رطب وتتمر، والخراص أيضاً: الكذاب.

(٣) المثلثة: العقوبة والتكيل، ومثلت به أمثل، ومنه قوله تعالى في سورة الرعد آية ٦: ﴿وَسَتَجِدُنَا أَوْ يَتَّبِعُكَ بِالسَّيْفَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُثُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَقْفَرٍ يَنْزِلُ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ وقرأ: «المثلثات» بضم الميم والمثلثات بتسكين التاء.

(٤) الدياس: فرز حبوب القمح والشعير عن السنابل المتكسرة من الدياس «الدوس» بالقدمين أو بواسطة الثيران لبيعها في السوق أو للاذخار في موسم حصاد الحبوب بأنواعها، ويسبق الدياس، الصرام: وهو قطع سنابل القمح وجمعها، وبعد ذلك يبدأ «الدياس».

وَلَمَّا أَتَى الْغُلَاتِ قَالَتْ قُلُوبُنَا  
كُلُّوْهُم مِّنَ الْغُلَاتِ مَا تَنْهَرُفُ<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ قَسَمُوا بِالشُّرَهَاتِ طَعَامَنَا  
وَكَيْلُهُمْ فِي الْقَلْبِ سَرْدٌ مُطْفَفُ<sup>(٢)</sup>  
وَعَادُوا عَلَيْنَا أَخْلَيْنَ نَقَائِصًا  
فَبِمَا مَن رَأَى كَرَمَاتِنَا كَيْفَ تُنْسَفُ  
وَقَدْ أَخَذَ الْكَيْيَالُ أَضْعَافَ أَجْرِهِ  
سِوَى بَهْمَةٍ كَانَتْ عَلَى الْأَرْضِ تَضَعُفُ<sup>(٣)</sup>  
فَلَمْ يَبْقَ لِلْحَرَاثِ إِلَّا خُثَالَةٌ  
يَظَلُّ لَدَيْهَا قَائِمًا يَتَلَهَفُ  
وَمُسْتَخْرِجٌ يُعْطَى مِنَ الْكَيْلِ شَرْطُهُ  
وَلَا فَإِنَّ الصُّكَّ فِي الْوَجْهِ يُقْذَفُ  
وَالْجِهْدِ الصَّرَافِ لِلْأَلْفِ خُمُسَةٌ  
وَسَبْعُونَ مِئًا وَافِيَاتٌ وَنَيْفُ<sup>(٤)</sup>  
وَكُتَّابٍ شَوْءٍ إِنْ سَأَلْتَ حِسَابَهُمْ  
وَلَمْ تُرِهِمْ أَوْسَاحَ نَقْدِكَ سَوْفُوا

(١) الغلات: جمع غلة، وهو الدُّخْل من كِراءِ دارٍ وأجرِ غلامٍ وفائدة أرض، وما تنهرف: لا تذهب بسرعة.

(٢) تُطْفِفُ: تُقْصِصُ يَخُونُ به صاحبه في كَيْلٍ أو وَزْنٍ، ومنه قوله تعالى في سورة المطففين: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطْفِفِينَ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿١﴾.

(٣) البهمة: أولاد الغنم، يستوي فيها المذكر والمؤنث.

(٤) الْجِهْدُ: بكسر الجيم، مُعْرَبٌ، هو مُتَقَدُّ الدَّرَاهِمِ الْعَارِفُ بِهَا.

وَوَالِي فَتُوحٍ يَجْتَبِينَا ضَرَائِبًا  
يُؤْتِبُ فِي إِطَائِهَا وَيُعْتَفُ<sup>(١)</sup>  
إِذَا نَحْنُ أَذِينَا إِلَيْهِ ضَرِيبَةً  
يَعُودُ لِأُخْرَى يَفْتَضِيهَا فَيُلْجِفُ  
فَمَا نَحْنُ لَابِنِ الْفَتْحِ إِلَّا حُمُولَةٌ  
نُحْمَلُ أَغْبَاءَ الصُّغَارِ وَتَوَكَّفُ<sup>(٢)</sup>  
وَوَالِي حَوَالِي يَجْتَبِينِي صَدَقَاتِنَا  
لَدَيْهِ مِنَ التَّكْرَاءِ مَا لَيْسَ يُعْرِفُ  
يُصَدِّقُ أَهْلَ الْكُفْرِ بِاللَّهِ سُنَّةً  
يُخَالِفُهُ فِيهَا رَسُولٌ وَمُضَحَفُ  
وَيُلْزِمُ مَنْ لَمْ يَكْفُرِ اللَّهَ جَزِيَّةً  
وَذَلِكَ ظُلْمٌ ظَاهِرٌ مُتَكَشِّفُ  
وَلَا عُذْرَ إِلَّا مِنْ أُمُورٍ مَعُودَةٍ  
عَلَى الْخَضَمِ فِي أَحْكَامِهِ يَتَعَجَّرُ  
تَرَاهُ عَلَى دُكَّانِهِ مُتَقَلِّبًا  
يُرَاصِدُ مَنْ يَسْعَى إِلَيْهِ وَيَعْرِفُ  
بَطِينُ إِذَا كَانَ التَّشَاخُنُ بَيْنَنَا  
وَفِي سِلْمِنَا طَاوِي الْخَوَاصِرِ أَهْيَفُ

(١) يُعْتَفُ: من التعنيف وهو اللوم والتوبيخ والتقريع.

(٢) الحُمُولَةُ: التي تطبق حمل الأثقال، وهي هنا تخص الجماعة التي تحمل الديات عن أبنائها، وتوكف: تأثم.

يُصِيبُ وَمَا يُدْرِي وَيُخْطِي وَمَا دَرَى  
كَمَا تَخْبِطُ الْعَشَوَاءُ وَاللَّيْلُ مُسْدِفٌ<sup>(١)</sup>  
إِذَا نَشَرَ الْأَغْلَامَ وَارْتَجَّ ظِلُّهُ  
وَوَظَلَّتْ بِهِ الْأَرْضُ الْعَرِيضَةُ تَرْجُفُ  
فَقَدْ شَقِيَتْ رُكْبَانُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ  
وَضُبَّ عَلَيْنَهُنَّ الْجُرَافُ الْمُجْرَفُ<sup>(٢)</sup>  
فَمَا سَلَّمَ اللَّهُ إِمْرَاءَ أَنْزَلُوا بِهِ  
وَلَا حَسْبُهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا ثُمَّ يَغْلِقُوا  
وَلَكِنْ لَهُمْ فِي عَرَصَةِ الدَّارِ جَوْلَةٌ  
يُثْقَلُ مِنْهَا خُرْجُهُ الْمُتَخَفُّفُ<sup>(٣)</sup>  
وَلَمْ يَبْقَ فِي الطُّسُوجِ بَعْدَ فَرَاغِهِ  
مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا يَابِسٌ مُتَكَفِّفُ<sup>(٤)</sup>  
يُنَادِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِغَاثَةً  
مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ  
فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ نَأَى  
فَبِالْقُرْبِ مِمَّا مَنْ يَحُوطُ وَيَكْنُفُ

(١) مُسْدِفٌ: مَظْلَمٌ.

(٢) الْجُرَافُ الْمُجْرَفُ: السَّيْلُ الْجَارِفُ، بِمَا يَجْرِفُهُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ طِينٍ وَحِجَارَةٍ وَسَوَاهِمَا.

(٣) عَرَصَةُ الدَّارِ: بَاحَتُهَا.

(٤) الطُّسُوجُ: مَعْرَبَةٌ وَهِيَ النَّاحِيَةُ الْوَاقِعَةُ عَلَى تَخُومِ الْمَدِينَةِ وَجَمْعُهَا: طَسَاسِيحٌ.

خَلِّفْتُهُ إِسْحَاقَ نَفْسِي فِدَاؤُهُ  
هُوَ الْمُشْتَكِي مِنْ بَعْدُ وَالْمُتَنَصِّفُ  
تَدَارَكَ هَذَاكَ اللَّهُ مِنَّا بِقِيَّةٍ  
تَكَادُ مِنَ الضَّرَاءِ وَالْجَهْدِ تُثْلَفُ  
وَلَا تُفْلِتُنْ عُمَالَنَا مِنْ عُقُوبَةٍ  
وَإِغْرَامِهِمْ مَا أَغْرَمُوا وَتَصَرَّفُوا  
فَقَدْ حَكَمَ الرَّحْمَنُ فِي نُظَرَائِهِمْ  
وَيَبِّئُهُ آيُ الْكِتَابِ الْمُصَرَّفُ  
بِأَنْ يُقْتَلُوا أَوْ يُضْلَبُوا أَوْ يُقَطَّعُوا  
خِلَافًا وَيُنْفَوْا فِي الْبِلَادِ لِيُعْرِفُوا  
وَذَلِكَ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَهَا  
عَذَابٌ عَظِيمٌ دَائِمٌ لَا يُخَفَّفُ

## شاعر مجهول

### يَتِيْمَةُ التَّوْحِيْدِي

هَذِهِ قَصِيْدَةٌ يَبْدُو أَنَّهَا تَعُوْذُ لِأَحَدِ ظُرَفَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، لَمْ يَزَوْهَا أَحَدٌ  
مَا عَدَا أَبَا حَيَّانَ التَّوْحِيْدِي، فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ «الْبَصَائِرِ وَالذَّخَائِرِ»  
فَقَدْ نَقَلَ فِي تَقْدِيْمِهِ لِلْقَصِيْدَةِ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَدَّلِ قَوْلَهُ: «هَذِهِ  
الْقَصِيْدَةُ مِمَّا ظَلِمَ صَاحِبُهَا وَأُخْمِلَ ذِكْرُهُ، وَصِيْرَهَا شَاذَةٌ لَا يُعْرَفُ قَائِلُهَا،  
وَلَوْلَا كَرَاهَتِي ظُلْمَ الْأَدَبِ لِأَدْعِيَّتِهَا» وَابْنُ الْمُعَدَّلِ هَذَا، شَاعِرٌ بَصْرِيٌّ  
وَكَانَ أَحَدَ أَكْثَرِ شُعَرَاءِ التَّهْنُوكِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْهَجْرِيِّ، وَيَبْدُو أَنَّ مِنْ  
أَسْبَابِ إغْفَالِهَا، إِنَّ الْمُتَعَزِّلَ بِهِ وَاحِدٌ مِنَ «عِلْيَةِ الْقَوْمِ» وَمَا يُلْفِتُ النَّظَرَ،  
فِي قَصِيْدَةِ شَاعِرِنَا الْمَجْهُولِ، أَنَّهُ يَقْلُبُ نَمَطِيَّةَ الْأَسْتِهْلَالِ فِي الشُّعْرِ  
الْعَرَبِيِّ رَأْسًا عَلَى عَقَبٍ، إِذْ يَخْتِمُ قَصِيْدَتَهُ بِبَيْتَيْنِ، أَوَّلُهُمَا مُصَرَّعٌ، يَذْكُرُ  
فِيهِمَا الدِّيَارَ، وَيَقِفُ عَلَى الْمَنَازِلِ وَالْأَجَبَةِ!

وَلَقَدْ قَضَيْتُ مِنَ الْمُدَامَةِ وَالصُّبَا وَطَرًا وَلَا عِبْتُ الْغَزَالَ الْأَكْحَلَا  
وَمَجَبْتُ فِي فِيهِ الْعُقَارَ وَمَجَّهَ فِي فِي ثُمَّ غَمَزْتُهُ فَتَدَلَّلَا<sup>(١)</sup>

(١) مَجَّ: يَقْصِدُ نَقْلَ الشَّرَابِ مِنْ فَمٍ لِفَمٍ، وَالْعُقَارُ: الْخَمْرُ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا عَاقَرَتْ=

وَأَتَيْتُ أُخْرَى فَأَنْشَنِي مُتَمَايِلًا      فَلَمَنْتُ خَدًّا وَارْتَشَفْتُ مُقْبِلًا  
وَأَبَاخَنِي مِنْ رَيْقِهِ بِلِسَانِهِ      عَذْبًا يُرَاحُ لَهُ الْفُؤَادُ مُعْسِلًا  
وَلَوَيْتُ مِغْصَمَهُ قَصْدًا بِوَجْهِهِ      خَجَلًا وَمَالَ وَسَاءَ نَبِي أَنْ يَخْجَلَا  
كَمْطُوقَيْنِ نَدَائِيَا فَنَقَابِلَا      حَتَّى إِذَا خَافَا الْأُنَيْسَ تَزَيَّلَا<sup>(١)</sup>  
فَعَفَفْتُ عَنْهُ وَقَدْ قَدَرْتُ وَلَمْ أَزَلْ      آتِي الْأَعْفُ مِنْ الْأُمُورِ الْأَجْمَلَا  
وَلَقَدْ أَرْوَجَ إِلَى النَّدَامَى لَاحِفًا      لِلْأَرْضِ هُدَابَ الْإِزَارِ مُنْمَرَجَلَا<sup>(٢)</sup>  
وَلَقَدْ أَنَازَعُهَا عَلَى عِلَابِهَا      مُتَرَاخِيًا سَبْطَ الْبَنَانِ مُرْقَلَا<sup>(٣)</sup>  
مُسْتَهْلِكًا لِلْمَالِ فِي لَذَاتِهِ      يَمْضِي لِلذَّيِّ وَيَغْصِي الْعُدْلَا  
وَإِذَا لَحَاهُ الْعَاذِلُونَ وَأَكْثَرُوا      وَلَّى وَقَالَ رُؤُوسُكُمْ وَالْجُنْدَلَا<sup>(٤)</sup>  
عَاطِيئُهُ مِمَّا تَعْتَقُ بِإِبْلِ      صَهْبَاءَ أَرْخَتْ عَظْمَهُ وَالْمَفْصَلَا  
جَرِيَالَةً تَحْلِي لِسَانَ كَانِمَا      ذَرَّتْ مَرَارَتُهَا عَلَيْهَا الْفُلْفَلَا<sup>(٥)</sup>  
طَبِخَتْ بِنَارِ الشُّغْرَيْنِ وَمَسَّهَا      بَرْدُ الشَّمَالِ قَبَاحٌ مِنْهَا مَا عَلَا<sup>(٦)</sup>  
وَمَضَتْ لَهَا حُجُجٌ فَمَدَّتْ دُونَهَا      سِرًّا بَنَتْهُ الْعَنَكَبُوتُ مَهْلَهَلَا  
حَتَّى إِذَا قُضَتْ تَضْوُوعُ رِنَحْهَا      وَكَانَ تُفَاحًا بِهَا وَسَفَرَجَلَا  
وَكَانَ نَكْهَتَهَا إِذَا هِيَ صَفْقَتْ      مِسْكٌ بِخَالِطٍ عَنَبَرًا وَقُرْنُقَلَا<sup>(٧)</sup>

= الْعَقْلُ، أَوْ عَاقَرَتِ الدُّنَى، أَيْ لَا زَمَتُهُ.

(١) تَزَايَلَا: تَفَرَّقَا.

(٢) الْهُدَابُ: الْمُسْتَرَسِلُ مِنَ الثِّيَابِ، وَالْمَرْجَلُ، ثَوْبٌ مُطْرَزٌ.

(٣) فَلَانُ سَبْطُ الْبَنَانِ: كَرِيمُ الْيَدِ جَوَادٌ، وَالْمُرْقَلُ: الطَّوِيلُ.

(٤) الْجُنْدَلُ: الصَّخْرَةُ.

(٥) الْجَرِيَالَةُ: الْخَمْرَةُ الصَّرْفُ، وَتَحْلِي تُلْسَعُ.

(٦) الشُّغْرَيَانِ: كَوَكْبَانِ كَانَ الْعَرَبُ يَعْدَانِ ظَهْرَهُمَا بَدَايَةَ لِلانْقِلَابِ الصَّيْفِيِّ.

(٧) صَفَّقَتْ: سَكَبَتْ مِنَ الدُّنَى إِلَى الْكَأْسِ.

طَابَتْ وَأَذَمْنَهَا فَأَزَحْتَ طَرْفَهُ      فَبِخَالٍ أَخُولَ وَهُوَ لَيْسَ بِأَخُولَا  
وَأَقُولُ: هَا خُذْهَا إِلَيْكَ وَعَاطِنِي      فَيَقُولُ: هَاتِ وَكَأَنَّ قَبْلُ يَقُولُ: لَا  
مَا زِلْتُ أَهْدِلُ بِالرُّجَا جَةِ مَيْلَهُ      حَتَّى تَقُومَ مَيْلَهُ فَتَعْدِلَا  
وَإِذَا الرُّجَا جَةُ عَقْدَتْ مِنْ صَغِيرِهِ      نَأَوَلْتُهُ أُخْرَى بِهَا فَتَحَلَّلَا  
دَاوَيْتُهُ مِنْهَا بِهَا فَشَفَيْتُهُ      وَشَحَذْتُ مِنْهُ بِالْأَخِيرِ الْأَوَّلَا  
وَجَرَتْ مَجَارِيهَا الشُّمُولُ فَسَهَّلْتُ      مِنْ طَبْعِهِ مَا خِفْتُ أَنْ لَا يَسْهَلَا  
فَكَأَنَّهُ وَالْتِجَاجُ فَوْقَ جَبِينِهِ      قَمَرُ بَرَاءَتِهِ الْعُيُونُ مُكَلَّلَا  
وَلَقَدْ شَرِبْتُ بِكَاسِهَا وَبِطَاسِهَا      وَعَدَلْتُ بِالْقَاقُوزَتَيْنِ الْقُنُقُلَا<sup>(١)</sup>  
وَشَفَيْتُ مِنْهَا وَاشْتَفَيْتُ وَلَمْ أَدْعِ      فِي لَذَّةٍ لِي بِغَدَا مُتَعَلَّلَا  
يَا صَاحِبِي قِفَا نَحْيِي الْمَنْزِلَا      وَتَلَبُّثَا لِي سَاعَةً لَا تَعْجَلَا  
إِنِّي تُذَكِّرُنِي الْمَنَازِلَ أَهْلَهَا      فَبِشَوْقِي الْأَعْوَجَ فَأَسَالَا

---

(١) القاقوزتان: مشى القاقوزة: وهي الطاسة التي تشرب بها الخمرة، فارسية معربة،  
والقنقل: دُنُ الخمر الكبير، وفي المعاجم: هو مكيال ضخمة أكبر من الصاع، يسع  
أكثر من ثلاثين مثلاً «حوالي الثلاثين كيلو غراماً»

## مَاني المَوْسوس

### يَتِيْمَةٌ مَجْنُونُ الدَّيْرِ

شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ، اسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ، وَ«المَوْسوس» لَقَبٌ حَمَلَهُ أَكْثَرُ مِنْ شَاعِرٍ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَلْطِ وَالْوَسَاوِسِ الَّتِي تَغْتَرِي الشَّخْصَ. يَقُولُ ابْنُ الْمُعْتَزِّ فِي طَبَقَاتِهِ عَنِ الْمَوْسوسِينَ: «هَكَذَا هَؤُلَاءِ الشُّعْرَاءُ الَّذِينَ خُولِطُوا بَعْدَ قَوْلِهِمُ الشُّعْرَ، يَوْجَدُ فِي كَلَامِهِمْ تَفَاوُتٌ كَثِيرٌ شَدِيدٌ، فَإِذَا جَاءُوا إِلَى الشُّعْرِ مَرُّوا عَلَى رُؤُسِهِمْ وَرَسْمِهِمُ الْمَغْهُودِ قَبْلَ أَنْ يُوسُسُوا» وَعَنْ شَاعِرٍ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، يَنْقُلُ عَنْ أَبِي شَجَرَةَ قَوْلَهُ: «كَانَ مَاني الْمَجْنُونُ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ»

قَدِمَ مَاني إِلَى بَغْدَادَ فِي أَيَّامِ الْمُتَوَكِّلِ، وَاسْتَقَرَّ فِيهَا حَتَّى وَفَاتِهِ، لَمْ يَكُتُبْ مِنَ الشُّعْرِ إِلَّا الْغَزَلَ، أَغْلَبَهُ نَتْفٌ وَمَقْطُوعَاتٌ لَا تَصِلُ إِلَى تَحْوِمِ الْقَصِيدَةِ.

وهذه القصيدة التي اشتهرت عبر القرون، بقيت أجزاء منها ضائعة وموزعة في متون المصادر، وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها تحقيقها من تلك المصادر ونشرها بهذا الحجم، فقد وردت في ديوانه

الَّذِي حَقَّقَهُ عَادِلُ الْعَامِلِ (وَزَارَةُ الثَّقَافَةِ - دِمَشْق ١٩٨٨) بِسِتَّةِ آيَاتٍ فَقَطْ .  
كَمَا لَمْ يُورِدَ إِبْرَاهِيمُ النَّجَّارُ فِي كِتَابِهِ «شُعَرَاءُ عَبَّاسِيُونَ مُنْسِيُونَ» آيَةً آيَاتٍ  
مِنْهَا فِي بَحْثِهِ عَنْ شِعْرِ «مَانِي» لَكِنَّهُ نَسَبَ بَعْضًا مِنْ آيَاتِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ ،  
فِي قِسْمٍ تَالٍ ، إِلَى مَجْهُولٍ . .

صَاحَ الْغُرَابُ بِوَشِكِ الْبَيْنِ فَارْتَحَلُوا  
وَقَرَّبُوا الْعَيْنَ قَبْلَ الصُّبْحِ وَاخْتَمَلُوا  
وَعَادَرُوا الْقَلْبَ مَا تَهْدَأُ لَوَاعِجُهُ  
كَأَنَّهُ بِضِرَامِ النَّارِ مُشْتَعِلُ  
وَفِي الْجَوَانِحِ نَارُ الْحُبِّ تَقْدِفُهَا  
أَيْدِي النَّوَى بِزِنَادِ الشُّوقِ إِذْ رَحَلُوا  
لَمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عَيْنَهُمْ  
وَرَحَلُوهَا وَسَارَتْ بِالدُّجَى الْإِبِلُ  
وَقَلْبَتْ مِنْ خِلَالِ السُّجْفِ نَاطِرَهَا<sup>(١)</sup>  
تَرْتَوِ إِلَى وَدَمْعِ الْعَيْنِ مِنْهُمْ  
وَوَدَعَتْ بَنَانَ عِقْدِهَا عَنَمُ  
نَادَيْتُ : لَا حَمَلَتْ رِجْلَاكَ يَا جَمَلُ<sup>(٢)</sup>

---

(١) السُّجْفُ : السُّرَّةُ الَّذِي يُوضَعُ عَلَى هَوْدَجِ النِّسَاءِ فِي الظُّعْنِ .

(٢) عَنَمُ : الْعَنَمُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ لَا بَنِي مَنْظُورٌ : شَجَرٌ لَيْكُنُ الْأَغْصَانُ لَطِيفُهَا يُشَبَّهُ بِهِ الْبَنَانُ  
كَأَنَّهُ بَنَانُ الْعَدَارَى ، وَاحِدَتُهَا عَنَمَةٌ ، وَهُوَ مِمَّا يُسْتَاكُ بِهِ ، وَقِيلَ : هُوَ ضَرْبٌ مِنَ  
الشَّجَرِ لَهُ نَوْرٌ أَحْمَرٌ تَشَبَّهُ بِهِ الْأَصَابِعُ الْمَخْضُوبَةُ .

وَيُلِي مِنَ الْبَيْنِ مَاذَا حَلُّ بِي وَبِهِمْ  
يَا نَارِخَ الدَّارِ حَلِّ الْبَيْنِ وَارْتَحَلُوا  
يَا حَادِي الْعَيْسِ عَرِّجْ كَنِي أَوْدَعَهُمْ  
يَا حَادِي الْعَيْسِ فِي تَرْحَالِكَ الْأَجَلُ  
إِنِّي عَلَى الْعَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَهُمْ  
يَا لَيْتَ شِعْرِي لِطُولِ الْبُعْدِ مَا فَعَلُوا؟

\*\*\*

لَمَّا عَلِمْتُ بِأَنَّ الْقَوْمَ قَدْ رَحَلُوا  
وَرَاهِبُ الدَّيْرِ بِالنَّاقُوسِ مُشْتَغِلُ  
شَبَكْتُ عَشْرِي عَلَى رَأْسِي وَقُلْتُ لَهُ:  
يَا رَاهِبَ الدَّيْرِ هَلْ مَرَّتْ بِكَ الْإِبِلُ؟  
فَحَنُّ لِي وَيَكْنَى، وَرَقُّ لِي وَرَثِي  
وَقَالَ لِي: يَا فَتْنَى ضَاقَتْ بِكَ الْحِيلُ  
إِنَّ الْخِيَامَ الَّتِي قَدْ جِثْتَ تُطْلِبُهُمْ  
بِالْأَمْسِ كَانُوا هُنَا وَالْآنَ قَدْ رَحَلُوا  
سَفِيًّا وَرَغِيًّا وَإِيمَانًا وَمَغْفِرَةً  
لِلْبَاكِيَاتِ عَلَيْنَا حِينَ نَزَّجَلُ  
يُبْكِي عَلَيْنَا وَلَا تُبْكِي عَلَى أَحَدٍ  
أَنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا أَمْ الْإِبِلُ؟

## خالد بن صفوان القناص

### قصيدة العروس

هذه القصيدة التي لا يُعرف لصاحبها سواها، حَقَّقَهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ  
الْمِمْنِيُّ الرَّاجُكُوتِيُّ فِي كِتَابِهِ «الطَّرَائِفُ الْأَدَبِيَّة» - طَبْعَةُ لَجْنَةِ التَّالِيفِ  
وَالترَّجَمَةِ وَالنَّشْرِ - الْقَاهِرَةِ ١٩٣٧، وَشَاعِرُهَا كَمَا يَقُولُ عَنْهُ (نِكْرَةٌ) لَمْ  
يَتَوَصَّلْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ بِرُغْمِ أَنَّهُ يُرَجَّحُ كَوْنُهُ مِنْ عَوَامِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ  
الْأَوَّلِ، لَكِنَّ قَصِيدَتَهُ اشْتَهَرَتْ بَيْنَ الْعَرَبِ بِاسْمِ «العروس» وَأُورِدَ ابْنُ  
الْمُعْتَزِّ فِي طَبَقَاتِهِ مَقَاطِعَ مِنْهَا بِوَصْفِهَا «سَائِرَةً بَيْنَ النَّاسِ» وَنَقَلَ عَنْ  
مِرْدَاسَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَوْلَهُ: أَنَّ مَنْ رَوَاهَا ثُمَّ لَمْ يَقُلِ الشُّعْرُ فَلَا تَرْجُ خَيْرَهُ.  
وَأَضَافَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: وَأَنَا أَقُولُ أَيْضًا: إِنَّ مَنْ رَوَى هَذِهِ ثُمَّ لَمْ يَقُلِ الشُّعْرَ  
فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَأَسْحَقَهُ.

عُوجًا عَلَى طَلَلٍ بِالْقُفْصِ خُلَانِي أَتَوَى قُطَّائِهِ أَرَاكُ هَيْقَانِ<sup>(١)</sup>  
كَالدَّيْبِلِيَّاتِ أَوْ إِجْلِ قَرَاهِبَةٍ مِنْ بَيْنِ أَخْمَرَ يَزْعَاهَا وَثِيرَانِ<sup>(٢)</sup>

(١) الْقُفْصُ: مَوْضِعٌ، وَالْأَرَالُ: ابْنُ النِّعَامِ وَالْهَيْقَانُ: النِّعَامُ.

(٢) الدَّيْبِلِيَّاتُ: بَقَرُ الْوَحْشِ، وَالْإِجْلُ: الْقَطِيعُ، وَالْقَرَاهِبَةُ: جَمْعُ قَرْهَبٍ، وَهُوَ الثَّوْرُ =

وَعَبِثَتْ آيَةُ رِيحٍ شَامِيَةٍ      وَوَبِلَ مُثْعَنَجِرٍ بِالسَّيْلِ مِرْنَانٍ<sup>(١)</sup>  
أَجْشُرُ مَغْلَنْطِقُ مَغْدُودِقُ عَدِيقُ      مَهْرُورِقُ وَدِيقُ مُسْحَنْفِرُ دَانٍ<sup>(٢)</sup>  
أَضْحَى خَلَاءً وَأَمْسَى أَهْلُهُ شَحَطُوا      نَوَاهِمُ حَيْثُ أُمُوا أَرْضَ نَجْرَانٍ  
أَرْضاً نَأَتْ وَنَأَى لِلْحَيِّ قَاطِنُهَا      إِذْ حَلَّ أَرْضاً بِهَا أَبْنَاءُ ذُبْيَانٍ  
يَا صَاحِبِي أَلِمَّا سَاعَةً وَقَفَا      فِي دَارِ أُخْتِ بَنِي ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانٍ  
وَمَا وَقُوفُ إِمْرِي هَاجَتْ صَبَابَتُهُ      سَفَعُ الْمَلَاظِمِ مِنْ تَلْوِيحِ نِيرَانٍ<sup>(٣)</sup>  
وَمُفْرَدٌ تَرَكْتُ أَيْدِي الْإِمَاءِ بِهِ      عَذَائِرَ الشُّغْرِ شُعْثاً غَيْرَ إِذْهَانٍ<sup>(٤)</sup>  
عَلَيْهِ مِثْلُ وَشَاحِ الْخُودِ قَدْ نَحَلَا      مِنْ طُولِ عَهْدِهِمْ بِالْحَيِّ رِبْقَانٍ<sup>(٥)</sup>  
فَالدَّارُ مُوجِشَةٌ مَا إِنْ بَعَرَصَتْهَا      إِلَّا النَّعَامُ وَإِلَّا بُقْعُ غَرَبَانٍ  
يَخْجُلُنَ فِي عَطَنِ قَدْ كُنْتُ أَهْدُهُ      قَبْلَ الْحُلُولِ بِهِ لِلْعَيْنِ مَلَاكِنَ<sup>(٦)</sup>  
كَأَنَّمَا هِيَ رَأْيِي الْعَيْنِ عَنْ قُذُفٍ      أَصَاغِرُ مِنْ بَنِي ثُوبٍ وَحُبْشَانٍ  
دَارَ لِبْجَارِيَّةٍ حَوْرَاءَ لَاهِيَّةٍ      كَالشَّمْسِ ضَاحِيَةٍ فِي حُسْنِ جِنَانٍ<sup>(٧)</sup>

= الْمُسْنُ الضُّخْمُ.

- (١) المثنعجر: شديد الهطول، والمرنان: صوت الرعد والسحاب.  
(٢) مغلنطق ومغلندق ومغدودق: الممتلئ، والكثير، والمختنق بالماء، وهو يريد به وصف السحاب، والزجل: صوت المطر، والمهرورق: المصبوب، والودق: المطر القريب من الأرض، والمسحفر: الشديد.  
(٣) سفع: سود، والملاطم: الخدود.  
(٤) المفرد: الوند، حيث ظل وحيداً تعلق عليه الأوشحة والأرسان والقلائد.  
(٥) الربقان: القلائد، يقول أن الوند قد هزل مما عليه من الأرسان والقلائد.  
(٦) العطن: المكان الذي تنوخ فيه الإبل للسقي ليلاً أما المكان الآخر، فيسمى المراح والماوى.  
(٧) ضاحية: كاشفة، والجنان: جمع جن.

بِالْوَصْلِ رَاضِيَةً عَهْدِي مُوَاتِيَةً  
 هِرْكَوْلَةً بَهْرٍ تَخْشَالُ فِي طَرَرٍ  
 عَلْتُ مَالِيَهَا مِنْهَا عَوَالِيهَا  
 كَخَلَاءٍ فِي دَعَجٍ عَيْنَاءٍ فِي بَرَجٍ  
 شَنْبَاءٍ فِي بَهَجٍ لَمْبَاءٍ فِي فَلَجٍ  
 غَبْدَاءٍ فِي رَبَلٍ لَفَاءٍ فِي رَتَلٍ  
 لَعْسَاءٍ فِي خَصَرٍ قَنَوَاءٍ فِي صِغَرٍ  
 جَيْدَاءٍ فِي حَوَرٍ وَسَنَى عَلَى خَفَرٍ  
 فِي جَيْدِهَا سُمَطٌ مِنْ تَحْتِهَا قُمَطٌ  
 غِلْمَانُهَا سُخُطٌ كَأَنَّهُمْ شُرَطٌ  
 عُلُقْتُهَا حَجَجًا مُزَوَّرَةً غَنْجًا  
 تُلْهِني مُسَامِرَهَا تُذَكِّني مَجَامِرَهَا  
 تَكْسُو مَجَاسِدَهَا مِنْهَا قَلَائِدَهَا  
 تُغْبِي عَتَائِدَهَا مَغْشُوقَ أَذْهَانٍ<sup>(٦)</sup>

(١) امرأة هِرْكَوْلَةُ: عظيمة الوركين كبيرة العجز، والبهر: المضينة، والطرر: حاشية الثوب والأشتر: تحدُّد ورقَّة في أطراف الأسنان.

(٢) المالكي: ثياب النوم. والعلالي: غرف النوم، والأكنان: الحُجُبُ والأستار.

(٣) الدعج: شدة سواد المقلة، والبرج: شدة بياض العين، والزجاج: الحواجب الدقيقة المنحوتة.

(٤) الشنباء: جميلة الأسنان: والبهج: الحسن والبهاء، واللمى: سواد يميل إلى الحمرة في لون الشفاء، والفلاج: مفرق بين الأسنان، والخدلاء: طويلة الساقين والساعدين.

(٥) لعساء: سمرة الشفة، وقنواء: جدَّة في قصبة الأنف.

(٦) المجاسد: الثياب المصبوغة بالزعفران، والعتائد: جَمْعُ عتيده وهي آنية العطر.

صَفَرُ ثَرَائِبِهَا رُجُ حَوَاجِبِهَا      سُودُ ذَوَائِبِهَا كَالْحَالِكِ الْقَانِي  
يَبْضُ مَحَاجِرُهَا فَعَمُ نَوَاشِرُهَا      يَشْفَى مُبَاشِرُهَا مِنْهَا بِعِضَيَانِ<sup>(١)</sup>  
زَهْرَاءُ خَرَجَبَةٍ رُودٍ مُبْطِنَةٍ      لِلْعَيْنِ مُعْجَبَةٌ تَنْفِي لَأَخْرَائِي<sup>(٢)</sup>  
خَوْدٌ مُهْدَبَةٌ فِي الْخِذْرِ، مُخْصِبَةٍ      عَنِّي مُحْجَبَةٌ عَمْدًا لِحِذْلَانِ  
رَاحَتٌ مُبْتَلَةٌ عَيْطَاءَ عَيْطَلَةٍ      كَالرَّيْمِ هَيْكَلَةٌ فِي زَهْرِ كَثَّانِ<sup>(٣)</sup>  
بِلَوْدٍ مَازِجَةٍ لِلْخِذْرِ وَالْجَةِ      لَيْسَتْ بِخَارِجَةٍ تَهْفُو بِبُهْتَانِ  
وَفَتِيَّةٌ نُجَبٍ مِنْ مَعْشَرِ غُلَبٍ      فِي مُنْتَهَى نَسَبٍ تَنْمِي لِقَسَّانِ  
أَكَابِرُ رُجَحٍ أَخَابِرُ سُمُحٍ      أَكَارِمُ نُجَحٍ مِنْ نَسْلِ قَحْطَانِ  
رَاحُوا عَلَى عَجَلٍ فِي مَوَكِبٍ حَفَلٍ      فِي غَيْرِ مَا عَلَلٍ فِي خَيْرِ إِبَّانِ  
فِي مَهْمَةٍ قَصَدُوا حَتَّى إِذَا وَرَدُوا      وَالنَّاسُ قَدْ هَجَدُوا وَاللَّيْلُ لَوْنَانِ<sup>(٤)</sup>  
فَمَرَّاهُ يَقُقُ فِي لَوْنِهِ بَلَقُ      قَدْ حَفَّهَ غَسَقُ فِي غَيْرِ تَبْيَانِ<sup>(٥)</sup>  
أَضْحُوا وَقَدْ قَطَعُوا بَيْنَآ لَهَا لَمَعُ      فِيهَا الطَّلَاءُ رُتَعُ أَطْلَاءِ ظِلْمَانِ<sup>(٦)</sup>  
حَلُّوا بِذِي طَرَبٍ يَسْمُو إِلَيَّ حَسَبٍ      فِي بَازِخٍ أَشْبِ أَخْتِ لِإِخْوَانِ  
فِي قَضَرِهَا غُرْفٌ مِنْ تَحْتِهَا سُقْفُ      مِنْ فَوْقِهَا شَرْفٌ زِينَتْ بِإِيْوَانِ  
قَدْ حَفَّهَ كُثْبٌ مِنْ حَوْلِهِ قُضْبُ      مَكْنُونَةٌ شَطْبٌ حُقَّتْ بِبُسْتَانِ<sup>(٧)</sup>

(١) الفعمُ: الممتلئ لحماً، والنواشر: الكتفان.

(٢) الخرجبة: الناعمة، والرود: الشابة.

(٣) العيطاء: الطويلة العنق، والهيكلة: الضخمة.

(٤) المهمة: الفلاة لا ماء بها ولا أنيس.

(٥) البقُ: شدة البياض، والبلقُ: اختلاط البياض بالسواد.

(٦) اللمعُ: التراب، والطلا: صغار الشياه.

(٧) الشطبُ: سعف النخل.

خِلَالَهُ نَهْرٌ وَيَبِينُهُ شَجَرٌ      يَزِينُهُ ثَمَرٌ مِنْ زَهْرٍ قِنْوَانٍ <sup>(١)</sup>  
 أَغْصَانُهَا نُضْرٌ أَوْ رَاقُهَا خُضْرٌ      أَنهَارُهَا غُرُورٌ مِنْ ضَرْبِ شَفَانٍ  
 زَهْرٌ مَنَابِتُهَا دَامَتْ غَضَارَتُهَا      بُحٌّ فَوَاحِشُهَا مِنْ طُولِ تَرْنَانٍ  
 صُرْتُ جَنَادِبُهَا عَاشَتْ عَنَاظِبُهَا      تَعْوِي ثَعَالِبُهَا مِنْ حَوْلِ عِينِدَانٍ <sup>(٢)</sup>  
 تَلْهُو بِدُرَاجِهَا عَنْ صَوْتِ صَنَاجِهَا      أَوْ طَيْبٍ بِهَرَاكِهَا أَوْ نَوْحِ وَرْشَانٍ  
 أَوْ صَوْتِ قَمَرِيَّةٍ تَدْعُو بِصُفْرِيَّةٍ      تَبْكِي لِكُدْرِيَّةٍ مِنْ فَوْقِ أَغْصَانٍ <sup>(٣)</sup>  
 مَكَاوُهَا غَرْدٌ فِي رَوْضَةٍ فَرْدٌ      مِنْ طَيْبِهَا صَرْدٌ حَلَاةٌ طَوْقَانٍ <sup>(٤)</sup>  
 عُصْفُورُهَا طَرِبَ فِي لَوْنِهِ خَطْبٌ      فِي صَوْتِهِ صَخَبٌ يَبْكِي لَصُرْدَانٍ <sup>(٥)</sup>  
 أَوْ بَاشِقٌ كَلِبٌ لِلطَّيْرِ مُنْتَهَبٌ      قَدْ عَاقَهُ تَعَبٌ مِنْ جَمْعِ غَرْبَانٍ  
 تُفَاحُهَا هَدِلٌ أَتْرُجُهَا خَضِلٌ      عُنُقُودُهَا رَجُلٌ حُفَّتْ بِرُمَانٍ <sup>(٦)</sup>  
 بَيْضَاءُ فِي حُمْرَةٍ حَمْرَاءُ فِي صُفْرَةٍ      صَفْرَاءُ فِي خُضْرَةٍ مِنْ بَيْنِ أَلْوَانٍ  
 جَاءُوا عَلَى مَهَلٍ مِنْ غَيْرِ مَا عِلَلٍ      يَمْشُونَ فِي حُلَلٍ مِنْ وَشْيٍ صَنْعَانٍ  
 شَمٌّ مَرَاغِفُهُمْ جُمٌّ مَلَاخِفُهُمْ      قَامَتْ وَصَائِفُهُمْ أَمْثَالُ غِلْمَانٍ  
 دُرٌّ مَرَاغِفُهَا بُقْعٌ مَنَاطِقُهَا      قُرُورَاطِقُهَا زِينَتْ بِتَبِيجَانٍ <sup>(٧)</sup>

(١) القنوان: عذوق النخلة.

(٢) العناظب: الجراد.

(٣) الكدريّة: القطة.

(٤) المَكَا: طائر له صَفِيرٌ يُشَبِّهُ التَّرْنِيمَ، والصُّرْدُ: طائرٌ يُشَبِّهُ الِهْدُودَ.

(٥) الخطب: البياض الذي فيه حمرة، والصُّرْدَان: جَمْعُ صُرْدٍ وَهُوَ الطَّائِرُ كَمَا تَقَدَّمَ  
شرحهُ.

(٦) الأترج: فاكهة من الحمضيات.

(٧) الدُّرْم: المكسوة باللحم، والقراطق: الثياب أو القمصان.

بَسْمَيْنِ فِي لَطْفِ يَرْهَدُنِ مِنْ هُنْفٍ      كَالرَّاحِ فِي صُحْبِ أَشْبَاهِ غِزْلَانِ<sup>(١)</sup>  
صَهْبَاءُ صَافِيَةٍ صَفْرَاءُ فَاقِعَةٍ      لِلْمَرْءِ رَافِعَةٍ مِنْ عَصْرِ دِهْقَانِ  
تَشْفِي بِشُرْبَتِهَا مِنْ طِيبِ فَرْحَتِهَا      تَحْكِي بِنَكْهَتِهَا تَفَاحَ لُبْنَانِ  
وَالْمِسْكُ إِنْ مَزَجْتَ وَالسُّكَّ إِنْ فُتِّقْتَ      وَالْوَيْلَ إِنْ بُزِلْتَ صِرْفًا لِرَشْفَانِ<sup>(٢)</sup>  
فِي الدُّنْ قَدْ عَتَقْتَ حَوْلَيْنِ فَاْمَتَّعْتَ      تَحْكِي إِذَا صَفِقْتَ إِكْلِيلَ مَرْجَانِ  
تَجُولُ فِي طَوْقِهَا كَالدَّرُّ مِنْ فَوْقِهَا      تَكْفِيكَ مِنْ ذَوْقِهَا مِنْ غَيْرِ إِذْمَانِ  
يَعْمَلْنَ مَعْمَلَةَ زَهْرًا مُفَدَّمَةً      صَفْرًا مُقْوَمَةً مِنْ تَبْرِ عَقْبَانِ<sup>(٣)</sup>  
كَأَنَّهَا بُقْعُ مِنْ أَطْيَرٍ، وَقَعُ      لَاحَتْ لَهَا سَفْعُ أَضْعَتْ بِآذَانِ  
فِي رِيَشِهَا طَرَقَ أَلْوَانُهَا زُرْقُ      أَذْنَابُهَا بُلُقُ مِنْ طَيْرِ جُلْجَانِ  
خُمَرُ قَوَائِمِهَا صَفْرُ خِرَاطِمِهَا      بِيضُ خَلَاقِمِهَا رِيْعَتْ بِبَيْرَانِ  
أَقَعَتْ عَلَى فَرْقٍ فِي صَخَصَحِ أَيْقٍ      يَنْظُرْنَ فِي حَدَقٍ مِنْ خَوْفِ عَقْبَانِ<sup>(٤)</sup>  
وَعِنْدَهُمْ قَيْنَةٌ فِي شَذْوِهَا عُتَّةُ      لَيْسَتْ بِهَا ضِنَّةُ مِنْ قَزَعِ حَنَانِ<sup>(٥)</sup>  
نَفْجُ رَوَادِفِهَا عَذْبُ مَرَاشِفِهَا      دُكْنُ مَطَارِفِهَا مِنْ خَزْ نَجْرَانِ<sup>(٦)</sup>  
يُلْهِيكُ مَطَرُهَا يُسْلِيكَ مَضْرِبُهَا      يُنْسِيكَ مَلْعَبُهَا أَقْوَالُ فِثْيَانِ

(١) الصَّحْفُ: الكؤوس.

(٢) السُّكُّ: نوع من أنواع الطيب.

(٣) مفدَّمة: الأباريق حين يوضع على أفواهاها الحرير ليصفو ما فيها.

(٤) أَقَعَتْ: جَلَسَتْ على أطرافها، والفَرْقُ: الخوف، والصَّخَصَحُ: المستوي من الأرض، والأَيْقُ: الحسن، يصفُ الطَّيْرَ بأنها تنظر إلى العقبان فتقعي وتستتر خوفاً منها.

(٥) الضُّنَّةُ: البخل، والعُتَّةُ: التَّزَجُّمُ في الصُّوتِ، والحَنَانُ: العودُ الشَّجِيّ في عزفه.

(٦) النَفْجُ: الممثلات.

نَخَكِنِي بِتَهْجَاسِهَا تَقْطِيعُ أَنْفَاسِهَا  
فِي صَوْتِهَا صَلَقَ فِي عُوْدِهَا نَزَقُ  
خَتْنٍ إِذَا تَمَلُّوا مِنْ طُولِ مَا نَهَلُوا  
قَتَلْنِي وَمَا قَتَلُوا جَهْلَنِي وَمَا جَهَلُوا  
مَاتُوا وَمَا قَبِرُوا عَاشُوا وَمَا نَشِرُوا  
دَارَتْ قَوَائِرُهُمْ لَأَنْتَ مَغَامِرُهُمْ  
حَثَّتْ مَزَامِيرُهُمْ طَابَتْ مَسَامِيرُهُمْ  
قَالُوا لَدُنِّي طَرَبٌ بِالْقَوْلِ لَا كَذِبُ  
بَاتَتْ عَلَى رَأْسِهَا إِكْلِيلُ مُرْجَانٍ  
أَوْتَارَهَا نَطَقَ تَلْفِظُهُ كَفَّانٍ<sup>(١)</sup>  
قَالُوا وَمَا عَقَلُوا تِمْنَالٍ وَسَنَانٍ  
سَكَرَنِي وَمَا انْتَقَلُوا مِنْ حُكْمِ لُقْمَانٍ  
قَامُوا وَمَا حُشِرُوا مِنْ تَحْتِ رِنَحَانٍ  
طَابَتْ غَرَائِرُهُمْ مِنْ خَيْرِ أَخْدَانٍ<sup>(٢)</sup>  
عَالَتْ عَنَاصِرُهُمْ مِنْ قَضَرِ غُمْدَانٍ  
الْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا كُلَّ أَرْمَانٍ

(١) الصلَقُ: شدة الصوت.

(٢) القوائِرُ: الكزوس، والمغامز: العيوب، والطبائع الغليظة.

## مذكر الشيباني

### المزدوجة في العشق المثلي

شاعرٌ من أغرابِ باديةِ البصرة، دخلَ بغدادَ صغيراً ونشأَ فيها، وكانَ له مجلسٌ في بغدادَ، يحضرُهُ الفتيَّةُ فقط، فإن رأى مُذكرَ شيخاً أو رجلاً بلحية، طردهُ مِنَ المجلسِ بلباقةٍ، وكانَ في الجانبِ الشرقيِّ دَيْرُ مَسِيحِيٍّ، يتردَّدُ عليه، فعشقَ غلاماً اسمه عمرو بنُ يوحنا واستدرجَهُ لِحُضورِ مجلسِهِ، وكتبَ له في يومِ رسالةً، عَلِمَ بِهَا مَنْ كانوا يحضرونَ المجلسَ فاستَحيا عمرو وانقطعَ عَنِ الحَلَقَةِ وعادَ إِلَى الدَّيرِ، أمَّا مُذكرُ فكانَ يلزمُ الدَّيرَ ليحظنَ بِرُؤيةِ عمرو، وزادَ بِهِ الوِسْوَاسُ حتَّى اختلطَ عقلُهُ ولزمَ الفراشَ مُدَّةَ طويَلةٍ، ولَمَّا زارهُ عمرو بِالْحَاحِ مِنْ أَصْدِقَاءِ مُذكرِ، أمسَكَ بِيدِهِ، فَشَهَقَ مُذكرُ شَهَقَةً وَاحِدَةً ثُمَّ مَاتَ، كَمَا جَاءَ فِي «مُعْجَمِ الْأَدْبَاءِ لِیَاقُوتِ الْحَمَوِيِّ» وَ«تَرْزِينِ الْأَسْوَاقِ فِي أَخْبَارِ الْعُشَّاقِ لِلْأَنْطَاكِيِّ» وَ«مَصَارِعِ الْعُشَّاقِ لِلْسَّرَاجِ».

قصيدةٌ تُقدِّمُ لَنَا صُورَةَ مُحِبٍّ لَاهُوتِيٍّ حَيْثُ يَظْهَرُ أَثَرُ تِلْكَ الثَّقَافَةِ فِي قَصِيدَتِهِ الْفَرِيدَةِ الْعَجِيبَةِ هَلِهِ. وَعِشْقِي مِثْلِي يَصِلُ إِلَى حَدِّ التَّصَوُّفِ، وَهُوَ

مَنَا عَلَى غَيْرِ مَا عَهْدَنَاهُ، عَنْ التَّغْزُلِ بِالْمَذْكَرِ فِي الشُّعْرِ الْعَرَبِيِّ، مِنْ تَهْنُكٍ  
مَوْصُوفٍ.

وَقَدْ ظَنَّ الْبَعْضُ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِصَفِيِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ الَّذِي خَمَسَهَا فِي  
الْقَرْنِ الثَّامِنِ أَيْ بَعْدَ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ قُرُونٍ مِنْ كِتَابَتِهَا.

بِشِّ عَاشِقٍ نَاءٍ هَوَاهُ دَانٍ	نَاطِقٍ دَمَعٍ صَامِتِ اللِّسَانِ
مُوتِقٍ قَلْبٍ مُطْلَقِ الْجَنَمَانِ	مُعَذِّبٍ بِالصَّدِّ وَالْهَجْرَانِ
بِشِّ غَيْرِ ذَنْبٍ كَسَبَتْ يَدَاهُ	غَيْرِ هَوَى نَمَتْ بِهِ عَيْنَاهُ
شَوْقاً إِلَى رُؤْيَا مَنْ أَشَقَاهُ	كَأَنَّمَا عَاقَاهُ مَنْ أَضْنَاهُ
بَاوِنَحَهُ مِنْ عَاشِقٍ مَا يَلْقَى	مِنْ أَدْمَعٍ مُنْهَلَةٍ مَا تَرَقَا
نَاطِقَةٍ وَمَا أَحَارَتْ نُطْقَا	تُخْبِرُ عَنْ حُبِّ لَهُ اسْتَرْقَا
لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ طَرْفٍ يَبْكِي	بِأَدْمَعٍ مِثْلِ نِظَامِ السُّلُوكِ
نُطْفِئِهِ نِيرَانُ الْهَوَى وَتَذْكِي	كَأَنَّمَا قَطَرَ السَّمَاءِ تَحْكِي
إِلَى غَزَالٍ مِنْ بَنِي النُّصَارَى	عِدَارُ خَدْيِهِ سَبَى الْعَدَارَى
وَعَادَرَ الْأَسَدَ بِهِ حَيَارَى	فِي رَيْقَةِ الْحُبِّ لَهُ أَسَارَى
رَثَمَ بِدَارِ الرُّومِ رَامَ قَتْلِي	بِمُقْلَةٍ كَخَلَاءٍ، لَا عَنْ كُحْلٍ <sup>(١)</sup>
وَطَرَّةٍ بِهَا اسْتَطَارَ عَقْلِي	وَحُسْنِ وَجْهِهِ وَقَبِيحِ فِعْلِي
رَثَمَ بِهِ أَيْ هَزَبَ لَمْ يُصَدِّ	يَقْتُلُ بِاللَّحْظِ وَلَا يَخْشَى الْقَوْدَ <sup>(٢)</sup>

(١) الرثم: الظبية البيضاء الصافية البيضاء.

(٢) الهزير: الأسد، والقود: القصاص.

مَنْ يَقُولُ: مَا قَالَتِ الْأَلْحَاطُ قَدْ... كَأَنَّهُ نَاسُوتُهُ حِينَ اتَّخَذَ  
مَا أَبْصَرَ النَّاسَ جَمِيعاً بَذْراً وَلَا رَأَوْا شَمْساً وَغُضْناً نَضْراً  
أَحْسَنَ مِنْ «عَمْرٍو» قَدْ بَيَّنَّتُ عَمْرًا ظَنَنْتُ بِعَيْنَيْهِ سَقَايَ الْخَمْرَا  
مَا أَنَا ذَا بِقَلْبِهِ مَقْدُودٌ وَالْدَّمْعُ فِي خَدِّي لَهُ أَخْذُودُ  
مَا ضَرُّ مَنْ فَقَدِي بِهِ مَوْجُودُ لَوْلَمْ يَقْبَحْ فِعْلُهُ الصُّدُودُ  
إِنْ كَانَ دِينِي عِنْدَهُ الْإِسْلَامُ فَقَدْ سَعَتْ فِي نَقْضِهِ الْأَلْهَامُ  
وَاخْتَلَّتِ الصَّلَاةُ وَالصَّيَّامُ وَجَازَ فِي الدِّينِ لَهُ الْحَرَامُ  
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ صَليْبَا أَكُونُ مِنْهُ أَبَداً قَرِيبَا  
أَبْصِرُ حُسْناً وَأَشْمُ طِيبَا لَا وَاشِياً أَخْشَى وَلَا رَقِيبَا  
بَلْ لَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ قُرْبَانَا أَلْتُمُ مِنْهُ الثَّغَرَ وَالْبَنَانَا  
أَوْ جَائِلِينَ كُنْتُ أَوْ مَطْرَانَا كَيْمَا يَرَى الطَّاعَةَ لِي إِيْمَانَا<sup>(١)</sup>  
بَلْ لَيْتَنِي كُنْتُ «الْعَمْرٍو» مُضْحَفاً يَفْقِرُ أَمْنِي كُلَّ يَوْمٍ أَخْرُفا  
أَوْ قَلَمًا يَكْتُبُ بِي مَا أَلْفَا مِنْ أَدَبٍ مُسْتَخْسَنِ قَدْ صُنِّفَا  
بَلْ لَيْتَنِي كُنْتُ «الْعَمْرٍو» عُوْدَةً أَوْ حُلَّةً يَلْبَسُهَا مَقْدُودَةً<sup>(٢)</sup>  
أَوْ بُرْكَةً بِأَسْمِهِ مَأْخُودَةً أَوْ بَيْعَةً فِي دَارِهِ مَنْبُودَةً  
بَلْ لَيْتَنِي كُنْتُ لَهُ زُنَّارَا يُدِيرُنِي فِي الْخَضِرِ كَيْفَ دَارَا

(١) الجائليق: لفظ يوناني معناه «العمومي» ويقصد به الرئيس الديني الأعلى عند الكلدان النساطرة في أيام الملوك الساسانيين ويقابله حالياً «البطريرك»

(٢) العُوْدَةُ: التيممة، ومقدودة: مُزينة بالريش.

خَتَى إِذَا اللَّيْلُ طَوَى النَّهَارَا      صِرْتُ لَهُ حَبْنِيذٍ إِذَا رَا  
قَدْ، وَالَّذِي يُبْقِيهِ لِي، أَفْنَانِي      وَابْتَرَّ عَقْلِي وَالضَّنَى كَسَانِي  
ظَنِّي عَلَى الْبِعَادِ وَالتَّدَانِي      حَلَّ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنْ جِثْمَانِي  
وَكَبِيدِي مِنْ خَدِّهِ الْمُضْرَجِ      وَكَبِيدِي مِنْ ثَغْرِهِ الْمُفْلَجِ<sup>(١)</sup>  
لَا شَيْءَ مِثْلُ الطَّرَفِ مِنْهُ الْأَدْعَجِ      أَذْهَبَ لِلنُّسْكِ وَلِلتَّحْرِجِ<sup>(٢)</sup>  
إِلَيْكَ أَشْكُو يَا غَزَالَ الْإِنْسِ      مَا بِي مِنَ الْوَحْشَةِ بَعْدَ الْإِنْسِ  
يَا مَنْ هَلَالِي وَجْهَهُ وَشَمْسِي      لَا تُقْتَلِ النَّفْسُ بِغَيْرِ نَفْسِ  
جَذَلِي كَمَا جَذَتْ بِحُسْنِ الْوَدِّ      وَازْعَ كَمَا أَرْعَى قَدِيمَ الْعَهْدِ  
وَاضِدُّ كَصَدِّي عَنْ طَوِيلِ الصَّدِّ      فَلَيْسَ وَجَدَ بِكَ مِثْلَ وَجْدِي  
مَا أَنَا فِي بَخْرِ الْهَوَى غَرِيقُ      سَكْرَانُ مِنْ حُبِّكَ لَا أَفِيقُ  
مُخْتَرِقُ مَا مَسَّنِي حَرِيقُ      يَرْتِي لِي الْعَدُوَّ وَالصَّدِيقُ  
فَلَيْتَ شَغْرِي فَيْكَ هَلْ تَرْتِي لِي      مِنْ سَقَمٍ بِي وَضَنَى طَوِيلِ؟  
أَمْ هَلْ إِلَى وَضْلِكَ مِنْ سَبِيلِ      لِعَاشِقٍ ذِي جَسَدٍ نَجِيلِ؟  
فِي كُلِّ عِضْوٍ مِنْهُ سَقَمٌ وَالْمِ      وَمُقْلَةٌ تَبْكِي بِدَمْعٍ وَيَدَمِ  
شَوْقاً إِلَى بَذْرِ وَشَمْسٍ وَصَنَمِ      مِنْهُ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى إِذَا ظَلَمِ!  
أَقُولُ إِذْ قَامَ بِقَلْبِي وَقَعْدُ      يَا «عَمْرُو» يَا عَامِرَ قَلْبِي بِالْكَمَدِ  
أَقْسِمُ بِاللَّهِ بِمَيْنِ الْمُجْتَهِدِ      إِنَّ أَمْرًا أَسْعَدَتْهُ لَقَدْ سَعِدِ

(١) مفلج الأسنان: منفرج الأسنان، في أسنانه فرق.

(٢) التحرج: شدة الورع.

يَا «عَمْرُو» نَاشِدُكَ بِالْمَسِيحِ      أَلَا اسْتَمَعْتَ الْقَوْلَ مِنْ قَصِيحِ  
يُخْبِرُ عَنْ قَلْبٍ لَهُ جَرِيحِ      بَاخٍ بِمَا يَلْقَى مِنَ التَّبْرِيحِ  
يَا «عَمْرُو» بِالْحَقِّ مِنَ اللَّاهُوتِ      وَالرُّوحِ رُوحِ الْقُدُسِ وَالنَّاسُوتِ  
ذَلِكَ الَّذِي فِي مَهْدِهِ الْمَنْحُوتِ      حَوْضٍ بِالنُّطْقِ مِنَ السُّكُوتِ  
بِحَقِّ نَاسُوتٍ بِبَطْنِ مَزْنِمْ      حَلَّ مَحَلِّ الرِّيقِ مِنْهَا فِي الْقَمِ  
ثُمَّ اسْتَحَالَ فِي قُنُومِ الْأَقْدَمِ      فَكَلَّمَ النَّاسَ وَلَمَّا يُفْطَمِ<sup>(١)</sup>  
بِحَقِّ مَنْ بَعْدَ الْمَمَاتِ قُمْصَا      ثَوْبًا عَلَى مِقْدَارِهِ مَا قُمْصَا  
وَكَانَ لِلَّهِ تَقِيًّا مُخْلِصَا      يَشْفِي وَيُبْرِئِ أَكْمَهَا وَأَبْرَصَا<sup>(٢)</sup>  
بِحَقِّ مُجِيبِ صُورَةِ الطُّيُورِ      وَبَاعِثِ الْمَوْتَى مِنَ الْقُبُورِ  
وَمَنْ إِلَيْهِ مَرْجِعُ الْأُمُورِ      يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبُحُورِ  
بِحَقِّ مَا فِي شَايِخِ الصَّوَامِعِ      مِنْ سَاجِدِ لِرَبِّهِ وَدَاكِعِ  
يَبْكِي إِذَا مَا نَامَ كُلُّ هَاجِعِ      خَوْفًا إِلَى اللَّهِ بِدَمْعِ هَامِعِ  
بِحَقِّ قَوْمٍ خَلَقُوا الرُّؤُوسَا      وَعَالَجُوا طَوْلَ الْحَيَاةِ بُؤْسَا  
وَقَرَعُوا فِي الْبَيْعَةِ النَّاقُوسَا      مُشْمَعِلِينَ يَعْبُدُونَ عَيْسَى<sup>(٣)</sup>

(١) الأَقْنُومُ: الأصل والجوهر والشخص، والأقانيم الثلاثة عند المسيحيين: هي الأب والإبن والروح القدس، وعند الاسكندرانيين هي النفس الكلية والعقل والواحد جميل صليبا - المعجم الفلسفي، وفي «كشاف اصطلاحات الفنون للنهائي»: الأقانيم عند النصارى ثلاث صفات من صفات الله وهي: العلم والوجود والحياة، وعبروا عن الوجود بالأب وعن الحياة بالروح القدس وعن العلم بالكلمة، وقالوا أقنوم الكلمة اتحدت بعيسى عليه السلام.

(٢) الأَكْمَه: الشخص الذي يولد أعمى.

(٣) مُشْمَعِلِينَ: يَرْتَلُونَ صلواتهم.

بِحَقِّ «مَارْت» مَرْيَمَ وَبُولِسَ      بِحَقِّ شَمْعُونِ الصِّفَا وَبَطْرُسَ <sup>(١)</sup>  
بِحَقِّ «دَانِيل» بِحَقِّ يُونُسَ      بِحَقِّ «حَزَقِيَل» وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ  
وَنِيْنَوَى إِذْ قَامَ يَدْعُو رُبَّهُ      مُطَهَّرًا مِنْ كُلِّ سُوءٍ قَلْبَهُ  
وَمُسْتَقْبِلًا قَالَا ذَنْبَهُ      وَنَالَ مِنْ أَبِيهِ مَا أَحَبَّهُ  
بِحَقِّ مَا فِي قُلَّةِ الْمَمِيرُونِ      مِنْ نَافِعِ الْأَدْوَاءِ لِلْمَجْنُونِ <sup>(٢)</sup>  
بِحَقِّ مَا يُؤَثَّرُ عَنْ «شَمْعُون»      مِنْ بَرَكَاتِ الْخُوصِ وَالزَّيْتُونِ  
بِحَقِّ أَغْيَادِ الصَّلِيبِ الزُّهْرِ      وَعِيدِ «شَمْعُون» وَعِيدِ الْفَطْرِ  
وَبِالشَّعَانِينِ الْعَظِيمِ الْقَدْرِ      وَعِيدِ «مَرْمَارِي» الرُّفَيْعِ الذَّكْرِ  
وَعِيدِ «أَشْعِيَا» وَبِالْهَيَاكِيلِ      وَ«الدُّخْنِ» اللَّاتِي بِكَفِّ الْحَامِلِ <sup>(٣)</sup>  
يُشْفَى بِهَا مِنْ خَبَلٍ كُلِّ خَابِلٍ      وَمِنْ دَخِيلِ السُّقْمِ فِي الْمَفَاصِلِ  
بِحَقِّ سَبْعِينَ مِنَ الْعِبَادِ      قَامُوا بِإِدْنِ اللَّهِ فِي الْبِلَادِ  
وَأَرْشَدُوا النَّاسَ إِلَى الرُّشَادِ      حَتَّى إِهْتَدَى مَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَادٍ  
بِحَقِّ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ مِنَ الْأُمَمِ      سَارُوا إِلَى الْأَقْطَارِ يَتَلَوْنَ الْحِكْمَ  
حَتَّى إِذَا صُبِحَ الدُّجَى جُلَى الظُّلَمِ      صَارُوا إِلَى اللَّهِ وَقَارُوا بِالنُّعَمِ

(١) مارت مريم: السيدة مريم باللغة السريانية.

(٢) المَمِيرُون: كلمة يونانية تعني «الزيت أو العطر». وفي الكهنوتية المسيحية، هو زيت

ممزوج بمواد عطرية شتى، يندرج في طقوس المعمودية وبعد من أسرار الكنيسة

السبعة، حيث يتم به «سر التثبيت» والقلّة هنا، كناية عن قلّة «الميرون» في الطقس،

حيث بالكاد تمسح به القدم بعد التعميد مباشرة.

(٣) الدخن: دقيق الليرة البيضاء.

بِحَقِّ مَا فِي مُحْكَمِ الْإِنْجِيلِ      مِنْ مُحْكَمِ التَّخْرِيمِ وَالتَّخْلِيلِ  
وَتَحْبَرِ ذِي نَبِإِ جَلِيلِ      يَزُونَهُ جِيلٌ قَدْ مَضَى عَنْ جِيلِ  
بِحَقِّ «مَرْقَس» الشُّفَيْقِ النَّاصِحِ      بِحَقِّ «لَوْقَا» ذِي الْفَعَالِ الصَّالِحِ  
بِحَقِّ بُوْحُنَا الْخَلِيمِ الرَّاجِحِ      وَالشُّهْدَاءِ بِالْفَلَا الصَّحَاحِ<sup>(١)</sup>  
بِحَقِّ مَفْمُودِيَّةِ الْأَزْوَاجِ      وَالْمَذْبَحِ الْمَشْهُورِ فِي النَّوَاحِي  
وَمَنْ بِهِ مِنْ لَابِسِ الْأَمْسَاحِ      وَعَابِدِ بَاكِ وَمِنْ نَوَاحِ<sup>(٢)</sup>  
بِحَقِّ تَقَرُّبِكَ فِي الْآحَادِ      وَشَرِيكَ الْقَهْوَةِ كَالْفِرْصَادِ<sup>(٣)</sup>  
وَطَوَّلِ تَبْيِضُكَ لِلْأَكْبَادِ      بِمَا بِعَيْنَيْكَ مِنَ السَّوَادِ  
بِحَقِّ مَا قُدُسَ «شَغْبَا» فِيهِ      بِالْحَمْدِ لَهُ وَبِالتَّنْزِيهِ  
بِحَقِّ «نَسْطُورِ» وَمَا يَزُونِهِ      عَنْ كُلِّ نَائُوسٍ لَهُ فَقِيهِ  
شَيْخَانِ كَانَا مِنْ شُيُوخِ الْعِلْمِ      وَيَغْضِ أَرْكَانِ الثَّقَى وَالْجِلْمِ  
لَمْ يَنْطِقَا قَطُّ بِغَيْرِ فُهُمِ      مَوْتُهُمَا كَانَ حَيَاةَ الْخَضَمِ  
بِحُزْمَةِ الْأَشْقَفِ وَالْمَطْرَانِ      وَالْجَائِلِيْقِ الْعَالَمِ الرَّبَّانِي  
وَالْقَسُ وَالشَّمَّاسِ وَالْدُّبْرَانِي      وَالْبَطْرِكِ الْأَكْبَرِ وَالرُّهْبَانِ  
بِحُرْمَةِ الْمَخْبُوسِ فِي أَعْلَى الْجَبَلِ      وَ«مَارِ قَوْلَا» حِينَ صَلَّى وَابْتَهَلَ  
وَبِالْكَنِيسَاتِ الْقَدِيمَاتِ الْأَوَّلِ      وَبِالسَّلِيمِ الْمُرْتَضَى بِمَا فَعَلَ

(١) الصحاح: البيداء، وقبل هي الأرض التي لا ماء فيها أو شجر.

(٢) الأمساح: صيغة جمع من «مسوح» وهي العباءات، ويريد بها هنا لباس الكهنوت المسيحي في المذبح.

(٣) التقريب: نوع من السير، يقارب السرعة، والفرصاد: التوت الأحمر.

بِحُرْمَةِ الْأَشْقُوفِ يَا وَالْبَيْرِمِ      وَمَا حَوَى مِنْقَرُ رَأْسِ مَرْثَمِ  
 بِحُرْمَةِ الصُّومِ الْكَبِيرِ الْأَعْظَمِ      وَحَقُّ كُلِّ بَرَكَةٍ وَمَحْرَمِ  
 بِحَقِّ يَوْمِ الذَّبْحِ ذِي الْإِشْرَاقِ      وَلَيْلَةِ الْمِيلَادِ وَالسُّلَاقِ<sup>(١)</sup>  
 وَالْمَذْهَبِ الْمَذْهَبِ لِلنُّقَاقِ      وَالْفِضْحِ بِأَمْهَذَبِ الْأَخْلَاقِ  
 بِكُلِّ قُدَّاسٍ عَلَى قُدَّاسٍ      قُدَّسَهُ الْقَسُّ مَعَ الشُّمَاسِ  
 وَقَرُّوا يَوْمَ الْخَمِيسِ النَّاسِي      وَقَدُّمُوا الْكَأْسَ لِكُلِّ حَاسِ  
 أَلَا رَغِبْتَ فِي رِضَا أَدِيبِ      بَاعِدْهُ الْحُبُّ عَنِ الْحَبِيبِ  
 قَذَابٌ مِنْ شَوْقٍ إِلَى الْمُذِيبِ      أَغْلَى مُنَاهُ أَيْسَرُ التُّفْرِيبِ  
 فَإِنْظِرْ أَمِيرِي فِي صَلَاحِ أَمْرِي      مُحْتَسِباً فِي عَظِيمِ الْأَجْرِ  
 مُحْتَسِباً فِي جَمِيلِ الشُّكْرِ      فِي نَثْرِ الْفَاطِظِ وَنَظْمِ شِعْرِ

---

(١) السلاق: هو عيد خميس الأربعين، تعتقد المسيحية أن السيد المسيح تسلق فيه من بين تلاميذه إلى السماء من بعد القيام، ووعدهم بإرسال الفارقليط وهو روح القدس.

## أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْبَارِيُّ

### أَجْمَلُ الْمَضْلُوبِينَ

هَذِهِ الْقَصِيدَةُ قَالَهَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْبَارِيُّ فِي رِثَاءِ الْوَزِيرِ «ابْنِ بَقِيَّةٍ» الَّذِي قَتَلَهُ عَضُدُ الدَّوْلَةِ وَصَلَبَهُ عَلَى رَأْسِ جِسْرِ بَغْدَادَ، قَالَ عَنْهَا الصَّفَدِيُّ فِي الرَّافِي بِالْوَفَيَّاتِ: «لَمْ أَرِ فِي مَضْلُوبٍ أَحْسَنَ مِنْهَا» وَقَالَ عَنْهَا الشَّعَالِيُّ فِي يَتِيمَتِهِ «قَصِيدَةُ فَرِيدَةٍ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَاحِبَهَا مِنْ أَفْرَادِ الشُّعْرَاءِ» وَأَبْدَى الْجَرْجَانِيُّ فِي «أَسْرَارِ الْبَلَاغَةِ» إِعْجَابَهُ «بِمَا صَنَعَ فِيهَا مِنَ السَّخَرِ، حَتَّى قَلَبَ جُمْلَةً مَا يُسْتَنْكَرُ مِنْ أَحْوَالِ الْمَضْلُوبِ إِلَى خِلَافِهَا، وَتَأَوَّلَ فِيهَا تَأْوِيلَاتٍ أَرَاكَ فِيهَا وَبِهَا مَا تُقْضِي مِنْهُ الْعَجَبَ» وَعَدَّهَا التُّوَيْرِي فِي «نِهَايَةِ الْأَرْبِ» مِنْ نَوَادِرِ الْمَرَاثِي. وَكَانَ الْأَنْبَارِيُّ قَدْ كَتَبَ قَصِيدَتَهُ فِي رِثَاءِ صَدِيقِهِ «ابْنِ بَقِيَّةٍ» وَرَمَى بِهَا نُسَخًا فِي شَوَارِعِ بَغْدَادَ، فَتَدَاوَلَهَا الْأَدَبَاءُ إِلَى أَنْ اتَّصَلَ الْخَبَرُ بِعَضُدِ الدَّوْلَةِ، فَلَمَّا أُنْشِدَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَضْلُوبُ دُونَهُ.

هَلُو فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ بِحَقِّ أَنْتَ إِخْدَى الْمُعْجَزَاتِ  
كَأَنَّ النَّاسَ خَوْلَكَ جِئْنَ قَامُوا وَفُؤُودُكَ أَيْامَ الصُّلَاتِ

كَمَا نَكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا      وَمَدَدَتْ يَدَيْكَ نَحْوَهُمْ اخْتِفَاءً  
وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ      أَصَارُوا الْجَوْ قَبْرَكَ وَاسْتَعَاضُوا  
لِعَظْمِكَ فِي النُّفُوسِ بَقِيَتْ تَرَعَى      وَتُشْعَلُ حَوْلَكَ النُّيرَانُ لَيْلًا  
رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلُ زَيْدٌ      وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأْسٌ  
وَلَمْ أَرِ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعًا      أَسَاتَ إِلَى النَّوَائِبِ فَاسْتَثَارَتْ  
وَكُنْتَ تُجِيرُ مِنْ صَرْفِ اللَّيَالِي      وَصَيْرَ دَهْرَكَ الْإِحْسَانَ فِيهِ  
وَكُنْتَ لِمَفْشَرِ سَعْدًا فَلَمَّا      غَلِيلٌ بَاطِنٌ لَكَ فِي فُؤَادِي  
وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامٍ      مَلَأْتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَائِي  
وَلَكِنِّي أَصْبِرُ عَنْكَ نَفْسِي      وَمَا لَكَ تُرْبَةً فَأَقُولُ تُسْقَى  
عَلَيْكَ نَحِيَّةُ الرَّحْمَنِ تَشْرَى

وَكُلُّهُمْ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ  
كَمَدَّهُمَا إِلَيْهِمْ بِالْهَبَاتِ  
يَضُمُّ عِلَاقَ مِنْ بَعْدِ الْوَفَاةِ  
عَنِ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ  
بِحُرَّاسٍ وَحُفَاطٍ ثَقَاتِ  
كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ  
عَلَاهَا فِي السَّنِينَ الْمَاضِيَاتِ  
تُبَاعِدُ عَنْكَ تَغْيِيرَ الْعِدَاةِ  
تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ  
فَأَنْتَ قَتِيلٌ نَارِ النَّائِبَاتِ  
فَصَارَ مُطَالِبًا لَكَ بِالثَّرَاتِ  
إِلَيْنَا مِنْ عَظِيمِ السَّيِّئَاتِ  
مَضَيْتَ تَفَرَّقُوا بِالْمُنْجِسَاتِ  
يُخَفِّفُ بِالدُّمُوعِ الْجَارِيَاتِ  
بِفَرْضِكَ وَالْحُقُوقِ الْوَاجِبَاتِ  
وَنُحْتُ بِهَا خِلَافَ النَّائِحَاتِ  
مَخَافَةً أَنْ أَعْدُ مِنَ الْجُنَاةِ  
لَأَنَّكَ نَضَبُ هَاطِلِ الْهَاطِلَاتِ  
بِرَحْمَاتِ غَوَادٍ رَائِحَاتِ

## ابن زريق البغدادي

### فراقية البغدادي

من أشهر القصائد اليتيمة وأكثرها غرابة، فقد زعم صاحب «الوافي بالوفيات» أنها قصيدة مدح إذ يقول: «له القصيدة التي مدح بها العميد أبا نصر وزير طغرل بك» وطغرل بك، سلطان السلاجقة في بغداد، ووزيره كان في بغداد كذلك ولا علاقة للقصيدة، على هذا الأساس، بالهجرة من بغداد إذن. ثم يورد الصفدي العينية بأبياتها كاملة<sup>(١)</sup>. وهو ما جعل نعمان ماهر الكنعاني يشكك في وجود ابن زريق لغياب المدح المزعوم في قصيدته، لكن صاحب «مصارع العشاق» يورد رواية أخرى أقرب للصحة حيث يقول: إن رجلاً من أهل بغداد قصده أبا عبد الرحمن الأندلسي وتقرّب إليه بنسبه، فأراد أبو عبد الرحمن أن يبلّوه ويختبره، فأعطاه شيئاً نزرّاً، فقال البغدادي: إنا لله وإنا إليه راجعون! سلكت

---

(١) لا يكتفي الصفدي بهذا في ما يتعلق بتشويش صورة ابن زريق، والتباسها، إذ يورد له قصيدة أخرى من أربعين بيتاً في رثاء ديك، ومما يشير إلى أن لابن زريق هذا قصائد أخرى.

الْبَرَارِي وَالْبَحَارَ وَالْمَهَامَةَ وَالْقِفَارَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَأَعْطَانِي هَذَا الْعَطَاءَ  
النِّزْرَ؟ فَأَنْكَسَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَاعْتَلَّ فَمَاتَ.

وَشُغِلَ عَنْهُ الْأَنْدَلُسِيُّ أَيَّامًا، ثُمَّ سَأَلَ عَنْهُ فَخَرَجُوا يَطْلُبُونَهُ، فَأَنْتَهَوْا إِلَى  
الْخَانَ الَّذِي كَانَ فِيهِ وَسَأَلُوا الْخَانِيَّةَ «صَاحِبَةَ الْخَانِ أَوْ الْفُنْدُقِ» عَنْهُ،  
فَقَالَتْ: إِنَّهُ كَانَ فِي هَذَا الْبَيْتِ، وَمُذْ أَمْسَ لَمْ أَرَهُ، فَصَعِدُوا فَدَفَعُوا  
الْبَابَ، فَوَجَدُوا الرَّجُلَ مَيِّتًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ رُقْعَةٌ كَتَبَ عَلَيْهَا قَصِيدَتَهُ.  
وَيُقَالُ: مَنْ تَخَتَّمَ بِالْعَقِيقِ، وَقَرَأَ لِابْنِ عَمْرٍو وَتَفَقَّهَ لِلشَّافِعِيِّ، وَحَفِظَ  
قَصِيدَةَ ابْنِ زُرَيْقٍ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الظُّرْفَ.

لَا تَغْذِلِيهِ فَإِنَّ الْعَذْلَ يُؤْلِفُهُ  
قَدْ قُلْتُ حَقًّا وَلَكِنْ لَيْسَ يَسْمَعُهُ  
جَاوَزْتُ فِي لَوْمَةٍ خَدًّا أَضْرِبُهُ  
مِنْ حَيْثُ قَدَّرْتُ أَنْ اللَّوْمَ يَنْفَعُهُ  
فَاسْتَعْمِلِي الرُّفْقَ فِي تَأْنِيهِهِ بَدَلًا  
مِنْ عَذْلِهِ فَهُوَ مُضْنَى الْقَلْبِ مُوجَعُهُ  
قَدْ كَانَ مُضْطَلَعًا بِالْخَطْبِ بِخِمْلِهِ  
فَضُبِقْتُ بِخُطُوبِ الدَّهْرِ أَضْلَعُهُ  
يَكْفِيهِ مِنْ لَوْعَةِ التَّشْتِيبِ أَنْ لَهُ  
مِنْ النُّوَى كُلِّ يَوْمٍ مَا يُرْوَعُهُ  
مَا أَبَ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا وَأَزْعَجُهُ  
رَأَيْتُ إِلَى سَفَرٍ بِالرَّغْمِ يَزْمَعُهُ  
كَأَنَّمَا هُوَ فِي جِلٍّ وَمُرْتَحِلٍ  
مُوكَّلٍ بِقَضَاءِ اللَّهِ يَذْرَعُهُ

إِنَّ الزُّمَانَ أَرَاهُ فِي الرَّجِيلِ غَنِيً  
 وَلَوْ إِلَى السُّنْدِ أَضْحَىٰ وَهُوَ يَزْمَعُهُ  
 تَأْبَى الْمَطَامِعُ إِلَّا أَنْ تُجَشِّمَهُ  
 لِلرِّزْقِ كَذْأًا وَكَمْ مِمَّنْ يُودَّعُهُ  
 وَمَا مُجَامِدَةُ الْإِنْسَانِ تَوْصِلُهُ  
 رِزْقًا وَلَا دَعَا الْإِنْسَانِ تَقْطَعُهُ  
 قَدْ وَزَعَ اللَّهُ بَيْنَ الْخَلْقِ رِزْقَهُمْ  
 لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِنْ خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ  
 لَكِنَّهُمْ كَلَّفُوا حِرْصًا فَلَسْتَ تَرَى  
 مُسْتَرْزَقًا وَسَوَى الْغَايَاتِ تُفْنِيهِ  
 وَالْحِرْصُ فِي الرِّزْقِ، وَالْأَزْرَاقُ قَدْ قُسِمَتْ،  
 بَغْيِي، أَلَا إِنَّ بَغْيِي الْمَرْءِ يَضْرَعُهُ  
 وَالذَّهْرُ يُغْطِي الْفَتْنِ مِنْ حَيْثُ يَمْنَعُهُ  
 إِزْثًا وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْمِئِنُّهُ  
 أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا  
 بِالْكَرْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْرَارَ مَطْلَعُهُ<sup>(١)</sup>

(١) فلك الأزرار: فتحة مستديرة في الخباء، فالزُّر كما جاء في «لسان العرب»: واحد الأزرار التي تشدُّ بها الكِلَلُ والسُّتُورُ على ما يكون في حَجَلَةِ العروس، وقيل: الأزرار: خَشَبَاتٌ يُخْرَزْنَ فِي أَعْلَى شُقَقِ الْخَبَاءِ وَأُصُولِهَا فِي الْأَرْضِ، وَهَذَا الْبَيْتُ مِنَ الْأَبْيَاتِ الْمُحَيَّرَةِ حَقًّا، فَقَدْ كَانَ أَوَّلُ مَنْ أوردَهُ: الْجَاهِظُ فِي «الْمَحَاسِنِ وَالْأَضْدَادِ» - طبعة مصر ١٩٠٦ وكذلك طبعة مكتبة الخانجي ١٩٩٤ على لسان جارية غتته أمام أحد أمراء المغرب العربي، والجاهظ كما هو معروف عاش قبل -

وَدَعْنَهُ وَيُودِّي لَوِ يُودِّعُنِي  
صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَتْنِي لَا أُوَدِّعُهُ  
وَكَمْ تَشْفَعُ بِي أَنْ لَا أَفَارِقَهُ  
وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشْفَعُهُ  
وَكَمْ تَشْبِثُ بِي يَوْمَ الرَّجِيلِ ضَحَى  
وَأَذْمَعِي مُسْتَهْلَاتٍ وَأَذْمَعُهُ  
لَا أَكْذِبُ اللَّهَ ثَوْبُ الصَّبْرِ مُنْخَرِقُ  
عَنِّي بِفُرْقَتِهِ لَكِنْ أَرْقَعُهُ  
إِنِّي أَوْسَعُ عُذْرِي فِي جَنَائِزِهِ  
بِالْبَيِّنِ عَنْهُ وَجُرْمِي لَا يُوسِّعُهُ

= ابن زريق المفترض براوية الصفدي بقرنين، وأضاف أبو حيان التوحيدي في «الإمتاع والمؤانسة» بيتاً آخر في روايته لقصة قريبة من الأولى وأضاف بيتاً آخر فوردت هكذا:

أَسْتَوِدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا      بِالكَزْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْزَارَ مَطْلَعُهُ  
وَدَعْنَهُ وَيُودِّي لَوِ يُودِّعُنِي      صَفْوُ الْحَيَاةِ وَأَتْنِي لَا أُوَدِّعُهُ

أما الثعالبي فقد نسب في يتيمة الدهر «طبعة دار الكتب العلمية - ١٩٨٣» في

الصفحة ٣٤٠ من الجزء الأول، الأبيات التالية من القصيدة للوواء الدمشقي:

إِسْتَوِدِعُ اللَّهَ فِي بَغْدَادَ لِي قَمَرًا      بِالكَزْخِ مِنْ فَلَكَ الْأَزْزَارَ مَطْلَعُهُ  
وَدَعْنَهُ وَيُودِّي لَوِ يُودِّعُنِي      رُوحُ الْحَيَاةِ وَأَتْنِي لَا أُوَدِّعُهُ  
وَكَمْ تَشْبِثُ بِي يَوْمَ الرَّجِيلِ ضَحَى      وَأَذْمَعِي مُسْتَهْلَاتٍ وَأَذْمَعُهُ  
وَكَمْ تَشْفَعُ بِي أَنْ لَا أَفَارِقَهُ      وَلِلضَّرُورَاتِ حَالٌ لَا تُشْفَعُهُ

ورواية الجاحظ الذي سبق الوواء الدمشقي أيضاً، وبأكثر من قرن، تدحض هذه النسبة، والترجيح الممكن هنا أن هذه الأبيات كانت موجودة منذ القرن الثاني للهجرة، وقد ضمنها ابن زريق في قصيدته تلك.

أُعْطِيتُ مُلْكاً فَلَمْ أَحْسِنْ سِيَاسَتَهُ  
وَكُلُّ مَنْ لَا يُسْوِسُ الْمُلْكَ يَخْلَعُهُ  
وَمَنْ عَدَا لِإِسَاءَةِ ثَوْبِ النِّعِيمِ بِلَا  
شُكْرِ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِعُهُ  
إِعْتَضْتُ مِنْ وَجْهِ خَلِيٍّ بَعْدَ فُرْقَتِهِ  
كَاساً أَجْرَعُ مِنْهَا مَا أَجْرَعُهُ  
كَمْ قَائِلٍ لِي: دُثْتُ الْبَيْنَ قُلْتُ لَهُ:  
الذُّنُوبُ وَاللَّهُ ذَنْبِي لَسْتُ أَذْقُهُ  
أَلَا أَقَمْتَ فَكَانَ الرُّشْدُ أَجْمَعُ  
لَوْ أَنَّنِي يَوْمَ بَانَ الرُّشْدُ اثْبَعُهُ  
لَوْ أَنَّنِي لَمْ تَقْعْ عَيْنِي عَلَى بَلَدٍ  
فِي سَفَرَتِي هَذِهِ إِلَّا وَأَقْطَعُهُ  
إِنِّي لَأَقْطَعُ أَيَّامِي وَأَنْفِذَهَا  
بِحَسْرَةٍ مِنْهُ فِي قَلْبِي تُقْطَعُهُ  
بِمَنْ إِذَا هَجَعَ الثُّوَامُ بِثُّ لَهُ  
بِلَوْعَةٍ مِنْهُ لَيْلِي لَسْتُ أَهْجَعُهُ  
لَا يَطْمِئُنُّ لِحَنِّي مَضْجَعُ وَكَذَا  
لَا يَطْمِئُنُّ لَهُ مُذْ بِثْتُ مَضْجَعُهُ  
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الدَّهْرَ يَفْجَعُنِي  
بِهِ وَلَا أَنَّ بِي الْأَيَّامَ تَفْجَعُهُ  
حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فِيمَا بَيْنَنَا بِبَدٍ  
عَسْرَاءَ تَمْنَعُنِي حَظِّي وَتَمْنَعُهُ

قَدْ كُنْتُ مِنْ رَبِّ دَهْرِي جَازِعاً فَرِقاً  
 فَلَمْ أَوْقِ الَّذِي قَدْ كُنْتُ أَجْرَعُهُ  
 بِاللَّهِ يَا مَنْزِلَ الْعَيْشِ الَّذِي دَرَسْتُ  
 آثَارُهُ وَعَفْتُ - مُذِ بِنْتُ - أَرْبَعُهُ  
 هَلِ الزَّمَانُ مَعِيدٌ فِيكَ لَدُنَّا  
 أَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَمْضَتْهُ تُرْجِعُهُ؟  
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ مَنْ أَضْبَحَتْ مَنْزِلُهُ  
 وَجَادَ غَيْثٌ عَلَى مَغْنَاكَ يُغْرِعُهُ  
 مَنْ عِنْدَهُ لِي عَهْدٌ لَا يُضَيِّعُهُ  
 كَمَا لَهُ عَهْدٌ صَدَقَ لَا أُضَيِّعُهُ  
 وَمَنْ يُصَدِّعْ قَلْبِي ذِكْرُهُ وَإِذَا  
 جَرَى عَلَى قَلْبِهِ ذِكْرِي يُصَدِّعُهُ  
 لَا صَبْرُنْ لِدَهْرٍ لَا يُمَتِّعُنِي  
 بِهِ وَلَا بِي فِي حَالٍ يُمَتِّعُهُ  
 عَلِمْتُ بِأَنْ اضْطَبَّارِي مُغِيبٌ فَرَجاً  
 فَأَضْيِقُ الْأَمْرَ إِنْ فَكَّرْتُ أَوْسَعُهُ  
 عَسَى اللَّيَالِي الَّتِي أَضْنَتْ بِفُرْقَتِنَا  
 جِسْمِي سَتَجْمَعُنِي يَوْمًا وَتَجْمَعُهُ  
 وَإِنْ تُفِلْ أَحَدًا مِنَّا مَنِيَّتُهُ  
 لَا بَدَّ فِي غَدِهِ الثَّانِي سَيَتْبَعُهُ

## أبو سعد النيرماني

### عن الوادي المهجور

ثُمَّ أَكْثَرَ مِنْ وَشِيجَةٍ بَيْنَ شَاعِرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ وَابْنِ زُرَيْقٍ الْبَغْدَادِيِّ،  
فَهُمَا مُعَاَصِرَانِ لِبَعْضِهِمَا بِالرَّغْمِ مِنَ السَّيْرِ الْمُتَبَسِّةِ لَابْنِ زُرَيْقٍ، وَكِلَاهُمَا  
اشْتَهَرَ بِلَقَبِ «الْكَاتِبِ» وَكُلُّ مِنْهُمَا اسْمُهُ الْأَوَّلُ: «عَلِيٌّ» وَكِلَاهُمَا جَاوَرَ  
الْأُمَرَاءَ وَطَلَبَ عَطَايَاهُمْ، وَكِلَاهُمَا كَتَبَ قَصِيدَتَهُ عَنْ بَغْدَادَ، وَبِالتَّحْدِيدِ  
عَنْ فِرَاقِهَا عَلَى كَرَاهَةٍ، وَطَلَبًا لِحَاجَةٍ مَا وَلِضِيقِ الْحَالِ، كَمَا نَسْتَفِيدُ مِنْ  
الْخَاتِمَةِ الْمُسْتَعَارَةِ فِي قَصِيدَةِ النِّيرْمَانِيِّ هَذِهِ، وَكَذَلِكَ فِي آيَاتٍ عِدِيدَةٍ  
مِنْ قَصِيدَةِ ابْنِ زُرَيْقٍ، وَكُلُّ مِنَ الشَّاعِرَيْنِ ضَمَّنَ قَصِيدَتَهُ آيَاتًا لِشُعَرَاءِ  
سَابِقِينَ لَهُ.

وَمِنْ هُنَا تَبَرُّزُ أَهَمِّيَّةِ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ الشَّاعِرَيْنِ وَقَصِيدَتَيْهِمَا، فِي أَيِّ بَحْثٍ  
مُمْكِنٍ.

وَالنِّيرْمَانِيُّ، نِسْبَةً إِلَى نَيْرْمَانَ وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى الْجَبَلِ فِي هَمْدَانَ وَهُوَ  
عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْفٍ أَبُو سَعْدٍ النِّيرْمَانِيُّ، لَهُ كِتَابٌ نَادِرٌ وَرَائِدٌ فِي  
مَجَالِهِ، سَمَّاهُ (مَنْشُورُ الْمَنْظُومِ الْبَهَائِيِّ) وَفِيهِ أَحَالَ حِمَاسَةَ أَبِي تَمَامٍ إِلَى  
نَثْرِ. وَالْكِتَابُ أَهْدَاهُ لِبَهَاءِ الدَّوْلَةِ بْنِ عَصْدِ الدَّوْلَةِ لِهَذَا وَصَفَهُ بِالْبَهَائِيِّ،

وَكَانَ يَعْمَلُ كَاتِبًا فِي دِيْوَانِ بَنِي بُؤَيَّةَ قَبْلَ مُعَاذَرَتِهِ بَغْدَادَ. وَيَبْدُو أَنَّ وَالِدَهُ،  
كَانَ مَقْرَبًا مِنَ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ: الرَّاضِي بِاللَّهِ، وَعَمِلَ كَاتِبًا فِي دَوَائِنِهِ،  
كَمَا تُشِيرُ كُتُبُ التَّارِيخِ.

اشْتَهَرَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ مِنْ بَيْنِ شِعْرِ النُّيْمَانِيِّ الْقَلِيلِ كَوَاحِدَةٍ مِنْ أَجْمَلِ  
مَا قِيلَ فِي فِرَاقِ بَغْدَادَ وَاسْتِذْكَارِ مَجَالِسِهَا وَأَهْلِهَا.

خَلِيلِي فِي بَغْدَادَ هَلْ أَنْتُمْ أَلِيَا  
عَلَى الْعَهْدِ مِثْلِي أَمْ غَدَا الْعَهْدُ بَالِيَا؟  
وَهَلْ ذَرَفْتَ يَوْمَ النُّوَى مُقْلَتَاكُمَا  
عَلَيَّ كَمَا أُمِسِّي وَأَضْبَحُ بَاكِيًا؟  
وَهَلْ أَنَا مَذْكُورٌ بِخَيْرٍ لَدَيْكُمَا  
إِذَا مَا جَرَى ذِكْرُ لِمَنْ كَانَ نَائِيَا  
وَهَلْ فِيكُمَا مَنْ إِنْ تَنَزَّلَ مَنَزِلًا  
أَبْيَقًا وَيُسْتَأْنَأُ مِنَ النُّورِ حَالِيَا  
أَجْدَلُهُ طَيْبُ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ  
مُنَى يَتَمَنَّاها فَكُنْتُ الْأَمَانِيَا  
كِتَابِي عَنْ شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَيْكُمَا  
كَأَنَّ عَلَى الْأَخْشَاءِ مِنْهُ مَكَاوِيَا  
وَعَنْ أَدْمَعٍ مُنْهَلَةٍ، فَتَأْمَلَا  
كِتَابِي تُنِزْ أَثَارَهَا فِي كِتَابِيَا  
وَلَا تَبَاسًا أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا  
كَأَحْسَنِ مَا كُنَّا عَلَيْهِ تَصَافِيَا

فَقَدْ يَجْمَعُ اللَّهُ الشَّيْئَتَيْنِ بَعْدَمَا  
يُظَنُّ أَنَّ كُلَّ الظَّنِّ أَنْ لَا تَلَاقِيَا<sup>(١)</sup>  
وَلَا تَأْسَا بِالْوَرْدِ بَعْدِي وَأَغْرِبَا  
مَقَالَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَخْدَعُ سَاجِيَا  
وَلَمَّا تَفَرَّقْنَا تَطِيرْتَ أَنْ أَرَى  
مَكَانَكَ مِنِّي - لَا خَلَائِمَكَ - خَالِيَا  
فَضْمُنْتُهِ وَرَدًّا كَرِيَّاكِ رِنْحُهُ  
يُذَكِّرُنِي مِنْكَ الَّذِي لَسْتُ نَاسِيَا  
وَلَا تَطْلُبَا صَوْنِي إِذَا مَا تَغَنَّتَا  
تَسْرُوفُوزَ جَادَتَا لِي الْأَغَانِيَا  
وَحَبَّرْتُمَا أَنَّ تَيْمَاءَ مَنَزَلُ  
لِللَّيْلِ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَاسِيَا<sup>(٢)</sup>  
فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنَّا قَدْ انْقَضَتْ  
فَمَا لِلنَّوَى تَزْمِي بِلَيْلِي الْمَرَامِيَا  
فَدَى لَكَ يَا بَغْدَادُ كُلَّ مَدِينَةٍ  
مِنَ الْأَرْضِ حَتَّى خِطَّتِي وَدِيَارِيَا<sup>(٣)</sup>

(١) يُنسبُ هذا البيت لأكثر من شاعر فهو لمجنون ليلي «قيس بن الملوح» كما جاء في «الأغاني»، ونسبه البصري في حماسته لقيس بن ذريح، وهناك من ينسبه لابن الدمينية.

(٢) هذا البيت كالبيت السابق في اختلاف نسبته في كتب الأدب العربي، فإضافة إلى القيسين «قيس بن الملوح» و«قيس بن ذريح» يُنسب كذلك إلى جميل بثينة، كما في «الأغاني» و«منتهى الطلب من إشعار العرب» لابن المبارك.

(٣) الخطة: الأرض التي تُنزلها ولم يُنزلها نازل قبلك، وجمع الخطة: خطط، وقد =

فَقَدْ سِرْتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا  
وَطَوَّفْتُ خَيْلِي بَيْنَهَا وَرِكَابِيَا  
فَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ بَغْدَادَ مَنْزِلًا  
وَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ دَجْلَةَ وَادِيَا  
وَلَا مِثْلَ أَهْلِهَا أَرْقُ شَمَائِلًا  
وَأَغْذَبَ الْفَاطَا وَأَخْلَى مَعَانِيَا  
وَكَمْ قَائِلٍ: لَوْ كَانَ وَدَكَ صَادِقًا  
لِبَغْدَادَ لَمْ تَرْحَلْ، فَكَانَ جَوَابِيَا:  
يُقِيمُ الرِّجَالُ الْمُوسِرُونَ بِأَرْضِهِمْ  
وَتَزِمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِنِ الْمَرَامِيَا

---

= خَطُّهَا لِنَفْسِ خَطِّهَا وَاخْتَطَّهَا وَهُوَ أَنْ يُعْلِمَ عَلَيْهَا عَلَامَةً بِالْخَطِّ؛ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ اخْتَارَهَا لِيَبْنِيَهَا دَارًا، وَمِنْهُ خِطَطُ الْبَصْرِ وَالْكُوفَةِ.

## الشَّهْرُزُورِيُّ

### طَرِيقُ الْعُودَةِ

أَبُو مُحَمَّدٍ الْمُرتَضَى بْنُ الشَّهْرُزُورِيِّ، وَلَدَ فِي شَهْرُزُورَ «وَهُوَ سَهْلٌ فِي شَمَالِ الْعِرَاقِ» وَآلِيهِ نُسَبَ. عَاشَ بَيْنَ الْقَرْنَيْنِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ الْهِجْرِيَّيْنِ، أَقَامَ فِي بَغْدَادَ فِتْرَةً ثُمَّ عَادَ إِلَى الْمَوْصِلِ وَعَمَلَ فِي الْقَضَاءِ، تُعْرَفُ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ «بِالْقَصِيدَةِ الْمَوْصِلِيَّةِ» وَحَكَى ابْنُ خَلِّكَانَ فِي «وَقَيَاتِ الْأَعْيَانِ» أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ، قَلِيلَةُ الْوُجُودِ فِي الْكُتُبِ لِذَلِكَ أَوْرَدَهَا كَامِلَةً، وَفِي الْوَاقِعِ فَإِنَّ أَحَدًا لَمْ يَنْقُلْهَا مِنْ قَبْلِهِ. كَمَا نَقَلَ عَنْ أَحَدِ الْمَشَايخِ قَوْلَهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الَّتِي تَحْمِلُ نَكْهَةً صُوفِيَّةً خَاصَّةً وَقَرِيدَةً، أَنَّهُ رَأَى فِي التَّوَمِ قَائِلًا يَقُولُ: مَا قِيلَ فِي الطَّرِيقِ مِثْلُ «الْقَصِيدَةِ الْمَوْصِلِيَّةِ»

لَمَعَتْ نَارُهُمْ وَقَدْ عَسَعَسَ اللَّيْلُ وَمَلَّ الْحَادِي وَحَارَ الدَّلِيلُ  
فَنَأْمَلْتُهَا وَفَكَّرِي مِنَ الْبَيْنِ عِلِيلُ وَلَحِظْتُ عَيْنِي كَلِيلُ  
وَقُوَادِي ذَاكَ الْفُوَادِ الْمُعَسَّى وَغَرَامِي ذَاكَ الْغَرَامِ الدَّخِيلُ  
ثُمَّ قَابَلْتُهَا وَقُلْتُ لِصَاحِبِي: هَذِهِ النَّارُ نَارُ لَيْلِي فَمِيلُوا  
فَرَمَوْا نَحْوَهَا لِحَاطَا صَحِيحَاتٍ فَعَادَتْ خَوَاسِئًا وَهِيَ حَوْلُ

ثُمَّ مَأَلُوا إِلَى الْمَلَامِ وَقَالُوا: خُلِبَ مَا رَأَيْتَ أَمْ تَخْيِيلُ  
فَتَجَنَّبْتَهُمْ وَمِلْتُ إِلَيْهَا وَالْهَوَى مَرْكَبِي وَشَوْقِي الرِّمِيلُ  
وَمَعِي صَاحِبٌ أَتَى يَفْتَتِي الْأَثَارَ وَالْحُبَّ، شَرْطَةُ التُّطْفِيلِ  
وَهِيَ تَغْلُو وَنَحْنُ نَذْنُو إِلَى أَنْ حَجَزَتْ دُونَهَا طُلُولُ مُحُولِ  
فَدَنَوْنَا مِنَ الطُّلُولِ فَحَالَتْ رَفَرَاتٌ مِنْ دُونِهَا وَعَلِيلُ  
قُلْتُ: مَنْ بِالذِّيَارِ؟ قَالُوا: جَرِيحٌ وَأَسِيرٌ مُكَبَّلٌ وَقَتِيلُ  
مَا الَّذِي جِئْتَ تَبْتَغِي؟ قُلْتُ: ضَيْفٌ جَاءَ يَبْغِي الْقُرَى فَأَيْنَ التُّرُؤُ  
فَأَشَارَتْ بِالرَّحْبِ دُونَكَ فَأَعْقَرَهَا فَمَا عِنْدَنَا لِضَيْفِ رَحِيلِ  
مَنْ أَتَانَا أَلْقَى عَصَا السَّيْرِ عَنْهُ قُلْتُ: مَنْ لِي بِهَا وَأَيْنَ السَّبِيلُ؟  
فَحَطَطْنَا إِلَى مَنَازِلِ قَوْمٍ صَرَعَتْهُمْ قَبْلَ الْمَذَاقِ الشَّمُولِ  
دَرَسَ الْوَجْدُ مِنْهُمْ كُلَّ رَسْمٍ فَهُوَ رَسْمٌ وَالْقَوْمُ فِيهِ حُلُولُ  
مِنْهُمْ مَنْ عَفَى وَلَمْ يَبْقَ لِلشُّكْوَى وَلَا لِلدُّمُوعِ فِيهِ مَقِيلُ  
لَيْسَ إِلَّا الْأَنْفَاسُ تُخْبِرُ عَنْهُ وَهُوَ عَنْهَا مُبَرَّأٌ مَغْرُؤُ  
وَمِنَ الْقَوْمِ مَنْ يُشِيرُ إِلَيَّ وَجِدَ تَبَقَّى عَلَيْهِ مِنْهُ الْقَلِيلُ  
وَلِكُلِّ مِنْهُمْ رَأَيْتُ مَقَامًا شَرَحَهُ فِي الْكِتَابِ مِمَّا يَطُولُ  
قُلْتُ: أَهْلَ الْهَوَى سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لِي فَوَادٌ عَنْكُمْ بِكُمْ مَشْغُولُ  
وَجُفُونَ قَدْ أَقْرَحَتْهَا مَعَ الدَّمِيعِ حَنِينًا إِلَيَّ لِقَاكُمْ سُيُولُ  
لَمْ يَزَلْ حَافِزٌ مِنَ الشُّوقِ يَخْدُونِي إِلَيْكُمْ وَالْحَادِثَاتِ تَحُولُ  
وَاعْتِدَارِي ذَنْبٌ فَهَلْ عِنْدَ مَنْ يَغْلُمُ عُذْرِي فِي تَرْكِ عُذْرِي قُبُولُ  
جِئْتُ كَيْ أَضْطَلِّي فَهَلْ لِي إِلَى تَارِكُمْ، هَذِهِ الْعِدَّةُ، سَبِيلُ  
فَأَجَابَتْ شَوَاهِدُ الْحَالِ عَنْهُمْ: كُلُّ حَدٍّ مِنْ دُونِهَا مَغْلُولُ

لَا تَرَوْقُوكَ الرِّيَاضُ الْأَيْبِقَاتِ فَمِنْ دُونِهَا رَبَّنَا وَدُحُولُ<sup>(١)</sup>  
كَمْ أَتَاهَا قَوْمٌ عَلَى غُرَّةٍ مِنْهَا وَرَأَمُوا أَمْرًا فَعَزَّ الْوُضُولُ  
وَقَفُوا شَاخِصِينَ حَتَّى إِذَا مَا لَاحَ لِلْوُضُلِ غُرَّةٌ وَخُجُولُ<sup>(٢)</sup>  
وَبَدَتْ رَأْيَةُ الْوَقْفِ بِبَيْدِ الْوُجْدِ وَنَادَى: أَهْلَ الْحَقَائِقِ جُولُوا  
أَيْنَ مَنْ كَانَ يَدْعِينَا فَهَذَا الْيَوْمَ فِيهِ صَبَغُ الدَّعَاوِي يَحُولُ  
حَمَلُوا حَمْلَةَ الْفُحُولِ وَلَا يَضْدَعُ يَوْمَ الْإِلْقَاءِ إِلَّا الْفُحُولُ  
بَذَلُوا أَنْفُسًا سَخَتْ حِينَ سَخَتْ بِوَصَالٍ وَاسْتُضْغِرَ الْمَبْدُولُ  
ثُمَّ غَابُوا مِنْ بَغْدِمَا افْتَحَمُوهَا بَيْنَ أَمْوَاجِهَا وَجَاءَتْ سُيُولُ  
قَذَفَتْهُمْ إِلَى الرُّسُومِ فَكُلُّ دَمَةٍ فِي طُلُولِهَا مَطْلُولُ  
نَارُنَا هَذِهِ تُضِيءُ لِمَنْ يَسْرِي بِلَيْلٍ لِكِنَّهَا لَا تُنِيلُ  
مُنْتَهَى الْحِظِّ مَا تَزُودُ مِنْهُ اللَّحْظُ وَالْمُذِرُكُونَ ذَاكَ قَلِيلُ  
جَاءَهَا مَنْ عَرَفَتْ يَبْغِي اقْتِبَاسًا وَلَهُ الْبَسْطُ عِنْدَنَا وَالسُّوْلُ  
فَتَعَالَتْ عَنِ الْمَنَالِ وَعَزَّتْ عَنْ دُئُورِ إِلَيْهِ وَهُوَ رَسُولُ  
فَوَقَفْنَا كَمَا عَهَدَتْ حَيَارَى كُلُّ عَزْمٍ مِنْ دُونِهَا مَخْدُولُ  
نَدْفَعُ الْوَقْفَ بِالرَّجَاءِ وَنَاهِيكَ بِقَلْبٍ غِذَاؤُهُ التَّغْلِيلُ  
كُلَّمَا ذَاقَ كَأْسَ يَأْسٍ مَرِيرٍ جَاءَ كَأْسٌ مِنَ الرَّجَاءِ مَغْسُولُ  
فَإِذَا سَوَّلَتْ لَهُ النَّفْسُ أَمْرًا جِيدَ عَنَّةٍ وَقِيلَ: صَبِرْ جَمِيلُ  
هَلِ حَالُنَا وَمَا وَصَلَ الْعِلْمُ إِلَيْهِ وَكُلُّ حَالٍ تَحُولُ

(١) الدُّحُول: الحُفْرُ الغامضة، وتكون ضيقة من الأعلى لكنها عميقة وواسعة من الأسفل.

(٢) الغُرَّة: بياض في الجبهة والحجول: بياض في أسفل الساق.

## الأزبلي البحراني

### الشُّطُورُ المَمْحُوءَةُ

يَحْمِلُ هَذَا الشَّاعِرُ لَقَبًا مُرَكَّبًا مِنْ مَكَائِنَ: أَرْبِيلَ فِي أَقْصَى شَمَالِ  
الْعِرَاقِ، وَالْبَحْرَيْنِ فِي أَدْنَى الْجَنُوبِ، فَهُوَ يَنْحَدِرُ مِنْ أَرْبِيلَ، وَقَدْ وَلَدَ  
فِي الْبَحْرَيْنِ، حَيْثُ كَانَ وَالِدُهُ يَعْمَلُ فِي تِجَارَةِ اللُّؤْلُؤِ بَيْنَ الْعِرَاقِ  
وَالْبَحْرَيْنِ.

وَفِي تَرْجَمَةِ ابْنِ خُلِّكَانَ لِلشَّاعِرِ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ  
مُحَمَّدَ بْنِ قَائِدٍ، الْمَلَقَبُ مَوْفِقُ الدِّينِ الْإِرْبِلِي أَصْلًا وَمِنْشَأُ الْبَحْرَانِي مَوْلَدًا  
الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ؛ وَكَانَ مُقَدِّمًا فِي عِلْمِ الْعَرَبِيَّةِ، مُفْتَنًا فِي أَنْوَاعِ الشُّعْرِ،  
وَمِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْعَرُوضِ وَالْقَوَافِي وَأَخَذَقِهِمْ بِنَقْدِ الشُّعْرِ وَأَعْرَفَهُمْ  
بِحَبِيدِهِ مِنْ رَدِيئِهِ وَأَدَقَّهُمْ نَظْرًا فِي اخْتِيَارِهِ، وَاشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنْ عُلُومِ  
الْأَوَائِلِ، وَحَلَّ كِتَابَ إِقْلِيدِسَ، وَبَدَأَ يَنْظِمُ الشُّعْرَ وَهُوَ صَبِيٌّ صَغِيرٌ  
بِالْبَحْرَيْنِ جَرِيًّا، وَهُوَ شَيْخُ ابْنِ الْمُسْتَوْفِي صَاحِبِ «تَارِيخِ إِرْبِلِ»

لَيْسَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ وَقُوفًا نَمَطِيًّا عَلَى أَطْلَالٍ قَدِيمَةٍ، كَمَا قَدْ يُوجِى  
مَطْلَعُهَا وَظَاهِرُ نَسِيجِهَا الْخَارِجِيُّ، وَهِيَ، وَإِنْ كَانَتْ فِي شَكْلِهَا الْعَامِ

تَبْدُو كَذَلِكَ، لَكِنَّهَا فِي الْوَاقِعِ تُحَاوِرُ أَطْلَالَ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ فِي زَمَنِ مُخْتَلَفٍ، فَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ كُتِبَتْ فِي فِتْرَةِ الْحُرُوبِ الصَّلَيبِيَّةِ، وَكَتَبَهَا الشَّاعِرُ قَبْلَ تَحْرِيرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِقَلِيلٍ، فِي عَهْدِ صَلَاحِ الدِّينِ، وَلِذَلِكَ فَفِيهَا نَعْيٌ لِمَعْجِدٍ غَائِرٍ وَزَمَنٌ ذَهَبِيٌّ، وَالذِّبَارُ الَّتِي يَبْكِيهَا الشَّاعِرُ وَيَتَفَجَّعُ عَلَيْهَا، هِيَ فِي الْوَاقِعِ، تَغْيِيرٌ عَنْ حَالَةِ إِحْبَاطِ جَمَاعِي سَادَتْ فِي تِلْكَ الْفِتْرَةِ. وَبِذَلِكَ أَخَذَ الْوُقُوفُ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالذِّبَارِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ شَكْلًا رَمَازِيًّا لِتَجْسِيدِ حَالَةِ زَوَالِ حَضَارِيٍّ كَامِلٍ، وَغُرُوبِ نَفْسِيٍّ لِأُمَّةٍ.

وَقَدْ يَكُونُ مِنَ اللَّافِتِ إِنَّ الْقَصِيدَةَ كَمَا يَذْكُرُ ابْنُ خَلِّكَانَ كَانَتْ فِي مَدْحِ وَالِي أَرِينِلَ، لَكِنَّا نَجِدُهُ وَقَدْ قَطَعَهَا عِنْدَ أَوَّلِ بَيْتٍ يَبْدَأُ فِيهِ الْمَدْحُ، وَهَكَذَا تَمَّ إِفْصَاءُ الْمَدِيحِ، لِصَالِحِ التَّفَجُّعِ وَبَقِيَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ مِنْ تِلْكَ السَّطُورِ الْقَلِيلَةِ الَّتِي «سَمَحَ بِهَا الدَّهْرُ لِلذِّبَارِ» كَمَا يَقُولُ الشَّاعِرُ.

رُبَّ دَارٍ بِالْفَضَا طَالَ بِلَاهَا  
عَكَفَ الرُّكْبُ عَلَيْهَا فَبَكَاهَا  
دَرَسَتْ إِلَّا بَقَايَا أَشْطَرِ  
سَمَحَ الدَّهْرُ بِهَا ثُمَّ مَحَاهَا  
كَانَ لِي فِيهَا زَمَانٌ وَأَنْقَضَنِي  
فَسَقَى اللَّهَ زَمَانِي وَسَقَاهَا  
وَقَفْتُ فِيهَا الْغَوَادِي وَثَفَةً  
أَلْصَقْتُ حُرُرَهَا بِحَشَاهَا  
وَبَكَتْ أَطْلَالَهَا نَائِبَةً  
عَنْ جُفُونِي، أَحْسَنَ اللَّهُ جَزَاهَا

قُلْ لِّجَبْرَانَ مَوَائِقُهُمْ  
 كُلَّمَا أَخْكَمْتُهَا رَأَيْتُ قِوَاهَا  
 كُنْتُ مَشْغُوفًا بِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ  
 شَجَرًا لَا يَبْلُغُ الطَّيْرُ ذُرَاهَا  
 لَا تَبِيْتُ اللَّيْلَ إِلَّا حَوْلَهَا  
 حَرَسْتُ تَرْشُحُ بِالْمَوْتِ ظُبَاهَا <sup>(١)</sup>  
 وَإِذَا مُدَّتْ إِلَيَّ أَغْصَانُهَا  
 كَفُّ جَانٍ قَطَعَتْ دُونَ جَنَاهَا  
 فَتَرَخِي الْأَمْرَ حَتَّى أَضْبَحَتْ  
 هَمَلًا يَطْمَعُ فِيهَا مَنْ رَأَاهَا <sup>(٢)</sup>  
 تُخْصِبُ الْأَرْضُ فَلَا أَقْرَبُهَا  
 رَائِدًا إِلَّا إِذَا عَزَّ جَمَاهَا  
 لَا يَرَانِي اللَّئَةُ أَرْغَى رَوْضَةً  
 سَهْلَةً الْأَكْنَافِ مَنْ شَاءَ رَعَاهَا <sup>(٣)</sup>  
 وَإِذَا مَا طَمَعُ أَغْرَى بِكُمْ  
 عَرَضَ الْيَأْسُ لِنَفْسِي فَنَنَاهَا  
 فَصَبَابَاتُ الْهَوَى أَوْلَاهَا  
 طَمَعُ النَّفْسِ وَهَذَا مُنْتَهَاهَا

(١) الظبي: جمع ظبية، وهي حد السيف.

(٢) هملًا: تركت سدى بلا راع ولا حام.

(٣) الأكفاف: الجوانب والنواحي، يريد سهولة الحدود والحمى.

لَا تَنْظُرُوا إِلَيَّ إِلَّا بِكُمْ رَجْعَةً  
كَشَفَ التُّجْرِبُ عَنْ عَيْنِي عَمَّا  
إِنْ زَيْنَ الدُّنْيَا أَوْلَانِي بِسَدَا  
لَمْ تَدْعَ لِي رَغْبَةً فِي مَا سِوَاهَا

## ابن أبي اليُسْر

### طَلِيَّةُ بَغْدَادَ

لَعَلَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ أَشْهَرِ الْمَرَاثِي الَّتِي قِيلَتْ بَعْدَ سُقُوطِ بَغْدَادَ بِيَدِ جَيْشِ  
هُوَلَاكُو، وَعَلَى قِلَّةِ تِلْكَ الْمَرَاثِي وَنُذْرَتِهَا فَإِنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ تَنْدَرِجُ فِي سِيَاقِ  
مَا يُعْرَفُ بِرِثَاءِ الْمُدُنِ، فَهُوَ وَقُوفٌ آخَرٌ عَلَى الْأَطْلَالِ، وَإِنْ عَبَّرَ عَنْ مَرَحَلَةٍ  
مَدَنِيَّةٍ جَمْعِيَّةٍ مُتَبَايِنَةٍ عَنْ تِلْكَ الْبُكَائِيَّاتِ الصَّخْرَاوِيَّةِ الْقَدِيمَةِ ذَاتِ الْبُعْدِ  
الشَّخْصِيِّ. وَالْقَصِيدَةُ مِنْ سِتَّةِ وَسِتِّينَ بَيْتًا كَمَا ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ فِي «تَارِيخِ  
الْإِسْلَامِ» وَأَيْدُهُ ابْنُ تَغْرِي بَرْدِي فِي «النُّجُومِ الزَّاهِرَةِ» وَهُنَا إِثْنَانِ وَعَشْرُونَ  
بَيْتًا هِيَ مَجْمُوعٌ مَا ثَبَتَ فِي كِتَابَيْهِمَا.

لِسَائِلِ الدَّمْعِ عَنْ بَغْدَادَ أَخْبَارُ  
فَمَا وَقُوفُكَ وَالْأَخْبَابُ قَدْ سَارُوا؟  
يَا زَائِرِينَ إِلَى الزُّورَاءِ لَا تَفِدُوا  
فَمَا بِذَلِكَ الْجَمْنِ وَالْدَّارِ دِيَارُ<sup>(١)</sup>

(١) الديار: ساكن الدار.

نَاجُ الْخِلَافَةِ وَالرُّبْعِ الَّذِي شَرُفْتُ  
 بِهِ الْمَعَالِمُ قَدْ عَفَاهُ إِثْقَارُ  
 أَضْحَى لِمَعْصِفِ الْبَلَى فِي رُبْعِهِ أَثَرُ  
 وَلِلدُّمُوعِ عَلَى الْأَثَارِ آثَارُ  
 يَا نَارَ قَلْبِي مِنْ نَارِ لِحَرْبٍ وَغَى  
 شَبَّثَ عَلَيْهِ وَوَأَى الرُّبْعِ إِغْصَارُ  
 عَلَا الصُّلَيْبُ عَلَى أَغْلَى مَنَابِرِهَا  
 وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَنْ يَخُونُهُ زُنَارُ  
 وَكَمْ حَرِيمٍ سَبَّثَهُ الثُّرُكُ غَاصِبَةً  
 وَكَانَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ السُّثْرِ أَشْنَارُ  
 وَكَمْ بُدُورٍ عَلَى الْبَذْرِئَةِ انْخَسَفَتْ  
 وَلَمْ يَغْذِ لِبُدُورٍ مِنْهُ إِنْدَارُ  
 وَكَمْ دَخَائِرَ أَضْحَتْ وَهِيَ شَائِعَةٌ  
 مِنَ النَّهَابِ وَقَدْ حَازَتْهُ كُفَّارُ  
 وَكَمْ حُدُودٍ أَقْبَمَتْ مِنْ سُيُوفِهِمْ  
 عَلَى الرُّقَابِ وَحَطَّتْ فِيهِ أَوْزَارُ  
 نَادَيْتُ وَالسُّبْبِي مَهْتُوكٌ يَجْرُهُمْ  
 إِلَى السُّفَاحِ مِنَ الْأَعْدَاءِ دُعَارُ  
 وَهُمْ يُسَاقُونَ لِلْمَوْتِ الَّذِي شَهِدُوا  
 النَّارُ يَا رَبِّ مِنْ هَذَا وَلَا الْعَارُ  
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْقَوْمَ أَغْفَلَهُمْ  
 مَا كَانَ مِنْ نَعَمٍ فِيهِنَّ إِكْثَارُ

فَأَمَلُوا جَانِبَ الْجَبَّارِ إِذْ غَفَلُوا  
فَجَاءَهُمْ مِنْ جُنُودِ الْكُفْرِ جَبَّارُ  
يَا لِرَجَالٍ بِأَخْدَاتٍ تُحَدِّثُنَا  
بِمَا غَدَا فِيهِ إِغْدَارُ وَإِنْدَارُ  
مِنْ بَعْدِ أَسْرِ بَنِي الْعَبَّاسِ كُلُّهُمْ  
فَلَا أَنَارَ لَوَجْهِ الصُّبْحِ إِسْفَارُ  
مَا رَأَى لِي قَطُّ شَيْءَ بَعْدَ بَيْنِهِمْ  
إِلَّا أَحَادِيثُ أَرْوِيهَا وَأَنَارُ  
لَمْ يَبْقَ لِلدِّينِ وَالْدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبُوا  
سُوقَ لِمَجْدٍ وَقَدْ بَانُوا وَقَدْ بَارُوا  
إِنَّ الْقِيَامَةَ فِي بَغْدَادٍ قَدْ وَجَدَتْ  
وَحَدَّثَهَا حِينَ لِلْإِقْبَالِ إِذْ بَارُ  
أَلِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ سَبَّيُوا  
فَمَنْ تُرَى بَعْدَهُمْ تَخْوِينُهُ أَمْصَارُ؟  
مَا كُنْتُ أَمَلُ أَنْ أَبْقَى وَقَدْ ذَهَبُوا  
لَكِنْ أَنتَ دُونَ مَا اخْتَارَ أَقْدَارُ  
إِلَيْكَ يَا رَبَّنَا الشُّكُورُ فَأَنْتَ تَرَى  
مَا حَلَّ بِالدِّينِ وَالْبَاغُورِ فُجَّارُ

## الشَّهْرُورِيُّ الْمُقْتُولُ

### الْقَصِيدَةُ الْإِشْرَاقِيَّةُ

شَاعِرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ قُتِلَ فِي حَلَبَ وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ  
عُمُرِهِ، بِتُهْمَةِ التَّخْلِيْطِ فِي الْعَقِيْدَةِ، عَلَى يَدِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بْنِ السُّلْطَانِ  
صَلَحِ الدِّينِ الْأَيْوْبِيِّ، وَبِفَتْوَى مِنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ فِي حَلَبَ. لَهُ شِعْرٌ  
قَلِيلٌ فِي التَّصَوُّفِ، وَكُتِبَ كَثِيرَةٌ فِي الْإِشْرَاقِ وَالنَّفْسِ، كَانَ مُفْرِطَ الذِّكَاةِ  
فَصِيحَ الْعِبَارَةِ، وَكَانَ يُرَدِّدُ: لَا بُدَّ أَنْ أَمْلُكَ الْأَرْضَ، وَحِينَ يُسْأَلُ: مَنْ  
أَبْنَى لَكَ هَذَا، يُجِيبُ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ إِنِّي شَرِبْتُ مَاءَ الْبَحْرِ  
وَيَذْكُرُ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّهُ لَمَّا تَحَقَّقَ مِنْ قَتْلِهِ، كَانَ كَثِيرًا مَا يُشِيدُ:

أَرَى قَدَمِي أَرَاقَ دَمِي وَهَانَ دَمِي فَهَانَ دَمِي  
وَهُوَ تَكْنِيفٌ لِيَتَبَيَّنَ لِأَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِي، وَيُنَسَّبَانِ كَذَلِكَ لِلْحَلَاكِ.  
وَهُمَا:

إِلَى خَشْفِي سَعَى قَدَمِي أَرَى قَدَمِي، أَرَاقَ دَمِي  
فَمَا أَنْفَكَ مِنْ نَدَمٍ وَهَانَ دَمِي فَهَانَ دَمِي  
قَالَ بِاقُوتُ الْحَمَوِيُّ عَنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ فِي «مُعْجَمِ الْبُلْدَانِ»: إِنَّهَا أَجْوَدُ

مَا قَالَ السَّهْرُورِيُّ الْمَقْتُولُ مِنْ شِعْرِ.

أَبَدًا تَحْنُ إِلَيْكُمْ الْأَرْوَاحُ وَوَصَّالُكُمْ رِنَحَائِهَا وَالرَّاحُ  
وَقُلُوبُ أَهْلِ وَدَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ وَإِلَى لَدِيدِ لِقَائِكُمْ تَرْتَاخُ  
وَأَرْحَمَةُ لِلْعَاشِقِينَ تَكَلَّفُوا سِرَّ الْمَحَبَّةِ وَالْهَوَى فُضَّاحُ  
بِالسَّرِّ إِنْ بَاخُوا تُبَاحُ دِمَاؤُهُمْ وَكَذَا دِمَاءُ الْعَاشِقِينَ تُبَاحُ  
وَإِذَا هُمْ كَتَمُوا تَحَدَّثَ عَنْهُمْ عِنْدَ الْوِشَاةِ الْمَذْمُوعِ السَّفَاحُ  
أَحْبَابِنَا، مَاذَا الَّذِي أَفْسَدْتُمْ بِحَفَائِكُمْ؟ غَيْرَ الْفَسَادِ صَلَاحُ  
خَفَضَ الْجَنَاحَ لَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ لِلصَّبِّ فِي خَفَضِ الْجَنَاحِ جُنَاحُ  
وَبَدَتْ شَوَاهِدُ لِلْسَّقَامِ عَلَيْهِمْ فِيهَا لِمُشْكِلِ أَمْرِهِمْ إِنْضَاحُ  
فَإِلَى لِقَائِكُمْ نَفْسُهُ مُرْتَاخَةٌ وَإِلَى رِضَائِكُمْ طَرْفُهُ طَمَاحُ  
عُودُوا بِنُورِ الْوَضَلِ مِنْ غَسَقِ الدُّجَى فَالْهَجْرُ لَيْلٌ وَالْوِصَالُ صَبَاحُ  
صَافَاهُمْ فَصَفَوْا لَهُ قُلُوبَهُمْ فِي نُورِهَا الْمِشْكَاةُ وَالْمِضْبَاحُ  
وَتَمَتَّعُوا فَالْوَقْتُ طَابَ لِقُرْبِكُمْ رَاقِ الشَّرَابِ وَرَقَّتِ الْأَقْدَاحُ  
يَا صَاحِ لَيْسَ عَلَى الْمُحِبِّ مَلَامَةٌ إِنْ لَاحَ فِي أَفْقِ الْوِصَالِ صَبَاحُ  
لَا ذَنْبَ لِلْعُشَّاقِ إِنْ غَلَبَ الْهَوَى كِتْمَانُهُمْ فَنَمَّا الْغَرَامُ فَبَاخُوا  
سَمَحُوا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا بَخِلُوا بِهَا لَمَّا ذَرَوْا أَنَّ السَّمَاحَ رِبَاحُ  
وَدَعَاهُمْ دَاعِي الْحَقَائِقِ دَعْوَةٌ فَعَدُوا بِهَا مُسْتَأْنِسِينَ وَرَاحُوا  
رَكِبُوا عَلَى سَنَنِ الْوَفَا وَدُمُوعُهُمْ بَخَرٌ وَشِدَّةُ شَوْقِهِمْ مَلَاخُ  
وَاللَّهِ مَا طَلَبُوا الْوُقُوفَ بِبَابِهِ حَتَّى دَعَا فَاتَاهُمُ الْمِفْتَاحُ  
لَا يَسْطَرِبُونَ بِغَيْرِ ذِكْرِ حَبِيبِهِمْ أَبَدًا فَكُلُّ زَمَانِهِمْ أَفْرَاحُ  
خَضَرُوا وَقَدْ غَابَتْ شَوَاهِدُ ذَاتِهِمْ فَتَهَنَّكُوا لَمَّا رَأَوْهُ وَصَاحُوا

أَفَنَأَمُّهُمْ عَنْهُمْ وَقَدْ كُشِفَتْ لَهُمْ  
فَتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ  
قُمْ يَا نَدِيمُ إِلَى الْمُدَامِ فَهَاتِهَا  
مِنْ كَرَمِ أَكْرَامِ بَدَنٍ دِيَانَةٍ  
هِيَ خَمْرَةُ الْحُبِّ الْقَدِيمِ وَمُنْتَهَى  
وَكَذَاكَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ أَسْكَرَتْ  
وَصَبَتْ إِلَى مَلَكُوتِهِ الْأَزْوَاحُ  
وَكَأَنَّمَا أَجْسَامُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ  
مَنْ بَاخَ بَيْنَهُمْ بِذِكْرِ حَبِيبِهِ  
حُجِبُ الْبَقَا فَتَلَاشَتْ الْأَزْوَاحُ  
إِنَّ التَّشَبُّهَ بِالْكَرَامِ فَلَاحُ  
فِي كَأْسِهَا قَدْ دَارَتْ الْأَقْدَاحُ  
لَا خَمْرَةَ قَدْ دَاسَهَا الْفَلَاحُ  
غَرَضِ النَّدِيمِ فَنِعْمَ ذَاكَ الرَّاحُ  
وَلَهُ بِذَلِكَ رَأْيٌ وَنَيْحُ  
وَالِإِلَى لِقَاءِ سِوَاهُ مَا يَرْتَاحُ  
فِي ضَوْئِهَا، الْمِشْكَاةُ وَالْمِضْبَاحُ  
دَمُهُ حَلَالٌ لِلْسُّيُوفِ مُبَاحُ

## أَبُو الْبَقَاءِ الرَّنْدِي

### مَرْثِيَةُ الْأَنْدَلُسِ

سَمَّاها الْمَقْرِي فِي «نَفْحِ الطُّيْبِ مِنْ غُضَنِ الْأَنْدَلُسِ الرَّطِيبِ» :  
«الْقَصِيدَةُ الْفَرِيدَةُ» وَلَكِنَّهُ يُشِيرُ إِلَى زِيَادَاتِ الْحَقِّثِ بِالْقَصِيدَةِ لِشِدَّةِ  
إِعْجَابِ النَّاسِ بِهَا «يُوجَدُ بِأَيْدِي النَّاسِ زِيَادَاتٌ فِيهَا ذِكْرُ غَرْنَاطَةِ وَبَسْطَةِ  
وغيرهما مما أُخِذَ مِنَ الْبِلَادِ بَعْدَ مَوْتِ الرَّنْدِيِّ، إِذْ كَانَ أَهْلُهَا يَسْتَهْضُونَ  
مِمَّ الْمُلُوكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ» وَالرَّانْدِيُّ نِسْبَةً إِلَى «رَنْدَةٍ» وَهِيَ مِنْ  
بُلْدَاتِ مَدِينَةِ «مَلَقَا» فِي الْأَنْدَلُسِ . وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ تَقْتَرِبُ فِي الْوَاقِعِ مِنْ  
نَمُودَجِ شِعْرِيٍّ سَابِقٍ لَهَا هُوَ قَصِيدَةُ ابْنِ عَبْدِوَنَ وَهُوَ شَاعِرٌ أَنْدَلُسِيٌّ كَذَلِكَ  
سَبَقَ الرَّانْدِيُّ بِأَكْثَرِ مِنْ قَرْنٍ وَهِيَ الْقَصِيدَةُ الْمَعْرُوفَةُ بِـ «الْبَسَامَةِ» فِي رِثَاءِ  
دَوْلَةِ بَنِي الْأَفْطَسِ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فِي الْأَنْدَلُسِ ، الَّتِي تَقَعُ فِي أَكْثَرِ مِنْ  
سَبْعِينَ بَيْتًا وَيَقُولُ فِي مَطْلَعِهَا :

«الدَّهْرُ يُفْجِعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّورِ»  
وَبِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ قَصِيدَةَ الرَّانْدِيِّ قِيلَتْ بَعْدَ سُقُوطِ إِشْبِيلِيَّةٍ إِلَّا أَنَّهَا قُرِئَتْ  
عَلَى أَنَّهَا «مَرْثِيَةُ الْأَنْدَلُسِ» مَعَ أَنَّ غَرْنَاطَةَ لَمْ تَسْقُطْ إِلَّا بَعْدَ وَقَاةِ الرَّانْدِيِّ  
بِأَكْثَرِ مِنْ قَرْنَيْنِ .

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ  
 فَلَا يُغَرِّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ  
 هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُولُ  
 مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَرْمَانُ  
 وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ  
 وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ  
 يُمَرِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِقَةٍ  
 إِذَا نَبَتْ مَشْرِفِيَّاتُ وَخُرْصَانُ<sup>(١)</sup>  
 وَيَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ لِفَنَاءٍ وَلَوْ  
 كَانَ ابْنُ ذِي يَزْنَ وَالْغِمْدُ غِمْدَانُ  
 أَيْنَ الْمُلُوكُ ذَوُو التَّيْجَانِ مِنْ يَمَنِ  
 وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيْجَانُ؟  
 وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شِدَادُ فِي إِرَمِ  
 وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ؟  
 وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبِ  
 وَأَيْنَ عَادَ وَشِدَادُ وَقَحْطَانُ؟  
 أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ  
 حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا  
 وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلِكٍ وَمِنْ مَلِكِ  
 كَمَا حَكَى عَنْ خِيَالِ الطَّيْفِ وَشَنَانِ

(١) الخرصان: الرَّمَّاح.

دَارَ الزَّمَانِ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِهِ  
 وَأُمِّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِنْوَانُ  
 كَأَنَّمَا الصُّغْبُ لَمْ يَسْهَلْ لَهُ سَبَبُ  
 يَوْمًا وَلَا مَلَكُ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ  
 فَجَائِعُ الدُّهْرِ أَنْوَاعُ مُنَوَّعَةٌ  
 وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَخْرَانُ  
 وَلِلْحَوَادِثِ سُلُوكٌ يُهَوِّئُهَا  
 وَمَا لِمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوكُ  
 دَهْنِ الْجَزِيرَةِ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ  
 مَوَى لَهُ أَحَدٌ وَإِنِّ هَذَا تَهْلَانُ<sup>(١)</sup>  
 أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَارْتَرَاتُ  
 حَتَّى خَلَّتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَيُلْدَانُ  
 فَاسْأَلِ بَلَنَسِيَّةَ مَا شَأْنُ مَرْسِيَّةِ  
 وَأَيْنَ شَاطِبَةُ أَمِ أَيْنَ جِيَانُ  
 وَأَيْنَ قَرْطُوبَةُ دَارِ الْعُلُومِ فَكَمْ  
 مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَأْنُ  
 وَأَيْنَ جَنْصُ وَمَا تَخْوِيهِ مِنْ نُزْرِ  
 وَتَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَأْضُ وَمَلَانُ  
 قَوَاعِدُ كُنْ أَرْكَانُ الْبِلَادِ فَمَا  
 عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ

(١) تَهْلَانُ: اسم جبل بالبادية معروف، ومنه المثل السائر يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ الرَّزِينِ الْوَقُورِ  
 فيقال: «تهلان ذو الهضبات ما يتحلحل»

تَبْكِي الْحَنَيْفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ  
كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيْمَانُ  
عَلَى دِيَارِ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ  
قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكَفْرِ عُمْرَانُ  
حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا  
فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ  
حَتَّى الْمَحَارِبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ  
حَتَّى الْمَنَابِرُ تَبْكِي وَهِيَ عِيدَانُ  
يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ  
إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةِ فَالدَّهْرِ يَفْظَانُ  
وَمَا شَيْءٌ مَرَحًا يُلْهِيه مَوْطِئُهُ  
أَبْغَدَ حِمَصَ تَغْرُ الْمَرْءِ أَوْطَانُ<sup>(١)</sup>؟  
تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْتَ مَا تَقْدَمُهَا  
وَمَا لَهَا مِنْ طَوَالِ الدَّهْرِ نَسِيَانُ  
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْبَيْضَاءُ رَايْتُهُ  
أَذْرَكَ بِسَيْفِكَ أَهْلَ الْكُفْرِ لَا كَانُوا  
يَا رَاكِبِينَ عِتَاقِ الْخَيْلِ ضَامِرَةً  
كَانَهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ

---

(١) حمصٌ هنا ليست حمص الشام، وإنما حمص الأندلس: إشبيلية، يقول ياقوت في معجم البلدان: وهم يسمون مدينة إشبيلية حمص وذلك أن بني أمية لما حلوا بالأندلس وملكوها سموها عدة مدن بها بأسماء مدن الشام، ولما دخل جند من جنود حمص إلى الأندلس سكنوا إشبيلية فسميت بهم.

وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْمِفَةً  
كَأَنَّهَا فِي ظِلَامِ النُّفْعِ نِيرَانُ  
وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَا  
لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ حِرٌّ وَسُلْطَانُ  
أَعْنَدَكُمْ نَبَأَ مِنْ أَهْلِ أُنْدَلُسِ  
فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ  
كَمْ يَسْتَفِيثُ بِنَا الْمُسْتَضَعْفُونَ وَهُمْ  
قَتَلْنِي وَأَسْرَى قِمَا يَهْتَرُ إِنْسَانُ  
مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمْ  
وَأَنْتُمْ يَا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانُ؟  
أَلَا نُفُوسُ أَبْيَاتٍ لَهَا هِمَمٌ  
أَمَا عَلَيَّ الْخَيْرِ أَنْصَارُ وَأَعْوَانُ؟  
يَا مَنْ لِدَلَةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزَّتِهِمْ  
أَحَالَ خَالَهُمْ كُفْرًا وَطُغْيَانُ  
بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ  
وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ  
فَلَوْ تَرَأْتُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ  
عَلَيْهِمْ مِنْ ثِيَابِ الدُّلِّ أَلْوَانُ  
وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَائِهِمْ عِنْدَ بَيْعِهِمْ  
لَهَالِكَ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَخْرَانُ  
يَا رَبِّ أُمٍّ وَطِفْلٍ حَيْلَ بَيْنَهُمَا  
كَمَا نَفَرَقَ أَرْوَاحَ وَأَبْدَانُ

وطفلةٍ مثلَ حُسنِ الشُّمسِ إذْ برزتْ  
كأنما هي ياقوتٌ ومرجانٌ  
يقودها العِلجُ للمكرُوهِ مُكرَهةً  
والمَينُ باكيةٌ والقلبُ حيرانُ  
لمثلِ هذا يَبكي القلبُ من كمدِ  
إن كانَ في القلبِ إسلامٌ وإيمانُ

## هاشم الرفاعي

### رسالة في ليلة التنفيذ

شاعرٌ مِصرِيٌّ، اسمه الحقيقي: «سيد بن جامع» من مواليد محافظة الشرقية عام ١٩٣٥. ولقي مصرعه في العام ١٩٥٩ وهو في الرابعة والعشرين من عمره.

وإذا كان اسمه الحقيقي قد غاب خلف الاسم الجديد، فإن كل ما كتبه من شعر، وهو ليس بقليل قياساً بتجربته وعمره، انطوى تقريباً، وربما احترق، تحت الأضواء الكثيفة لهذه القصيدة المشهورة.

حتى أن الذين قرأوا هذه القصيدة أصيبوا بالصدمة بعد ظهور ديوان الرفاعي فقد كانوا يريدون أن يتقن هذا الشاعر وليس عنده سوى «رسالة في ليلة التنفيذ»<sup>(١)</sup>

كتبت هذه القصيدة على لسان شاب إلى والديه في ليلة تنفيذ حكم الإعدام به، فهل كان الرفاعي هو ذلك الشاب؟ لقد التبس الأمر على

---

(١) ديوان هاشم الرفاعي «جمع وتحقيق محمد حسن بريغش: دار المنار الأردن

الكثيرين، وفيه ما يدعو إلى الالتباس حقاً، إذ تحكمت هذه الرسالة  
المفترضة، بمصير الشاعر إلى حد بعيد.

فقد كانت هذه القصيدة من أواخر نتائج الشاعر، وسرعان ما ذاعت  
شهرتها خارج مضر حين ألقاها في مهرجان الشعر العربي في دمشق  
خلال فترة الوحدة بين البلدين وتحتيداً في العام ١٩٥٩، وتضاعفت  
شهرتها بعد أقل من شهرين عندما لقي شاعرها مضرعه طعناً بالسكّن  
على يد بعض منافسيه على رئاسة أحد الأندية الثقافية المحلية. ولعل  
هذه الحادثة تلخص وجهاً من وجوه الصراع بين الشيوعيين  
والإسلاميين في مضر في تلك الفترة خاصة وأن الرفاعي يمثل التيار  
الديني فيما كان منافسوه من الشيوعيين، لتكون قصيدته قراءة مبكرة  
واستباقية لمصير شاعر جرى إعدامه في الشارع هذه المرة لا في  
الزنازة.

حتى ظن الكثيرون وبعضهم دون ذلك في الكتب، أن الرفاعي كتب  
قصيدته تلك من سجنه قبل أن يُنفذ به حكم الإعدام، فيما الواقع يقول:  
أن الرفاعي لم يُعتقل طوال حياته الوجيزة.

أبناء ماذا قد يخطبائي  
والحبلى والجلاد ينتظرائني؟  
هذا الكتاب إليك من زنازة  
مفرورة صخرية الجدران  
لم تبق إلا ليلة أخيراً  
وأجس أن ظلامها أكفائي

سَمُرِيَا أَبْنَاهُ، لَسْتُ أَشْكُ فِي  
هَذَا وَتَحْمِلُ بَعْدَهَا جُثَمَانِي

\*\*\*

الَلَّيْلُ مِنْ حَوْلِي هُدُوَّةٌ قَائِلٌ  
وَالذِّكْرِيَّاتُ تَمُورُ فِي وَجْدَانِي  
وَيَهْدُنِي أَلْمِي فَأَتَشُدُّ رَاحَتِي  
فِي بَضْعِ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ  
وَالنَّفْسُ بَيْنَ جَوَانِحِي شَفَافَةٌ  
دَبَّ الْخُشُوعُ بِهَا فَهَرُّ كِبَانِي  
قَدْ عَشْتُ أَوْ مِنْ بِالْإِلَهِ وَلَمْ أَذُقْ  
إِلَّا أَحْسَنَ رَازِقِ الْإِيمَانِ  
شُكْرًا لَهُمْ، أَنَا لَا أُرِيدُ طَعَامَهُمْ  
فَلَيْزُقَعُوهُ فَلَسْتُ بِالْجُوعَانِ  
هَذَا الطَّعَامُ الْمُرُّ مَا صَنَعْتُهُ لِي  
أُمِّي وَلَا وَضَعُوهُ فَوْقَ خِيَّانٍ<sup>(١)</sup>  
كَلَّا وَلَمْ يَشْهَدْهُ يَا أَبَتِي مَعِي  
أَخْوَانِ جَاءَهُ يَسْتَبِقَانِ  
مَدُّوا إِلَيَّ بِهِ يَدَا مَضْبُوعَةً  
بِدَمِي وَهَذِي غَايَةُ الْإِحْسَانِ

---

(١) الخوان: المائدة.

وَالصُّمْتُ يَفْطَعُهُ رَنْبِيْنُ سَلَابِلِ  
 عَبَبْتُ بِهِنْ أَصَابِعُ السَّجَّانِ  
 مَا بَيْنَ آوْنَةٍ تَمُرُّ وَأُخْتِنَهَا  
 يَرْزُو إِلَيَّ بِمُقْلَتَي شَيْطَانِ  
 مِنْ كُؤَةٍ بِالبَابِ يَرْقُبُ صَيْدَهُ  
 وَيَعُودُ فِي أَمْنٍ إِلَى الدَّوْرَانِ  
 أَنَا لَا أَحْسُ بِأَيِّ حَقْدٍ نَخْوُهُ  
 مَاذَا جَنَى فَتَمَسَّهُ أَضْغَانِي؟  
 هُوَ طَيِّبُ الْأَخْلَاقِ مِثْلَكَ يَا أَبِي  
 لَمْ يَبْدُ فِي ظَمَأٍ إِلَى الْعُذْوَانِ  
 لَكِنَّهُ إِنْ نَامَ عَنِّي لَحِظَةٌ  
 ذَاقَ الْعِيَالُ مَرَارَةَ الْحِرْمَانِ  
 فَلَرُبَّمَا وَهُوَ الْمُرْوُوعُ سَخَنَةٌ  
 لَوْ كَانَ مِثْلِي شَاعِرًا لَرَثَانِي  
 أَوْ عَادَ - مَنْ يَذَرِي - إِلَى أَوْلَادِهِ  
 يَوْمًا وَذَكَرَ صُورَتِي، لَبَكَّانِي  
 وَعَلَى الْجِدَارِ الصُّلْبِ نَافِذَةٌ بِهَا  
 مَغْنَى الْحَيَاةِ غَلِيظَةُ الْقَضْبَانِ  
 قَدْ طَالَ مَا شَارَفَتْهَا مُتَأَمِّلًا  
 فِي الثَّائِرِينَ عَلَى الْأَسَى الْيَقْظَانِ  
 فَأَرَى وَجُومًا كَالضُّبَابِ مُصَوِّرًا  
 مَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ غَلِيَانِ

نَفْسُ الشُّعُورِ لَدَى الْجَمِيعِ وَإِنْ هُمْ  
كَتَمُوا وَكَانَ الْمَوْتُ فِي إِغْلَابِي  
وَيَدُورُ هَمْسٌ فِي الْجَوَانِحِ مَا الَّذِي  
بِالنُّورَةِ الْحَمَقَاءِ قَدْ أَغْرَانِي؟  
أَو لَمْ يَكُنْ خَيْرًا لِنَفْسِي أَنْ أَرَى  
مِثْلَ الْجُمُوعِ أَسِيرُ فِي إِذْعَانِ؟  
مَا ضَرَّئِي لَوْ قَدْ سَكَتُ وَكُلَّمَا  
غَلَبَ الْأَسَى بِالْفَتْ فِي الْكِثْمَانِ؟  
هَذَا دَمِي سَيَسِيلُ بِجَرِي مُطْفِئًا  
مَا ثَارَ فِي جَنْبِي مِنْ نِيرَانِ  
وَفُؤَادِي الْمَوَارُ فِي نَبْضَاتِهِ  
سَيَكْفُ فِي غَدِهِ عَنِ الْخَفَقَانِ  
وَالظُّلُمُ بَاقٍ لَنْ يُحْطَمَ قَبْدَهُ  
مَوْتِي وَلَنْ يُودِيَ بِهِ قُرْبَانِي  
وَيَسِيرُ رَكْبُ الْبَغْيِ لَيْسَ بِضَيْرُهُ  
شَاءَ إِذَا أَجْتُثَّتْ مِنَ الْقِطْعَانِ  
هَذَا حَدِيثُ النَّفْسِ حِينَ تَشْفُ عَنْ  
بَشَرِيَّتِي وَتَمُورُ بَعْدَ ثَوَانِ  
وَتَقُولُ لِي: إِنَّ الْحَيَاةَ لِنَغَايَةٍ  
أَسْمَى مِنَ التَّضْفِيقِ لِلطُّغْيَانِ  
أَنْفَاسُكَ الْحَرَّى وَإِنْ هِيَ أَخْمِدَتْ  
سَتَظِلُّ تَغْمُرُ أَفْقَهُمْ بِدُخَانِ

وَقُرُوحُ جَسْمِكَ وَهُوَ تَحْتَ سِيَاطِهِمْ  
قَسَمَاتُ صُبْحٍ يَتَّقِيهِ الْجَانِي  
دَمْعُ السُّجَّينِ هُنَاكَ فِي أَغْلَالِهِ  
وَدَمُ الشَّهِيدِ هُنَا سَيَلْتَقِيَانِ  
حَتَّى إِذَا مَا أَفْعَمَتْ بِهِمَا الرُّبَا  
لَمْ يَبْقَ غَيْرُ تَمَرْدِ الْفَيْضَانِ  
وَمِنَ الْعَوَاصِفِ مَا يَكُونُ هُبُوبُهَا  
بَغْدَ الْهُدُوءِ وَرَاحَةِ الرُّبَّانِ  
إِنَّ اخْتِدَامَ النَّارِ فِي جَوْفِ الثَّرَى  
أَمْرٌ يُثِيرُ حَفِظَةَ الْبُرْكَانِ  
وَتَتَابِعُ الْقَطَرَاتِ يَنْزِلُ بَعْدَهُ  
سَيْلٌ يَلِيهِ تَذْفُقُ الطُّوفَانِ  
فَيَمُوجُ يَقْتَلِعُ الطُّغَاةَ مُزْمَجِرًا  
أَقْوَى مِنَ الْجَبَرُوتِ وَالسُّلْطَانِ  
أَنَا لَسْتُ أَذْرِي هَلْ سَتُذَكِّرُ قِصَّتِي  
أَمْ سَوْفَ يَغْرُوهَا دُجَى النُّسَيَّانِ؟  
أَمْ أَنِّي سَأَكُونُ فِي تَارِيخِنَا  
مُتَّامِرًا أَمْ هَادِمَ الْأَوْثَانِ؟  
كُلُّ الْإِلَهِ أَذْرِيهِ أَنْ تَجْرُعِي  
كَأَسَ الْمَذَلَّةِ لَيْسَ فِي إِمْكَانِي  
لَوْلَمْ أَكُنْ فِي ثَوْرَتِي مُسْتَطَلَبًا  
غَيْرَ الضُّيَاءِ لِأُمِّي لَكَفَانِي

أَهْوَى الْحَيَاةَ كَرِيمَةً لَا قَيْدَ، لَا  
إِزْهَابَ لَا أَشْتِخْفَافَ بِالْإِنْسَانِ  
فَإِذَا سَقَطْتُ سَقَطْتُ أَحْمِلْ عِزِّي  
يَغْلِبْ دَمَ الْأَخْرَارِ فِي شِرْزَانِي

\*\*\*

أَبْنَاهُ إِنْ طَلَعَ الصُّبْحُ عَلَى الدُّنْيَا  
وَأَضَاءَ نُورُ الشَّمْسِ كُلَّ مَكَانٍ  
وَأَسْتَقْبَلَ الْعُضْفُورُ بَيْنَ غُصُونِهِ  
يَوْمًا جَدِيدًا مُشْرِقَ الْأَلْوَانِ  
وَسَمِعْتَ أَنْغَامَ التُّفَاوِيلِ ثَرَّةً  
تَجْرِي عَلَى قِمِّ بَائِعِ الْأَلْبَانِ  
وَأَنْتِ يَدُوكِ - كَمَا تَعُودُ - بَابِنَا  
سَيَدُوكِ بَابَ السُّجْنِ جَلَادَانِ  
وَأَكُونُ بَعْدَ هَذِهِ مُتَأَرْجِحًا  
فِي الْحَبْلِ مَشْدُودًا إِلَى الْعِيدَانِ  
لِيَكُنْ عَزَاؤُكَ أَنَّ هَذَا الْحَبْلَ مَا  
صَنَعْتَهُ فِي هَذِهِ الرُّبُوعِ يَدَانِ  
نَسَجُوهُ فِي بَلَدٍ يَشُعُّ حَضَارَةً  
وَتُضَاءُ مِنْهُ مَشَاعِلُ الْعِرْفَانِ  
أَوْ هَكَذَا زَعُمُوا وَجِيءَ بِهِ إِلَيَّ  
بَلَدِي الْجَرِيحُ عَلَى يَدِ الْأَعْوَانِ

أَنَا لَا أُرِيدُكَ أَنْ تَعِيشَ مُحَطَّمًا  
فَإِنِّي رُخْمَةٌ الْآلَامِ وَالْأَشْجَانِ  
إِنَّ ابْنَكَ الْمَضْفُودَ فِي أَغْلَالِهِ  
قَدْ سِيقَ نَحْوَ الْمَوْتِ غَيْرَ مُدَانٍ  
فَإِذْ تُكْرَجُ حِكَايَاتُ بِأَيَّامِ الصُّبَا  
قَدْ قُلْتَهَا لِي عَنْ هَوَى الْأَوْطَانِ  
وَإِذَا سَمِعْتَ نَحِيبَ أُمِّي فِي الدُّجَى  
تَبْكِي شَبَابًا ضَاعَ فِي الرِّيعَانِ  
وَتُكَنِّمُ الْحَسَرَاتِ فِي أَعْمَاقِهَا  
أَلَمْ أَتُورِثْهُ عَنِ الْجِيرَانِ  
فَاطْلُبْ إِلَيْهَا الصَّفْحَ عَنِّي إِنِّي  
لَا أَبْتَغِي مِنْهَا سِوَى الْغُفْرَانِ  
مَا زَالَ فِي سَمْعِي رَنِينُ حَدِيثِهَا  
وَمَقَالِهَا فِي رُخْمَةِ وَحْنَانِ  
أَبْنِي: إِنِّي قَدْ غَدَوْتُ عَلَى لَيْلَةٍ  
لَمْ يَبْقَ لِي جَلْدٌ عَلَى الْأَخْرَانِ  
فَإِذْ قُودِي فَرْحَةً بِالْبَحْثِ عَنْ  
بَنَاتِ الْحَلَالِ وَدَعَكَ مِنْ عِضْيَانِي  
كَأَنَّ لَهَا أُمْنِيَّةَ رِيَاءَةٍ  
يَا حُسْنَ آمَالٍ لَهَا وَأَمَانِي

وَالآنَ . . لا أَذْري بِأَيِّ جَوَانِح  
سَتَبِيثُ بَغْدِي أَمْ بِأَيِّ جَنَانِ

\*\*\*

هَذَا الَّذِي سَطَرْتُهُ لَكَ يَا أَبِي  
بَغْضُ الَّذِي يَجْرِي بِفِكْرِ عَانِ  
لَكِنْ إِذَا انْتَصَرَ الضُّيَاءُ وَمُرُقَتْ  
بَيْدِ الْجُمُوعِ شَرِيعَةُ الْقُرْصَانِ  
فَلَسَوْفَ يَذْكُرُنِي وَيُكَبِّرُ هِمَّتِي  
مَنْ كَانَ فِي بَلَدِي حَلِيفَ هَوَانِ  
وَالِي لِقَاءِ نَحْتِ ظِلِّ عَدَالَةٍ  
قُدْسِيَّةِ الْأَحْكَامِ وَالْمِيزَانِ

## عَبْدُ الْأَمِيرِ الْحَصِيرِي

### شَرِيدُ الْقَلَقِ

وُلِدَ الْحَصِيرِيُّ، وَاسْمُهُ الْحَقِيقِيُّ «عَبْدُ الْمُؤَيَّرِ عَبْدُ مَهْدِي» فِي مَدِينَةِ  
«النَّجَفِ» عَامَ ١٩٤٢، وَتُوفِّيَ فِي بَغْدَادَ عَامَ ١٩٧٨.

شَاعِرٌ رَجِيْمٌ شَرِيدٌ يَفِيضُ شِعْرًا وَذُهُولًا، صُغْلُوكٌ، سِكِّيرٌ، عَاطِلٌ،  
نَجَفِيٌّ مُتَمَرِّدٌ عَلَى بَيْتِهِ، مَاتَ فِي بَغْدَادَ وَحِيدًا شَرِيدًا، مَخْمُورًا. تَتَزَاوَمُ  
هَذِهِ الصِّفَاتُ فِي شَخْصِهِ كَمَا تَتَدَافَعُ الصُّورُ الْمُتَبَتِّكَةُ فِي قَصِيدَتِهِ، فَهُوَ  
شَاعِرٌ مُبْتَكِرٌ دَاخِلُ الشَّكْلِ الْعُمُودِيِّ.

فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ شَرَاسَةُ فِي الصُّورَةِ وَعَزِيدَةُ فِي الْبَلَاغَةِ وَفِي الْعَلَاقَاتِ  
بَيْنَ الْمُفْرَدَاتِ تُنَاسِبُ شَخْصِيَّتَهُ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ مُحَاوَلَةِ تَخْفِيهِ وَرَاءَ سِيرَةِ  
عُرْوَةِ بِنِ الْوَرْدِ، فِي أَحَدِ دَوَائِرِنِهِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ مُطَوَّلَاتِهِ وَقَصَائِدِهِ  
الضَّائِعَةِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ، فَقَدْ بَقِيَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ الصُّورَةُ الْأَخِيرَةُ الرَّاسِخَةُ  
وَالثَّامَّةُ لِلشَّاعِرِ، يَلْتَفِطُهَا لِنَفْسِهِ فِي شَوَارِعِ بَغْدَادَ وَفِي الْمَقَاهِي وَالْحَنَاتِ  
وَكَوَابِسِ الْوَحْشَةِ، وَقَبْلَ ذَلِكَ فِي صَمِيمِ الْقَلَقِ الَّذِي يُحَاوِرُهُ الْحَصِيرِيُّ  
بِصُورَةٍ لَافِتَةٍ.

وَمُنْذُ عَامٍ ١٩٧٠، حِينَ صَدَرَتْ ضِمْنِ مَجْمُوعَةِ «أَنَا الشَّرِيدُ» وَإِلَى  
الْيَوْمِ، تُعَدُّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ، أَنْشُودَةُ الصَّعَالِيكِ فِي الْعِرَاقِ تَحْدِيدًا، وَإِنْ  
كَانَتْ غَيْرَ مَعْرُوفَةٍ كَثِيرًا فِي الْبُلْدَانِ الْعَرَبِيَّةِ الْأُخْرَى. وَلَعَلَّهَا تَعْدُو الْيَوْمَ  
كَذَلِكَ.

نَتَقِي هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لَيْسَ لَأَنَّهَا وَحِيدَتُهُ، وَلِأَنَّهَا الْأَشْهُرُ مِنْ سَائِرِ  
شِعْرِهِ.

أَجَائِعُ؟ أَيْ شَيْءٍ ثُمَّ يَا قَلْبُ؟  
أَمِنْ حُطَامِي هَذَا يُسْطِرُّ الْعَبَقُ؟  
إِذَا تَصَبَّبْتُ رُوحِي دُونَ مَا تَعَبِ  
يُطْفِئُ تَلْظِي هَوَاكَ، الْقَائِمُ الْخَفِيقُ  
إِنْ كُنْتَ تَحْلُمُ فِي قَلْبِي فَإِنَّ دَمِي  
مِنْ جُوعِهِ بَاتَ فِيهِ الْجُوعُ يَحْتَرِقُ  
أَلَمْ يُشْرُذَكَ تَشْرِيدُ يَمْرُقْنِي  
عَيْنَايَ أَظْفَارُهُ الْعَمِيَاءُ تَأْتِلِقُ  
قَلْبِي الْجَحِيمُ أَيْمَاتُ الشُّرُورِ بِهِ  
مُعَذِّبَاتٌ، فَمَا أَذْنَبْتُ يَا قَلْبُ؟  
أَخْشَى عَلَيْكَ دَمِي الْوَارِي وَإِنْ يَكُ فِي  
إِخْرَاقِهِ حُلْمُكَ الرَّيَّانُ يَنْسَحِقُ<sup>(١)</sup>  
مَا زِلْتُ طِفْلًا غَرِيرًا كَيْفَ تَقْرُبُنِي؟  
أَنَا التَّشْرُذُ وَالْجِزْمَانُ وَالْأَرْقُ

---

(١) الواري: الكثير والدم.

أَنَا الشَّرِيدُ لِمَاذَا النَّاسُ تُذَعَّرُ مِنْ  
وَجْهِي، وَتَهْرُبُ مِنْ أَقْدَامِي الطَّرْقُ؟  
وَكُنْتُ أَفْرَعُ لِلْحَانَاتِ، تَشْرِبُنِي  
وَالْيَوْمَ! لَوْلَمْ حَثَّ عَيْنِي تَخْتَنِقُ  
قَدْ بَتُّ أَمَضَّغُ أَغْرَاقِي وَأَوْرِدَتِي  
وَأَزْتَوِي مِنْ جِرَاحَاتِي، وَأَنْسَحِقُ  
شَنَقْتُ قَلْبِي عَلَى أَخْلَامِهِ، فَإِذَا  
بِهَا، وَضَحَكَتْهَا الْخَضِرَاءُ تَنْشَنِقُ  
وَجُبْتُ حَتَّى زَوَايَا الْغَيْبِ! لَيْسَ صَدَى  
فِيهَا، يُرَوِّنِي صَدَى نَفْسِي، وَلَا أَلْقُ  
زَرَعْتُ حَتَّى اضْطِخَّابَ الْمَوْجِ فِي شَفَتِي  
ضَحَكَأَ، وَلَمْ يَبْتَسِمْ خَفَاقِي الْأَرْقُ  
الْعُزِّي أَدَهَلَهُ شَأْنِي، فَجُرَّ عَلَى  
شِفَاهِهِ أَلْفُ سُؤْلِ، كَيْفَ يَنْطَلِقُ؟<sup>(١)</sup>  
عَرِيَانُ، يَكْسُو الدُّنَى بِالنَّجْمِ الْبَيْسَةِ  
عَطْشَانُ، فِي رَاحَتَيْهِ الْكَوْثَرُ الْعَبِقُ  
فَهَلْ كَسَوَتْ جُفُونَ النَّاسِ أَلْفَ دُجَى؟  
أَمْ هَلْ تَبَسَّمَ فِي أَخْدَاقِهِ الْغَسَقُ؟  
الذَّارُ تَسْكُنُ أَخْلَامِي! وَمَا اكْتَحَلَتْ  
بِالشَّمْسِ، وَالشَّمْسُ مِنْ كَفِّي تَنْبَثِقُ

(١) السُّؤْلُ: السُّؤَالُ، جَاءَ فِي سُورَةِ طه الْآيَةِ ٣٦: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾.

وَالْكَأْسُ تَشْرَبُ أَشْوَاقِي، وَلَهْفَتْهَا  
 دَمٌ يَمْصُ شَرَابِيْنِي، وَيَخْتَرِقُ  
 لَا تَسْخَرُوا، وَاسْخَرُوا مِمَّنْ يُقَيِّدُهُ  
 مِنْ نَفْسِهِ الْجَهْلُ وَالْإِذْلَالُ وَالْحَمَقُ  
 الْجُوعُ يَغْذِبُ. ا لَا لَيْلًا وَلَا سَحْبًا  
 مَا دَامَ يُنْجِدُنِي فِي صُبْحِهِ الْعَرَقُ  
 تَمُوتُ فِي رَقَصَاتِ الْكَأْسِ صَاحِبَةً  
 أَتْنَامُ مَنْ فِي نَشِيجِ الْمَوْتِ قَدْ غَرِقُوا  
 أَخْبَارُ مَقْبَرَةٍ. . لَمْ تَجِرْ أَعْرُقُهُمْ  
 إِلَّا بِخَوْفٍ لَهَيْبِ سَوْفٍ يَنْفَعِيكَ  
 هُنَا الْجِنَانُ! فَلَا يَشْرَبُ عُيُونُكُمْ  
 طَيْفٌ عَلَى أَعْظَمِ نَخْرَاءٍ يَتَّسِقُ  
 قَالَهُو، وَالْحُورُ، وَالشَّهَوَاتِ، لَا أَلَمْ  
 زَاهٍ وَلَا الْحُلْمُ الْمِغْطَارُ يُسْتَرْقُ  
 وَالْإِبْتِسَامَاتُ وَالْأَضْوَاءُ نَاعِسَةٌ  
 وَالْعِطْرُ مُسْتَعِيرُ الْأَنْاءِ يُنْتَشِقُ<sup>(١)</sup>  
 النُّجْمُ يَرْقُصُ مِنْ حَوْلِي، وَفِي قَدْحِي  
 يُلَالِي الْقَمَرُ السُّكْرَانُ وَالْأَفْقُ

(١) الأناء: من آن: أي شديد السخونة، حان وقت نضجه. جاء في القرآن في سورة  
 الرحمن آية ٤٤ ﴿بَطُورُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ؕ أَلَمْ يَكُنْ﴾ وكذلك في سورة الأحزاب آية  
 ٥٣ ﴿إِنَّ طَعَامَ غَيْرَ نَظِيرَينَ إِنَّهُ﴾ أي نضجه.

أَنَا إِلَٰهُهُ وَتَذَمَّائِي مَلَايِكَةُ  
وَالْحَاثَةِ الْكَوْنُ وَالْجُلَاسُ مَنْ خَلِقُوا  
وَالنَّادِلُونَ وَقَدْ عَنَّتْ كُؤُوسُهُمْ  
كَالْأَنْبِيَاءِ بِنُورِ الْخَمْرِ قَدْ عَبَقُوا  
وَالْحُورُ أَخْلَامِي السُّكْرَى تُغَارِلُنِي  
جِينًا وَتَمْرُحُ أَخْيَانًا، فَتَأْتِبُ<sup>(١)</sup>  
مَنْ الْحَيَاةُ الَّتِي لَوْلَا تَأَلَّفُهَا  
لَمَّا تَغْنَى بِهَا نَاسٌ وَلَا عَشِقُوا  
أَجْسَادُهُمْ مَرَايَا! يَنْبُضُ الْعَبَقُ  
فِيهَا، وَيَضْحَكُ مِنْ نَظَرَاتِهَا الْوَرَقُ  
سُكْرَى، يَكَادُ عَلَيْهَا رَغَمَ مَلْبَسِهَا  
مِنْ التُّعُومَةِ حَتَّى الضُّوءُ يَنْزِلُ  
أَمَّا النُّهُودُ! فَلَا تَذْكُرُ تَذَلُّلَهَا  
إِلَّا إِذَا ضِيقَتْ فِي دُنْيَاكَ يَا خَفَقُ  
كُفُّوا عَنِ اللَّوْمِ يَا صَخْبِي فَمَا سَلِمَتْ  
لِي الْأَصَائِلُ لَوْلَا ذَلِكَ الْغَرَقُ  
قَدْ جِثْتُ لِلْكَوْنِ عُزَيَانًا . لَوْ أَنَّ شَدَا  
الْإِخْسَاسِ عَنْ جِسْمِي الْمَخْمُومِ مُنْعَتِقُ  
وَالْحُبُّ بِأَكْلِ أَضْلَاعِي، وَيَسْحَقُنِي  
شَوْقُ بِأَخْذِاقِهِ الْأُتْدَاءِ وَالشُّبَقُ

(١) تَأْتِبُ: تَسْتَرْ وَتَلْهَبُ.

لِمَ لَا تَكْفُونَ؟ أَنْتُمْ مَنْ رَأَى كَمَدِي  
فَمَا يَقُولُ بِلَؤْمِي الْعَابِرُ النُّزُقِ  
الْخَيْرُ أَنْ تَشْكُرُوا حَوْلِي وَتَبْتَئِسُمُوا  
وَتَكْسِرُوا الشَّجَنَ الْقَاسِي وَتَنْطَلِقُوا  
دُقُوا الْكُؤُوسَ بِكَاسِي غَيْرِ صَاحِبَةٍ  
صُبْحًا، وَلَا تَذْكُرُوا الْأَيَّامَ، وَاغْتَبِقُوا  
لَا تَحْلَمُوا أَنْ نَنَامَ الْكَاسُ ذَابِلَةً  
فَمَا يَنْبُوعُهَا الزَّاهِي قَذَى رَنَقِ  
عَيْنَيَّ مِنْ قَدَحَاتِ الْخَمْرِ لَامِعَةٍ  
وَذِي الدَّمَاءِ مِنَ الْأَغْنَابِ تَنْدَفِقُ  
دَمِي عَلَى الْهَجْرِ مَشْنُوقٌ، لَكُمْ قَسَمٌ  
إِذَا لَغَيْرِي، بِذِي الدُّنْيَا، دَمٌ يَقِقُ<sup>(١)</sup>

---

(١) اليَقِقُ: الأبيض الخالص، وهو هنا كناية عن العَرَق، أي صار لونُ دَمِهِ أبيضَ لِكَثْرَةِ شُرْبِهِ العَرَقِ.

## الفهرس

المقدمة .....	٥
لَقِيْطُ بْنُ يَغْمَرِ الْإِيَادِي .....	١٩
رِسَالَةٌ لَمْ تَصِلْ ! .....	١٩
الْأَسْمَرُ الْجُعْفِيُّ .....	٢٨
مَقْصُورَةُ الْخَيْلِ .....	٢٨
الْأَفْوَهُ الْأَوْدِي .....	٣٣
الْحَيَاءُ ثَوْبٌ مُسْتَعَارٌ .....	٣٣
عَبْدُ يَغُوْثِ الْحَارِثِيِّ .....	٣٦
لِسَانُ الْأَسِيرِ .....	٣٦
عَمْرُو بْنُ قَعَّاسِ الْمَرَادِي .....	٤١
الْبَيْتُ الْمُسَافِرُ .....	٤١
الْمُنْخُلُ الْبِشْكِرِيُّ .....	٤٣
أَجِبْهَا وَتُجِبْنِي .....	٤٣
الْمُفْضِلُ النُّكْرِيُّ .....	٤٦

٤٦.....	الْمُنْصِفَةُ فِي الْحُبِّ وَالْحَرْبِ
٥٠.....	الْأَسْوَدُ بْنُ يَغْفَرٍ
٥٠.....	فِي الْأَرْضِ الْمَسْدُودَةِ
٥٤.....	كَعْبُ الْغَنَوِيِّ
٥٤.....	لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَوْتُ الْحَيَاةَ
٦٣.....	بَيْهَسُ بْنُ عَبْدِ الْحَارِثِ
٦٣.....	فِي مُلْتَقَى الرِّيَّاحِ
٦٩.....	دَوْقَةُ الْمُنْبِجِي
٦٩.....	الْيَتِيمَةُ
٧٥.....	عَمْرُو بْنُ مَغْلَبِي كَرْبُ
٧٥.....	قَصِيدَةُ رَنْحَانَةَ
٧٩.....	سُحَيْنُ الرِّيَّاحِي
٧٩.....	صُورَةُ الْأَنَا
٨١.....	قَتِيلَةُ بَنَاتِ النَضْرِ
٨١.....	مُبَكِّيَةُ النَّبِيِّ
٨٣.....	مُتَمُّ بْنُ ثَوْنَرَةَ
٨٣.....	أُمُّ الْمَرَّاثِي
٨٩.....	سُحَيْنُ الْحَبَشِيِّ
٨٩.....	الْغَزَلِيَّةُ الْقَائِلَةُ
٩٨.....	سُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ
٩٨.....	يَتِيمَةُ الْجَاهِلِيَّةِ
١٠٨.....	مَالِكُ بْنُ الرَّئِبِ
١٠٨.....	خَيَالُ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ
١١٣.....	أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِي
١١٣.....	قَصِيدَةُ الْمَوْتِ الْأَحْمَرِ

١١٦	.....	العوام بن عتبة
١١٦	.....	زيارة ليلى
١٢٠	.....	أبو النشاش اللص
١٢٠	.....	خريطة الصعلوك
١٢٣	.....	نوبة بن الحمير
١٢٣	.....	نار ليلى
١٢٨	.....	الصمة القشيري
١٢٨	.....	وداع نجد
١٣٣	.....	سوار بن المضرب السعدي
١٣٣	.....	تلون بي زمني
١٣٧	.....	صالح بن عبد القدوس
١٣٧	.....	القصيد الزينية
١٤٣	.....	الأخيمر السعدي
١٤٣	.....	القصيد الوحشية
١٤٧	.....	الفارعة الخارجية
١٤٧	.....	بكائية على الخابور
١٥٠	.....	ابن أبي السجلات
١٥٠	.....	القصيد المنسية
١٦١	.....	شاعر مجهول
١٦١	.....	تيممة التوحيدي
١٦٤	.....	ماني الموسوس
١٦٤	.....	تيممة مجنون الدير
١٦٧	.....	خالد بن صفوان القناص
١٦٧	.....	قصيدة العروس
١٧٤	.....	مذكر الشيباني

١٧٤	..... المَزْدَوَجَةُ فِي الْعَشَقِ الْمِثْلِيِّ
١٨٢	..... أَبُو الْحَسَنِ الْأَنْبَارِيُّ
١٨٢	..... أَجْمَلُ الْمَضْلُوبِينَ
١٨٤	..... ابْنُ زُرَيْقٍ الْبَغْدَادِيُّ
١٨٤	..... فِرَاقَةُ الْبَغْدَادِيِّ
١٩٠	..... أَبُو سَعْدِ الثَّيْرَمَانِيِّ
١٩٠	..... عَنِ الْوَادِي الْمَهْجُورِ
١٩٤	..... الشَّهْرَزُورِيُّ
١٩٤	..... طَرِيقُ الْعَوْدَةِ
١٩٧	..... الْأَزْبَلِيُّ الْبُخْرَانِيُّ
١٩٧	..... السُّطُورُ الْمَمْحُورَةُ
٢٠١	..... ابْنُ أَبِي الْبُسْرِ
٢٠١	..... طَلَلِيَّةُ بَعْدَادَ
٢٠٤	..... الشَّهْرَوَزْدِيُّ الْمَقْتُولُ
٢٠٤	..... الْقَصِيدَةُ الْإِسْرَاقِيَّةُ
٢٠٧	..... أَبُو الْبَقَاءِ الرُّنْدِي
٢٠٧	..... مَرْثِيَةُ الْأَنْدَلُسِ
٢١٣	..... هَاشِمُ الرَّقَاصِيِّ
٢١٣	..... رِسَالَةٌ فِي لَيْلَةِ التَّنْفِيدِ
٢٢٢	..... عَبْدُ الْأَمِيرِ الْحُصَيْنِيُّ
٢٢٢	..... شَرِيدُ الْقَلْقِي

## هذا الكتاب

أغلب أصحاب الواحدة، من هوامش الناس، فهم خوارج  
وصعاليك ومتصوفة ولصوص ومجانين ومنفيون، وشعراء  
مغمورون، ومغامرون ومنبوذون، وعشاق مقهورون، ومن عوام  
الناس في عصرهم.

هم ليسوا بشعراء «بلاطين» ليذهب شعرهم في البلدان بفعل  
مدائح جرت بها ألسنتهم فجرت معها شهرتهم في الآفاق.  
من هنا نجد أنّ ظروف حياتهم التي عاشوها بما تحمله من  
تراجيديا، من موت مبكر، ونفي وابتعاد عن ثقافة المركز، هي  
السمة المميزة التي جعلت من أخبارهم قليلة وأسهمت في ندرة  
أشعارهم.

ولعلّ هذا الحصار المركب الذي اتسمت به حياة هؤلاء هو الذي  
جعل قصائدهم نماذج «فذة» في الحب والحرب والموت ورثاء  
المدن وفي استبطان الذات ووحشتها وأسئلتها العميقة.

